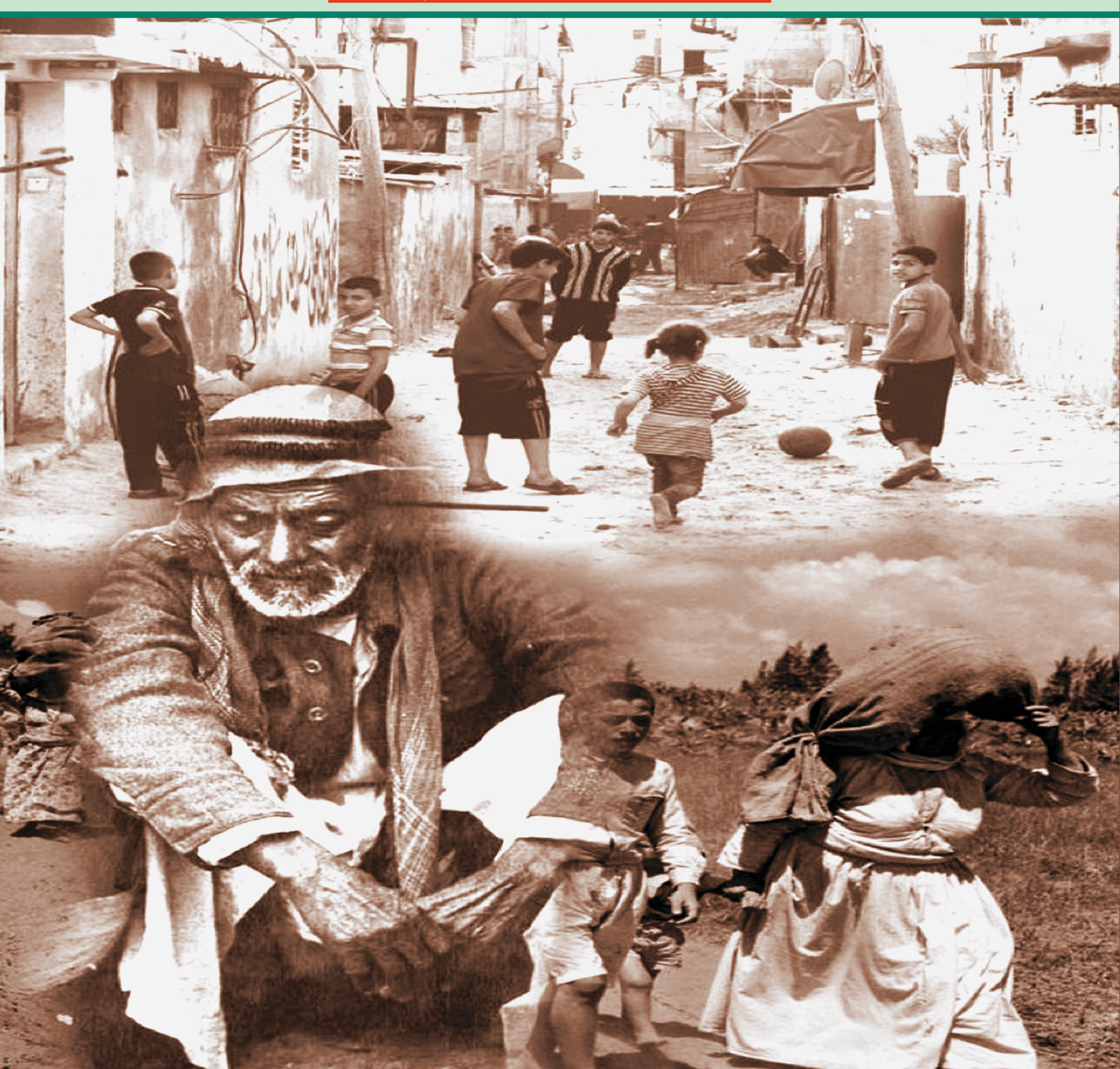
ذكريـــات خالـــدة

حياة الفلسطينيين في مخيمات الشتات

جمال حلمي حسن الشريف



ذكريات خالدة

حياة الفلسطينين في مخيمات الشتات

حقوق الطبع محفوظة

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢١ /٠ /٠٠٠)

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م

ذكريات خالدة

حياة الفلسطينين في مخيمات الشتات

تأليف

جمال الشريف





المقدمة

إلى روح أبي وأمي اللذين تحملا عبء الهجرة الأولى والثانية وكابدا كل أصناف المشقة والمعاناة والتعب في تربيتنا والعناية بكل تفاصيل حياتنا....

لكل فلسطيني عاش قسوة الشتات والتهجير وحمل على عاتقه أمانة تربية جيل يحمل معه وطنه أينما حل أوارتحل، تحية لمن سبقونا إلى الدار الآخرة وكانوا قرابين في الدفاع عن حقنا المشروع وإرتقوا للعلا إيماناً وتصديقاً وتضحيةً في سبيل أقدس قضية عرفتها البشرية...

حديث الذكريات هو نوع من البوح والترنيم والتأريخ واستذكار ما عشناه وتعايشنا معه في مخيمات الشتات الفلسطيني سواء داخل الوطن أو في مخيمات اللاجئين في الدول العربية التي تواجدت فيها المخيمات....

لقد حاولت في هذه الذكريات تسليط الضوء على حق المهاجر والنازح الفلسطيني في حياة حرة كريمة، رغم كل الظروف التي رافقت رحلة تشريده ولجوئه. لقد إستطاع التكيّف مع كل المتناقضات وضنك العيش ليخرج منها جميعاً كما يخرج طائر الفينيق من وسط الرماد شخصية فلسطينية مكافحة ومثابرة يحدوها الأمل دوماً للعودة والتحرير لكامل التراب الفلسطيني. كل ذلك لم يمنعه من ممارسة حياته بشكل طبيعي متحدياً كل المحن والصعوبات.

هذا هو الإنسان الفلسطيني الذي لم تزده الضربات إلا صلابة وشدت من عضده وجعلته أهلاً لكي يتصدر العناوين والأخبار في قصص النجاح التي لا

تحصى ولا تعد، لقد خرّجت المخيمات الكفاءات من أطباء ومهندسين وصيادلة ومعلمين وممرضين وعلماء ومخترعين ومدراء تنفيذيين ومدراء مشاريع وغيرها من المهن والتخصصات.

فكان شتات الفلسطينيين ما هو إلا لنشر الياسمين والرياحين وبذر الأرض بأنقى وأرقى أنواع البذور الصالحة والمفيدة ولم نكن يوماً عبئاً على أحد فقد إقترن التعليم الجيد والخدمة الحسنة والأخلاق العالية والوفاء بإسمنا....

وعملتُ على توثيق هذه الذكريات وغيرها لأجل أن يعرف أبناؤنا كيف عشنا وكيف تربينا وكيف أننا طوعنا كل الإمكانيات في تسهيل أمور حياتنا لتبقى لنا ناقوساً يدق في عالم النسيان...

أرخت فيها للمخيم ونشأته وأهم الأحداث ومسارحها التي دارت عليها ذكرياتنا ولا أدعي أني ذكرت كل شيء، بل حاولت قدر إستطاعتي وقدر وعيي بما عشناه أن أرسم صورة واضحة صادقة عما عشناه.

ومما زاد من فرحي وغبطتي أن ذكرياتنا ونشرها عبر صفحة الفيسبوك قد فجرت لدى اقراني كثيراً من الذكريات لنستحث الذاكرة الجماعية في تأريخ معظم الأحداث والأسماء والمسميات.

وأتوجه بالشكروالعرفان من أصدقائي وأحبابي الذين تفضلوا بنشر تلك الحلقات عبر صفحاتهم لتصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس الذين عاشوا تلك الذكريات، حلوها ومرها، وما يمكن أن نسميه مجازاً زمن العسل المر.

وأحمد الله جل في علاه أن هذه الذكريات بتلك الطريقة المعروضة انها الأولى من نوعها ومع كثرة الكتاب والمؤرخين إلا أن هذا التاريخ لحياة المخيمات بهذه الطريقة هو الأول من نوعه، فلله الحمد والفضل والمنة.

وأسأل الله تعالى أن يمن على جيلنا أن تكتحل عيوننا برؤية فلسطين حرةٍ عربيةٍ محررة من البحر إلى النهر ومن رأس الناقورة إلى أم الرشراش، إنه اهل ذلك والقادر عليه....

وأخيراً وليس آخراً لا يفوتني أن أذكر أن الفلسطيني الذي عاش في المخيم يظل المخيم في داخله لايفارقه حتى وإن غادر المخيم وعاش في أرقى دول العالم.

وما أنا إلا مثال حي على ذلك وبرغم سنوات الغربة الطويلة وتركي للمخيم إلا أنني لا أحلم إلا بالمخيم رغبة وقسرا...

سلامٌ على مخيمات الشتات الفلسطيني في كل مكان

سلامٌ على الفلسطيني المهجر والمشرد واللاجئ والنازح...

سلامٌ على فلسطيننا الأم سلاماً لا يكتمل إلا بعودتنا إلى حضنها.

ودمتم.

جمال الشريف

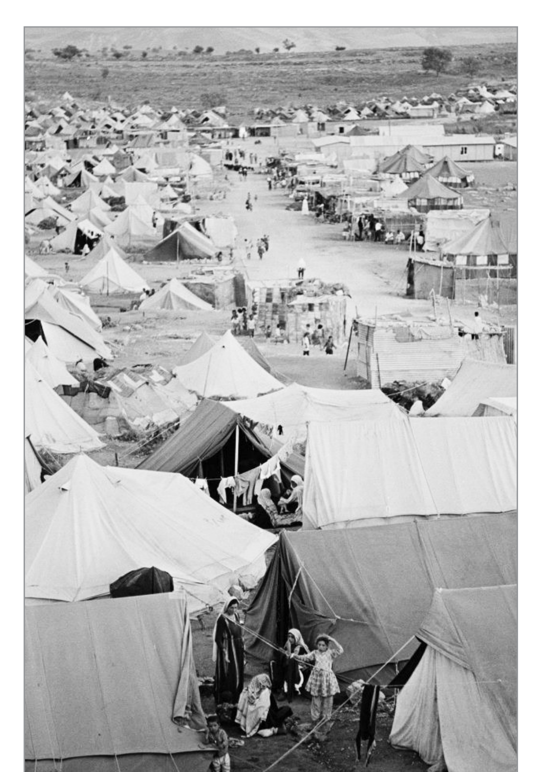
لندن – انتاريو

كندا

٢٠٢١١٨١٠٩



غزة أرض العزة
حنظلة..
مخيم غزة









مخيم غزة... مخيمنا

منذ أن غادرت المخيم وحتى هذه اللحظة أشعر أن الحديث عن المخيم يشعرني ببقائي حياً متفائلاً ويعطيني بارقة أمل أن الزمن الذي جمعنا في المخيم مع ناس طيبين يمكن أن يجمعنا بهم مرات ومرات لنتجاذب أطراف الحديث عن ماضٍ عشناه وما زلنا نعشقه ونحن له...

بعض الناس يحن لأشياء معينة وينسى بقية التفاصيل ولكن لو قلت أنني بعد أن غادرت المخيم للغربة والشتات أحن لتفاصيل وأنسى أُخرى أكون قد جافيت الحقيقة، فانا كنت ومازلت أحن لكل شيء في المخيم حتى لشوارع المخيم التي درجنا عليها والتصقت ذكرياتنا معها وفيها وتغيرت مرات ومرات، ويذكر أحبابي وأصدقائي ومن هم بسني أو أكبر مني كيف عشنا في المخيم منذ أن كانت الخيم والشوارع الرملية وكنا حينما نجلس بجانب الحيطان أو ظلها نهاراً أو ليلاً ونجلس عالأرض دون مفارش أو كراسي، كنت لاشعورياً أكل من التراب البني الذي كان موجود في كل مكان ولكن كنت أتخير الموجود في ظل البركية وكنت أجد له طعم

غريب ولكنه لذيذ وهكذا بقيت فتره أتذوق رمل المخيم وأعتقد أن كثير من ابناء جيلي كانوا يفعلون فعلي...

ومرت الآيام وسافرت عبر العالم ودرست الصيدلة وإذا بي أقع على بحث يؤكد فائدة أكل التراب في زيادة المناعة وأنه غير ضار طالما أن الكمية قليلة نوعاً ما فقلت: وجدتها من يوم يومنا اطفال المخيم عنا علم الطب...

وربما لهذا السبب تجدنا نحن شباب المخيم الذي تغربنا وسافرنا بعيداً عن المخيم نحن دائماً إلى كل شيء في المخيم ونعتبره جزء لايتجزء من كينونتنا كون أرض المخيم من خلال ترابه وناسه إختلطت بدمنا وعظمنا قبل ذاكرتنا ومخيلتنا... شكلي أنا أخذتها رسمي مع أن هذا ليس إسلوبي في الكتابه حين أكتب عن الذكريات.

المهم صارلي فتره بحن للماضي مش عارف ليش... للبيت القديم...لشله الطفولة من أصحابي... لطبيخ أمي عالبابور... للجيران الطيبين... للمزبلة على الجبل وعند المقبرة مكان ما كنا نلعب. للحارة حيث كانت أول تجاربي ومحاولة تزبيط بنت الجيران... ولدكانة أبو فوزي حيث كانت تباع جميع أنواع الحمض حلو والعلكة والطحينية والكاز والسيرج.

وبذكر كيف أمهاتنا كنا يطلبن منا أن نأخذ الكاسة ونشتري الطيحينة بقرشين ونص وكانت طقوسنا لازم نلحس من الطحينية بإصبعنا، وأول مره ماتزبط اللحسة لازم نجرب مرة ثانية، والمشكلة أن الطحينية زاكية فلازم نجرب مره ثالثة، إلى أن نصل البيت فتجد أمي أن الكاسة تقريباً فيها شوية في القاع فتبدأ تكيل الشتائم لصاحب الدكانة أنه صاير نتيف وبقطع من جلده والله لايجبره وتوصيني أن لا

أشتري من عنده مرةً ثانيةً بل أذهب للحارة الفوقا وهي لاتدري أنني لو إشتريت من عند حاتم الطائي فالنتيجة واحدة الكاسة رايح تصل الدار ملحوسة .... وصحيح هيك كنا نعمل مع الحمص مع أن الجميع في المخيم كانوا من هواة الفول...

وأروع اللحظات كانت في الحارةِ وبالذات على قرنة البيت حيث لقاء الأحبة.... كانت سميرة بنت جيراننا في نفس عمري تقريبا وكان لديها جديلتين وتلبس دائما ثوبا مموها... وكانت جميلة جمال البراءة كنا نلتقي عند خم الجاج (يعادل الكوفي شوب اليوم)... أنا أحمل الدحول مع سلك الحديد المعكوف بشكل محترف في محاولة لإظهار بعض الإحتراف...وهي تحمل كتابا مع أنها كانت في المدرسة سكر خفيف لكن بتحب تقرأ القصص البوليسية والألغاز ...

كانت بداية معرفتي بها بواسطة القصص ويمكن يكون لها الفضل في أنني صرت من أوآئل المطالعين قلتلها: شو رأيك توخدي القصة وتصيري تحبيني؟ فقالتلي طيب أنت أعطيني القصة، أنا بالنسبة لي المسألة في غاية البساطة وزي المفاوضين السياسين وليست بحاجة إلى أي تعقيد...قصة وقصص نشأت بعدها قصة حب عنيفة وأعنف مافيها لما بدأنا كتابة الرسائل على ورق ملون وفي آخرالورقة مرسومة وردة والورقة ملونة وكانت معروفة تلك الأوراق أوراق العشاق، ولازم نكون حذرين جداً لأن شكل الورقة شبهة وإذا حدا شافها من أهلك أمامك إحتمالين إما تاكل كتلة بالشبشب وعض أو الشوبك اللي كانت أمي بترق العجين فيه يعلم على جنابي وبالنسبه لي لم يكن هناك مجال لشد الشعر لأن البركة في مدرسة الوكالة كنا لازم نحلق عالصفر إجباري، طبعاً ماوصلنا لمرحلة تبادل الرسائل إلا بعد فترة مش بطالة يمكن بعد حوالي خمس قصص وثلاثة الغاز...

لا أذكر أيامنا أني شفت أحد من بنات المخيم حاطه أحمر الشفتين لأنها كانت

جريمة وقلة أدب ولأن البنات ما كانوا زينا يحلقوا عالصفر كان ضربهم عبارة عن مز شعر وشده وعض من كل مكان وخصوصاً إذا كانت مربرة (الرقابة قصت بقية الوصف حرصا على الشعور العام وحتى ما ألود عن محتوى الوصف).

ويوم كنت مخبي القصة تحت البلوزه لسببين أولاً كانت الدنيا مطر وبديش القصة تنبل وأكل بهدله من مدرسة الوكالة حيث كنا نستعير الكتب وثانياً لأني مابدي أحد يشوفني وأنا بعطيها لسميرة وكانت الحنفية طايحة ولأن الدنيا مطر ماكان عليها أحد فقربت على حذر وما أن إقتربت حتى شفت شفتاها تصطبغان باللون الأحمر...هنا أنا جحشت وصرت مش عارف شو بدي أقول وقلت لها بزعل برئ شو هاظ؟ فضحكت ضحكة خفيفة من تحت لتحت طبعاً أنا سخسخت لكن بنفعش أشيل التجحيشة بدون ما أعرف حرصا على الهيبة فطلعت من فمها حبة حمضه حلو ملونة وتلاوقت علي يعني طق وموت ودقارة فيك، أنا بيني وبينكم سخسخت بزيادة وفكيت رقم ١١ اللي على جبيني وأعطيتها القصة ولفيت راجع، وأنا برجع وقعت في النهر (القناية) وصاروا كل ملابسي مية مع طينة مع صنة واكيد أنتم عارفين ليش صنة واللي مش عارف ممكن أشرح له، ولكن الرقابة لي بالمرصاد وتقطش الشرح.. ضحكت أم السمر عليَ بعد أن صار وجهي أحمر من اللي على شفتاها وأحمر هنا ملوش علاقة بالتجحيش إنما باللون الأحمر...

ملحوظة: الأسماء ربما لاتعني شيء، ولكن لزوم السرد.

مخيمنا له ميزة خاصة لم تتوفر في مخيم غيره حيث أننا جميعاً من غزة ومن قرى غزة أو من هاجروا إلى غزة بعد إحتلال أراضي عام ٤٨ وبالتالي كلنا في الهوا سوا زي ما بقولوا... وعلاقتنا مع بعض هي إمتداد لعلاقة أهلنا من أيام غزة حيث أن من هم من جيلي أو أكبر ولدنا في مخيمات غزة مثل مخيم النصيرات أو مخيم رفح أو مخيم جباليا أو مخيم الشاطئ أومخيم المغازي أومخيم خان يونس أو مخيم دير البلح أو البريج.

وهنا ذكر أسماء المخيمات ليس من باب السرد وإنما من باب التوثيق، ونزحنا مع أهلنا من مخيم لمخيم يعني من جورة لدحديرة أو من دلف لمزراب ولكن الجورة الأولى كانت داخل الوطن والدحديرة كانت خارج الوطن في الشتات، يعني يا إخوان أهلنا تمتعوا بالتجربتين معاً أولاً الهجرة داخل الوطن وثانياً النزوح خارج الوطن وهيك جمعنا المجد من طرفيه نازحين أولاد لاجئين وهيك كنا كلنا مثل بعض مافي أحد أحسن من الثاني ولا تعايرنا ولا أعايرك البين طايلنا وطايلك.

وبما أن مخيمنا كان يعاني (وما زال) يعاني من معظم الخدمات الأساسية إلا أن هناك شوارع رئيسة كانت مزفلتة لأنها تربط المخيم بجرش ودبين والقرى المجاورة ويذكر أن صيانة الأسفلت كانت قليلة جداً ولكنها كانت مناسبة عزيزة علينا في المخيم ، وكان كل العمال من عمان ويبدأ يومهم من الصباح الباكر بتوليع عجال السيارات لإبقاء الزفتة سخنة وكان سماء المخيم يصبح داكناً ومليان شحبار وسخام وربكم كريم أن المتعهدين والعمال كانوا من خارج المخيم وإلا كان إتهموا أهل المخيم بانهم هم اللي خزقوا طبقة الأوزون، وكانت القلابات تحضر لوازم الأسفلت وكنت أنا وأصحابي وأولاد المخيم من جيلي أو أصغر كثيرين غلبة وبدنا نفهم كل شيء ونظل نحَلق للشغيلة من شارع لشارع وبدنا نشوف كيف

الشغل بتم وما تقول إلا نحن (الفورمن) المراقبين اللي بنشرف عالشغل وكنا كل واحد فينا وبالذات اللي بيوتنا قريبة عالأسفلت لما يكون الأسفلت القريب من المدارس نروح نخلي أمهاتنا يعملن شاي للعمال.

وكانت أمهاتنا طيبات كريمات صاحبات واجب كُن يعملن الشاي في البراد الأزرق الكبير الصيني (ماركة معروفة لأهل المخيم بالذات وأهل الأردن بشكل عام) ونحن الأطفال نتعاون في حمل الصينية والكاسات للعمال وبالمناسبة ماكنا نعمله ليس حب في العمال وشفقة عليهم فحسب وإنما هو عبارة عن رشوة بسيطة حتى يسمح لنا العمال بالإقتراب من مكان الشغل والإشراف عليهم وكنا (فورمنية) مهاودين مانأخذ منهم ولا فلس بل على العكس كنا مستعدين ندفع لغاية قرش ونص بس نتفرج وأكثر من هيك ما بنقدر، الميزانية ما بتسمح وكان العمل ينتهي بعد العصر وهنا يبدأ دورنا أولاد الحارة وأحيانا الحارات المجاورة باللعب على الأسفلت ونحن حافيين حتى نستمتع باللعب دون وجود عوائق وكان الأسفلت ساخناً ويدغدغ بحرارته أقدامنا من الأسفل وكنا معظم الوقت حافيين لأن بوت الإصبع الصيني للمدرسة والمناسبات ولكن فيما يخص الأسفلت حتى لوكنا بعض الأحيان نلبس الصنادل البلاستك أو الشباشب أو الجزم الطويلة لازم اللعب على الأسفلت تكون حافي وكنا في غاية الإنبساط وتبدأ تصفيات سباق الجري عالأسفلت الجديد إلى حلول الظلام حينها ينفض السامر وكل واحد فينا يروح للبيت وهو في غاية الإنشكاح.

لكن الشكل حدث ولا حرج لما كنا نروح وأهلينا يشوفونا أمي تقلي يمه مالك (زي القرد المفعفل بالسكن) طبعا هذا تشبيه بحاجة لكل عباقرة اللغة العربية حتى يصلوا لمعرفة نوعية التشبيه لان المشبه والمشبه به معروفين ومافي داعي للإحراج.

كان يرافق هذا التوبيخ موشح من المواعظ والنصائح والإرشاد ولكن على مين ياحبيبي ذان من طين وذان من عجين، وكنا نبقى مخروسين وساكتين لإننا عارفين أن أمهاتنا ماكانوا يضربونا بعد المغرب عشان ما نلتمس، طبعا هذة طقوسنا وثقافتنا وبعض التصرفات التي لم نكن نفهمها حينها وكانت ملآزمة لنا في المخيم وتعتبر عند الكثير من المسلمات، وهذه ثقافة بحاجة لشوية شرح ممكن يتم التطرق لها في تفصيل آخر هي وبعض التفاصيل الأخرى زي مثلاً ما بصير المرأة الوالدة النفاس تدخل عليها وحده مش طاهرة عشان ما تكبس الولد.

وفي الصباح الباكر يعني من طيييييييييي.... الصبح (الرقابة قصت الحرف الأخير لكن سلامة فهمكم) - ويمكن نحن الشعب الوحيد اللي خلى للصبح طيييييي ... مابعرف ليش؟!! نصحى بدري عشان نشوف كيف شكل الأسفلت أصَبح بلاش يكون تغير شكله ونحن نايمين ونبقى هكذا إلى أن ينتهي العمل من منطقتنا ويبقى أولاد المخيم الفوق اللي عند المسلخ وماحوله ينتظروا دورهم حتى يمارسوا نفس الطقوس والسؤال الذي يخطر على بالي الأن ليش ما كنا نبارك لبعض على الأسفلت الجديد في كل حارة؟؟؟

يمكن سقطت سهواً أو يمكن لأننا كنا صغار كنا نعتبر المباركة من واجب الكبار، وقبل ما أنسى كنا ياحرام نشفق على البنات أنهن ما بقدرن يلعبن عالأسفلت زينا وبذلك يصبح عنا فريقين فريق ساحل العاج للأولاد وفريق الكاميرون للبنات ومش فريقي السويد وكندا وفهمكم كفايه ...!!!!!





الحنين للمخيم

غادرت المخيم حالي حال الكثير وطفت أصقاع الأرض بحثاً عن هوية ووطن لقسوة ظروفنا وحباً في الحياة ولإبقاء جذوة الأمل في قلوبنا وعقولنا بحتمية التحريروالعودة ولهذه الأسباب مجتمعة صرت أينما حللت وإرتحلت أقارن بين ماعشناه في المخيم بكل مافيه وبين مايعيشه أطفالنا هذه الأيام أو ماعاشه بعضاً من أبناء فلسطين في الشتات خارج حدود المخيم أجدني عشت في حياتي طفولة رائعه حيث كنا ساكنين على ضفاف النهر (القناة) على طول وهذه بالمناسبة تمتع بها كل سكن المخيم لأن الأنهر(القني جمع قناة) تمر في حواري وشوارع المخيم كلها دون إستثناء لزوم العدالة الإجتماعية وإنعدام الطبقية والموت مع الجماعة رحمة .....

وكنت ومنذ نعومة أظافري وأعتقد أن هذا المصطلح يجب حذفه لأننا أولآد المخيم قرأنا هذا المصطلح في الكتب ولم نعرفه لأننا معظم الوقت بنطارد في الشوارع وبين الحارات حافين أو لآبسين بوت الأصبع الصيني أو صندل أو جزمة

بلاستك ومش لازم تكون عالمقاس وممكن تكون كبيرة أربع أو خمس نمرحسب المتوفر في حينه لزوم إستعمال العائلة، كنت أحب اللعب في الحديقة (المزبلة) كنا نلم عروق الملوخية ونعملهم زي الفرشة ونعمل منها حلبة مصارعة ونطبق ماتعلمناه من (بق دادي أو تيبر زكش أو المقنع) أسماء بعض من المصارعين العالمين المشهورين أيامنا في زمن التلفزيون الأبيض والأسود أو من فهد الطمبوري وعدنان كريشان اللذين تمتعنا بمشاهدتهم على حلبة النادي في المخيم أيام النشاطات الرائعة الممتعة والجميلة .

وأحيانا نقعد نطنط من فوق الحيطة على عروق الملوخية وكان يرافق ذلك جروح وخدوش وكدمات لانشكي ولانبكي منها وإحساسنا بروعة المكان (المزبلة) وتقمص دور المصارعين يخلينا ما نحس بشئ . وكنا نخلي شوية عروق ملوخية للتنشيف لزوم السبرسة والتحشيش والزعرنة وهذه تسبق مرحلة التدخين لأننا لم نكن وصلنا لسن يسمح لنا بهيك تجربة .

أذكر أن شوارعنا كانت مليانة حبال غسيل بالعرض وكانت النسوان تتباهى أي وحدة غسيلها أنظف ولأن الغسالات لم تكن متوفرة ومستحضرات الغسيل عبارة عن نوع واحد صابونة المؤن ولجن الغسيل الحديد موجود في كل بيت .

والنسوان ياحرام من شدة التعب أحيانا ولأن ظهرها إنكسر من القعدة على لجن الغيسل بمجرد نهاية فم الغسيل (الوجبة) تفتح باب الدار وطُش اللجن وحظه نصيبه اللي بكون مارق في الشارع ومعلش والله ماشفتك ياخالتي وراحت في كيسنا وإذا شب كبير أو زلمه برضه راحت في كيسه.

ولان مجتمع المخيم مجتمع محافظ لاينشر على أحبال الغسيل إلا الملابس العادية وشرايط الأطفال الصغارالمصنوعة من كياس طحين الوكالة نخب أول

(المالطي) أما (البمبرز) ثقافة جديدة ومكلفة راحت علينا ولحقتها الأجيال الصاعدة.

وكان ينشر على حبل الغسيل جنبيات الأولاد الصغار (الجنبية هي عبارة عن فرشة صغيرة) كي تتهوا لانها منقَعة شخايخ بالذات إذا مش محطوط مشمع نيلون فوق الجنبية ومش معقول غسيل الجنبية كل يوم فلا بد من نشرها على الحبل لأن رائحة ثاني اكسيد القلعاط فايحة...

الطابة اللي كنا نلعب فيها كان إسمها طبة الشرايط عبارة عن كم جوز جرابين ملفوفين فوق بعض وكان صاحبنا عليوه تخصص طبب شرايط محترف وصاحب صنعة وكل حارة فيها واحد يتولى المهمة واذا لم تتوفر الطابة فالبركة بالحديقة (المزبلة) أو سوق الخضرة كونه قريب من حارتنا كنا نأخد أي ليمونة مخمجة أو برتقالة أو حبة بطاطا معطبنة وعليها العين ونقعد نلعب... طبعا مع كل ضربة لليمونة كان ينزل جزء من العصير على وجهنا وأواعينا ونستمتع برائحة العصير على الملابس رائحة لا تنسى ولا تزال تعبق وتعشعش في انفي إلى الأن ونسم ياهوا المزبلة عفواً (الحديقة).

وممكن تجيك أو تصيبك ضربة جزمة طايشة فالتة من رجل واحد من الأولاد (إصابةعمل) لاتستوجب التعويض أو الصلحة أو العطوة وكانت تتوقف المباراة إذا طارت جزمة أحد اللآعبين فوق زينكو سقف أحد البيوت وتنهال علينا قذائف أرض جو مسبات من داخل الدارحتى ولو كانت دار أحد اللآعبين.

الزينكو أحد عناوين القهر والحرمان والمعاناة وماندر أن تجد بيت والزينكو لايدلف مطراً في الشتاء ولابدأن نبقى نضع المواعين تحت أماكن الدلف ونبقى نغير أماكن تواجدها وتفريغها من مياه المطر بين فترة وأخرى ، أما في الصيف فلهيب الزينكو يشوينا شوي ، ومازال عالق في الذاكرة صوت المطروهويعزف

لحن الخلود وسمفونية ندر أن تسمع لها مثيل وبرغم هذه السنوات العجاف في بعدنا عن المخيم إلا أننا نتوق طرباً لسماع صوت المطرعلى الزينكو... وكان صوت البسس (القطط) في سكون الليل وبالذات في شباط وهم يطاردوا بعض من سطح إلى آخر يقض مضاجعنا وخصوصاً إذا كان أحد البسس من النوع الهرش وصوت الميو طالعة منه مثل زامور سيارات الشحن الكبيرة... أما إذا كان نباح الكلاب فهذا معناه أن الجنبية أكيد ستصبح منشورة عالحبل وكنا نلزق في بعض تلزيق ونحن نايمين ونغطي رؤوسنا باللحاف وفيما يخص الدعوه المشهورة من الأمهات تجيك طايشة يا بعيد (فهم المصطلح هنا مهم) غير مقصود بها الجزمة فقط للتوضيح لعدم الخلط... ومن الألعاب المشهورة في المخيم لعبة طَرقت والصمطة والخارطة والحَجلة وجَمال إبن جَمال سرقولك جمالك

وكُم السير وعالي عالي وطوط، حاكم جلاد، القلول (البنانير)، الشقف (شقف الاسبست ولا كنا بنعرف انها بتسبب السرطان ولا بنسمع عنه)، وحو بو.... الخ كل لعبة لها طقوس وظروف ومكان و(إمكانية الشرح المجاني متوفرة لمن يستعصي عليه معرفة بعض الأسماء والألعاب) وبعض الألعاب كانت تصلح في كل الظروف والبعض الآخر موسمي ومن ألعاب البنات المعروفة أيامنا شَبَرا أمَرا شَمس نجوم ، والحجلة لعبه مشتركة ممكن يلعبها الأولاد وممكن تلعبها البنات





الطهور.... وطقوسه في المخيم

المناسبات السعيدة والمشهودة في المخيم معروفة للجميع ولابد أن تكتمل فرحة المناسبة بالمشاركة والشهود والمباركة وبما أن الطهور هو أحد المناسبات التي تمربطقوس فريدة من نوعها ويندر أن تجدها في أي تجمع آخرغيرالمخيم فكان إشهار الطهورلايقل أهمية عن إشهارالزواج...

وكان مُطهر المخيم المشهور والمشهود له بالكفاءة أبو إلياس رجل محترم كباري وله هيبة ووقار ومش عارف الهيبة والوقارلها علاقة بقص الواوا أما أنها كرامة من رب العالمين...



أبوالياس كان يحمل شنطة سوداء ليست بالمربعة ولا بالإسطوانية وشخصياً ما شفت لها مثيل ومكتوب عليها مطهر أولاد قانوني وتختلف عن شنطة الأطباء وأعتقد أنه كان هناك عرف بعدم التعدي على المهن...

كنا عندما نشاهد أبو الياس في المخيم نعرف هناك حفلة قص واوا وأحيانا تكون حفلة مفردة وأحيانا حفلة جماعية خصوصا إذا كان للعائلة أكثر من إبن وعلى روس بعض أو أولاد الأخوة أو أولاد العم وما بنفع المزج بين أبناء عوائل مختلفة في نفس الحفلة لأن كل عائلة بتحب تحتفل بالواوا تبعتهم لحالهم، وكان بعض الأهالي يتساهلوا في السماح لأبناء الجيران بالمشاركة بالتلصص والبصبصة ومامندر أن تجد أحد من أولاد المخيم لم يشاهد حفلة واحده على الأقل مازالت عالقة في ذاكرته ومخيلته حتى هذه اللحظة لتشكل لنا ماده خصبة للحديث عنها.

وأذكر يوم طهور صديقي خالد كان عمره ٦ سنوات وكان أصغر مني بسنة يعني نفس الجيل تقريبا وحضر المطهر أبو إلياس وكانت دارهم مليانة زلام ونسوان ومسكين خالد كان نشفان وميت خوف ومع أن أبوالياس كان بالنسبة لي رجل وقور، لأن حفلة طهوري كانت جماعيه في مخيم النصيرات في غزه مع إخواني وأولاد عمي قبل حفلة خالد بسنه يعني كنت ٦ سنوات فما كان يشكل لي البعبع الذي يرتعب منه أطفال وأولاد المخيم اللي لسه ما أجاهم نصيبهم ينبطحوا ويثبتوا حتى مقص العم أبو الياس.

ولأني كما ذكرت كان طهوري في غزه أخذونا ثالث يوم الطهور عالبحر وياغافل لك الله ونزلونا البحر شويه شويه وبدأنا ندب الصوت لأن مية البحر حرقت الواوا حرق، لكن للأمانة كان مفعول البحر سحري وطبنا بسرعة.

كنا أنا وأولاد الحارة واقفين عالباب بره ننتظر بفارغ الصبر بداية العرض السينمائي لأنهم طردونا من الصفوف الأمامية لزوم حضور كبار الزوار وبدأنا نسمع سيمفونية خالد وهويصرخ وأهله وكبار الزواركل واحد يحاول يحكي مع خالد لتشتيت إنتباهه عن الواو والشاطر اللي بوعد في خالد شو بده يجيبله والزلمه

مابصيح يا خالد، يعني بقصولوا الواوا ومابدهم يصيح والله معه حق يصيح وينفري كمان هو اللي بصيرله قليل...؟؟؟!!!!

وكان صوت النساء وهن يغنين الأغنية المشهورة طاهره يا مطاهر وناوله لامه يا دموع الغالي نزلت على تمه خالد صوته وصل لرب السماء واحنا كلنا حاسدينه... نياله بده يطهر وبده ياخذ شلونة وبرايز وسلفانة... وطلع العصفورة فوق يا خالد واقطش وقطشوها للواوا، وخالد فحم من الصياح وطلع صوت الزغاريت من جوه وما تقلول النسوان إلا معبيات مخزن الكلشن من الزغاريت والشاطره اللي بدها تفضي المخزن أول لأنه كل شيء قرضه ودين حتى دموع العين والمشي عالرجلين وأم (فلان) لأن خالد مش أكبر واحد... لها مناسبات كثير عالجارات فكل الجارات بدهن يقومن بالواجب....

معلش بدي أطلع بره الموضوع شوية جارتنا فتحيه فقعت زغروته زي ما بقولوا بقلب ورب من قاع الدست وماتقول إلا داخله سباق المارثون في الزعاريت وأنا متأكد لو فيه بطولة للزغاريت فتحيه بتاخذ البطولة والكأس...

وطلعت أمه لخالد توزع حلو (ناشد إخوان) وسلفانة وملبس إشترته خصيصاً من الجمعية لأن امي أقنعتها أن ملبس الجمعية جديد وملبس أبو فوزي مبرد ولأنه نتيف وبقطع من جلده وأمي صدقت قصة الطحينية... معلش طلعت شويه عن الخط لزوم الدعاية.

وكنا أولاد الحارة كلنا نفسنا ساعتها نشوف خالد كيف شكله بس أخوه لخالد اللي أكبر منا مش عارف بقديش بس مش هنا الفكرة كان ناصح كثيروكان بعرض الباب لا لا أعرض من الباب... وكنا بندلعه برميل الفسوا (الرقابة هنا ماقدرت تقطش حفاظاً عالمعنى) وكان بحب العظ كثير يمكن والله أعلم من قلة الأكل!!!

أنا ما صدقت وهو يزيح شوي وزرقت جوه وشفت خالد مطروح عالفرشة ومفحج وجهه أصفر زي الليمونة ومليان دموع ....

وكانوا حاطينلوا فنجان قهوة سادة مكان الواوا بعرفش أبو الياس كيف كان مثبته؟؟!! خبرة قاطش اكثر من ٢٠٠٠ واوا... والكل ملتف حواليه اللي بعطيه شلن واللي بعطيه حلو واللي بدلع فيه بس المهم يسكر بوزه ويسكت صاحبنا عليوه وشوشني نفسه يكون مكانه ساعتها... خالد مكيف والكل بحف وبزف فيه وعايش بعز وما حد بقدريحكي معه وما حد بقدر يضربه أو يعتدي عليه.

كان في عنا معاهدة عدم إعتداء على المتطهرين خصوصا أنه ما بقدر يدافع عن نفسه كان في شرف ومواثيق ومعاهدات بين أولاد الحارة أكثر بكتير من اللي بين الدول هالأيام... ثاني يوم الطهور طلع خالد ووقف عالباب ونافش حاله زي ديك الحبش طبعاً ياعم مين قده متطهر، كان لابس دشداشة (جلبية) بيضاء كما هي العادة لزوم الاشهار والتميز عن باقي الأولاد وللتميز أكتر كان لازم يظل شادد الدشداشة من النص عشان ما تلزق في الواوا وكان لازم يمشي مفاحجة لجلب مزيد من التعاطف (لزوم الشغل)...

بس طلع خالد من بيتهم كلنا تحوطناه وكل واحد صار يهزله ذنب من جهة لأن جيبته كانت مليانة سلفانة وحلو وكوني أنا صديقه المقرب كان بعطيني سلفانة (صداقة أصلية) أما عليوة صاحبنا الثالث لم يكن بنفس الدرجة فقال لخالد إسمع أنا رايح أحوشلك الجرابين والشرايط وأعملك طبة (كرة شرايط) هذا كان تخصص عليوة محترف طبب شرايط وما يخلي شريطة أو جربانة عالمزبلة إلا يحوشهم، عرض عليوة لم يلق آذانا صاغية من خالد لأنه صار مقرش ومعه شلون وبرايز

(مصاري) وبقدر يشتري طبة بلآستيك بل بقدر كمان يشتري فطبل...

المهم كان خالد حالة حال كل الأولاد المطهرين يشعربالتميزمن كثرة العز والدلال (شلونة وبرايزوحلو سلفانة ونص أولاد الحارة حوله) وحتى نبقى في الطقوس المصاحبة لعملية الطهور أنا بصراحة مكنتش فاهم المغزى من فنجان القهوة السادة وليش ما يحطوله كباية شاي قزاز عشان نشوف أو أي شيء ثاني أيامها كنت أسمع الزلام لما يتقاتلو بحكوا البعض: يا زلمة أنت كل راس مالك فنجان قهوة سادة وأقول بعقلي أكيد بدهم يطهروا بعض؟! وببراءة الأولاد أقول معقول بنفع الزلام يطهروا بعض طيب هم كبار وكيف بدهم يجيبوا أبو إلياس ومعقول النسوان بدهن يزغرتن ونحن أولاد الحارة بنقدر نتفرج على طهورالزلام؟؟ لم أصل إلى جواب وفي أحد الأيام وكان بعد طهور خالد يمكن بحوالي شهرين سمعنا كلنا في الحارة عن طهور أحد الشباب الكباروكان أكبر منا بكثير وإذا ماخاب ظني لايقل عمره عن ١٨ سنه وكان الجميع في الحارة نسوان وزلام ونحن المساخيط بنحكي في الموضوع وكيف أهله ساكتين عليه وصيح ولا ماصيح وكيف بدهم يحطوا الفنجان، وكانوا بضحكوا علينا وبقلوا أنه كان مطاهر ولكن طهوره مازبط، المهم في النهاية ما وصلنا لنتيجة ولكن بقيت الحادثة في الذاكرة حتى الأن.

وكون خالد صديقي وإبن حارتنا بعد حوالي أسبوع رحت عنده على الدار ولقيت فنجان القهوة قدام أبوه وبشرب فيه قهوة وهنا صرت أنا مش فاهم ولاحاجة وبراءة الأولاد هي الصفة السائدة، فقلت يمكن عشان هيك أمه كانت بتوصيه وهو واقف عالباب يديرباله عالفنجان ومايدير باله عالواوا...!!!! سؤال يخطر على بالي الأن هل يوجد علاقة بين جاهة الخطوبة والزواج وعطوات الصلح وفنجان القهوة والطهور والواوا لأني شفت فنجان القهوة نفسه يستعمل في كل المناسبات؟؟؟!!!!

طيب هل معظمنا بحب يرجع طفل زي ايام زمان لكن بنفع نرجع أطفال بدون ما نطهر.؟؟؟!!! .. مية البحر بتحرق والله ستر كان طهورنا في غزة وما كان في الأردن وأخذونا عالبحر الميت حين نذكر ذكرياتنا في المخيم بحلوه ومرها ومالها وعليها أجزم أننا عشنا طفولة بذكريات خالدة وأشفق على أطفال اليوم وقد إنقرضت تقريباً حفلات الطهورسواء الجماعية أو الفردية لأن الأطفال يولدوا الأن في المستشفى ولايخرج الطفل إلا وهو مطاهر وبدون طنة ورنة وفتحية كمان إعتزلت الزغاريت.





سالم

كان في صفنا في الخامس إبتدائي صاحبنا سالم وكان سالم أكبر مني بحوالي ٣ سنوات ولانه كان تلميذ مجتهد وفلتة في المدرسة كان مدرسين الوكالة حريصين كل الحرص على الإستفادة من مهاراته فكان سالم يجيب السنة بسنتين (أيامنا لم يكن نظام الترفيع التلقائي) فكان أكثرنا خبرة.

وخبرة سالم كانت كيف يلبس عدة بلاطين (جمع بنطلون) فوق بعض لزوم الفلكات حتى ما يشعربألم خيرزانة المدرس أو كيف يضع دم الحردون على يديه حتى لا يتأثر بالضرب بالعصا على يديه وكان سالم دائماً يلبس بالطوا طويل (جاكيت طويلة) وبصراحة الجاكيت كان عامل عمايله مع سالم حيث كان معظم الوقت يضع فيه أغراضه الشخصية لزوم الشغل لأن سالم كان ينتمي للمدرسة إنتماء أما معظم وقته عالجبل في صيد العصافير بالفخ فكان بالطوا سالم يحوي الفخ والدود للصيد وتحت البالطوا قميص ماركة مؤن وكالة الغوث حيث إستلمه سالم داخل البقجة السنوية التي كنا نستلمها وأنت ونصيبك شو ممكن يطلعلك....

كان قميص سالم والله أعلم في يوم من الأيام أبيض ونتيجة إنشغاله وهواياته صار لون القميص ملوش لون أما بنطلون سالم فكان مربوط بسلك بدل القشاط وكان يلبس كندرة بلاستك بدون جرابين (تيوبلس) بها فتحة من عند الإصبع الكبير للتهوية، هذا تقريبا الزي الرسمي لسالم طول السنة وأعتقد أنه الوحيد في المخيم حسب علمي الذي يذهب للحمام وياخذ معه زرادية أو كماشة عشان يفك السلك (القشاط السلكي) ربما كان هناك من يشترك مع سالم في هذا الإختراع ولكن لم تسجله عدسة الكاميرا.

بالمناسبة الصف الخامس كان آخر صف يدرسه سالم وكان من عادة مدرسين الوكالة أن ينكشوا رأسهم أحيانا على واحد من أصحاب الخبرة زي سالم وكان لاتكاد تجد صف يخلو منهم وأذكر يوماً طلب منه الأستاذ أن يخرج ويكتب عاللوح... بدأ الأستاذ بالإملاء وسالم بالكتابة طبعاً لغة غير اللغة العربية التي نعرفها... ربما لغة تشبه اللغة الفرعونية القديمة التي تحتاج حجر رشيد لفكها كان إستغرابنا أن الأستاذ منسجم برؤية طلاسم سالم... وكنا فارطين من الضحك وكان الأستاذ نافز الذي قليلاً ما يضحك يتبسم ويحاول أن يمسك حاله حتى لا تخرج الأمور عن السيطرة، وكانت آخر كلمة كتبها سالم بلغته سايم فسأله الأستاذ أين كلمة سالم يا سالم؟؟؟

فأشار له على بعض النقوش والخطوط والرسوم... فرد الأستاذ ممتاز، ولكن أين حرف الال؟؟؟ فقال سالم حرف الال من وأين جبت حرف الال أنا إسمي مافي الال!!!!!

بصراحة سالم كان صاحب خبرة وحكمة وكانت حكمته المفضلة تفاحة باليد ولا عصفور عالشجرة (خبرة سالم في العصافير لا يشق لها غبار) وما عدا ذلك

الأمور نسبية عند سالم فلو سألته أين كنت مبارح بعد المغرب؟ لأجابك: الليلة الساعه عشرة قبل العصر بخمس دقايق كنت عالجبل .....

يعني الوقت نسبي وممكن يكون معدوم، أساساً شو لزوم الوقت وبهذا يختلف سالم عن أنيشتاين أنه أعدم الوقت ومن أقواله المشهورة أنا مستعد أظل لنص الليل عالجبل أصيد عصافير بس تكون الدنيا شمس أنيشتاين وجابر إبن حيان وإبن سينا مستحيل يفهموا هذه العبارة وهنا لابد من الإشارةِ أننا هنا في كندا وبالذات في شمال كندا في الصيف لا تغيب الشمس تقريباً ثلاثة شهور وبهذا تعتبر جملة سالم نسبية وصحيحة إذا قيلت في كندا أو في السويد، والله طلع سالم مش قليل وثقافته دولية ولايعترف لا بالحدود ولا بالمكان حيث إن مطربه المفضل فريد الأطرش العراقي ليش عراقي؟؟!!! عند سالم الخبر اليقين.

أحيانا كان الأستاذ يتأخر بعض الوقت أو يكون غايب فكنا نستمتع بالجلوس مع سالم والإستفادة من خبرته والحق يقال إنه كان سياسي بارع وحالنا حال بقية أبناء الوطن العربي حيث أن السياسة من المحرمات وتزداد الحرمانية كوننا أبناء مخيم وأولاد لاجئين ورغم ذلك لابد أن يكون للسياسة في حياتنا مطرح كيف لا ومانحن فيه سياسة.

قال لنا سالم لو صارت طوشة بين أبو عمار والأعور ديان (جنرال إسرائيلي كان أركان حرب في حرب ٦٧) بالكم مين بقدر؟؟؟ قلنا مين؟؟؟؟ قال: أبو عمار لأنه بلعب كراتي وممكن يكسره لديان الأعور ويقلع عينه الثانية... بعدين هو منه لحاله قال لأ لأ ديان بحمل فرودة (مسدسات) وممكن يغدر فيه... وهذه هي الحقيقة المرة أن فلسطين راحت خيانة وغدر ولقد كان سالم عاشق ولهان ومرهف الإحساس حيث كان يحب بنت أبوإبراهيم وكان حب من طرف واحد ولايعلم فيه

غيري أنا وسالم بعد أن نشف ريقي وحلفني أشد الأيمان أن اكتم السر والبنت آخر من يعلم وكان يكتفي سالم بالنظرلها من بعيد وهي راجعة أو رايحة عالمدرسة أو وهي بتعبي مية عالحنفية يعني كان حب طاهرشريف بلغة الصم والبكم ولم يصل للغة الإشارة.

وهنا أود أن أعترف بإعتراف أرجو أن يغفر لي سالم ويغفر لي رب العالمين أنني أنا من بدأ يشيش (ليس له علاقه بالشيشة والأرجيلة وإنما تكبير رأس سالم) أن يكتب لها رسالة وهنا رمقني سالم بنظرة كانت تغني عن ألف كلمة ولسان حاله يقول ولك أنت اهبل؟؟!!... ما أنت عارف أني كنت تيس في المدرسة وما بعرف أكتب جملة وكوني صاحب الفكرة فكنت صاحب الحل ولم أكن يومها بدأت في قصتي مع سميرة حيث بدأت القصة بعدها بسنة...

كان لأخي الكبير يومها صديق إسمه ممتاز وكان ممتاز حبيَب رقم واحد وكان يخبئ بعض رسائله عند أخوي كون أبوه رجل شديد حال معظم أبائنا اللي ماكنوا بحبوا العوج ... وكنت بحب البعبشة كثيرولطشت رسالة من درج الطاولة بعد أن عرفت مكان المفتاح...

ولأن أيامنا لم يكن هناك إمكانية لتصويرالورق فكان لابد من نقشها (نقلها) وأذكر مما كان فيها: رسالة تهدى وتروح من فؤادي المجروح إلى أعز القلب والروح وأكتب لكِ بالقلم الأحمر ليزداد الحب أكثر وأكتب لك بقلم الرصاص علامة الحب والاخلاص ..... الخ.

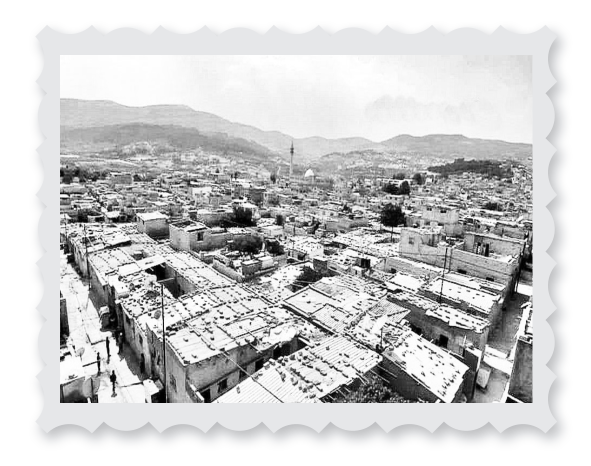
وبعد أن نقشتها رجعتها ولامين شاف ولامين دري، وهنا بدأنا نفكر كيف تصل الرسالة فقال لي شو رأيك نرسلها مع ولد صغير فقلت له مين؟؟ فقال: بلبوش، فقلت له أكيد انت مشرت ومهوي ولك بلبوش.... بلبوش!!!! بلاش خليني

ساكت!!! وبعد التداول رمي لها الرسالة في جردل المية وهي رايحة تملي عالحنفية والبنت ما كانت خايبة ولأنها لم تكن تشعر بسالم من أصله أخذت الرسالة وأعطتها لأبوها وقالت له هيك هيك سوا سالم....

أبو إبراهيم الله يرحمه كان زلمة عقله خزق وكان صوته بجيب التايه ولما بحكي بعبي اللي أمامه تفة (تفاله) وأخذ الرسالة على دار أبوسالم وسمعهم اللي في النصيب وأبوسالم تحمل تفالة أبو إبراهيم وظل يطيب خاطره وبدوش فضايح في الحارة ووعد أبو إبراهيم يصَبغ جلده لسالم ووعد أبو سالم ووفى وربط هو وإبنه الكبيرسالم على العمود ورَوبوا حليبه، ولكن سالم أنكر الموضوع كله وصمد تحت التحقيق والتعذيب ولم يعترف وكان أخو صاحبه وماجاب سيرتي في التحقيق وبالنسبة لسالم الضرب لا بقدم ولا بأخر....

أمه لسالم كانت من النوع الشاطر والمدبر قابلتني في الشارع وقلتلي والله يا غضيب ما عملها غيرك وأنت اللي طغيته لسالم وما بدي تمشي مع إبني ولأنها كانت من جيل أمي وجارتنا وما بنفع أرد عليها قلت لها: إبنك اللًي بمشي معي، إمنعي إبنك (جواب كان قاطع يومها) بعرف أن سالم لن يقرأ المذكرات لأن درساته العلَيا (خامس إبتدائي) ما بتساعده ولكني متأكد أن سالم سامحني وسيسامحني لو وصله خبراني أني ذكرته في المذكرات وأخيراً لمن لا يعرف سالم فهو يدير بزنس ناجح في المخيم وحول المخيم، ولقد قابلته في زيارة لي للأردن في المسجد عام ٢٠١١ وصلى بجانبي ولم يعرفني حيث لم ألتقيه منذ أن تركت المخيم سنة ١٩٨٨ وما أن سلم الإمام حتى سالته بلقى معك فخ قديم؟؟؟

أخذني بالأحضان وقلي والله ما عرفتك وكان نفسي أسأله شغلك بستمر لنص الليل والشمس طالعة؟؟؟!!!



بيتنا

كان بيتا قبل التوسعة كبير كتير (حسب وكالة الغوث بركية ومطبخ تم بناءه بدل الخيمة) مساحته حوالي ستة وتسعين متر مربع بدون حمام لأن الوكالة وفرت في كل حارة حمام واحد للرجال وآخر للنساء، وليش البعزقة وكل واحد يبني في بيته حمام... وكان الحمام بدون باب وعلى من يريد الإستعمال أن يصطحب معه مرافق بمثابة مراقب كي يمنع أي أحد من دخول الحمام على غفلة أو إن لم يتوفرالمرافق فكان إبريق المية يفي بالغرض حيث أن الماء لم يكن متوفر في الحمام لذا كل واحد عليه إحضار إبريقه معه....

أما إستعمال الحمام ليلاً كان يقتضي حمل الفانوس منك أومن المرافق لزوم الرؤيا الليلة وحتى ما تّخبط على لغم أرضي وأنت مش قاشع قدامك فكان كل بيت عبارة عن غرفتين مجازاً الأولى من مسؤلية الوكالة وهي غرفة المعيشة والنوم والأكل والدراسة و...... فقط والثانية مسؤلية أصحاب الداروهي ماتسمى المطبخ يعني البيت يتكون من شبه غرفة وشبه مطبخ ومنافعهم وكان التشطيب للمطبخ والذي منه كل واحد حسب شطارته سوبر شدني لا أقع أما الجاكوزي (برميل المية)

وبركة السباحة (الجردل) وتوابعهم (الكراكيب) لزوم الوسع صافين على باب المطبخ من بره، وكان باب صغير يربط المطبخ مع البركية لتسهيل حركة المروربين الضفة الشرقية والغربية.....

لكن الحقيقة أنا كنت بحب أنام بالمطبخ لأنه شرح أكثر، وكنا جميعاً ٩ أشخاص ننام بغرفة واحدة.

وهذا كان يكلفني الكثير من الإستيقاظ لأن أي واحد بده يشرب أو يأكل بالليل كان لازم يخّبط على وهوماشي أما أخي الأكبر مني فكانت هوايته النوم تحت حامل الأواعي وكان هناك توزيع للمناصب وحرية في الإختيار، الشخص المناسب في المكان المناسب.

أما الحديقة وهنا لابد من التوقف فشعبنا الفلسطيني أينما حل وإرتحل يحب الزراعة ومع أننا ذو عهد قريب في المخيم وحلم العودة كان وسيقى هاجسنا جميعاً إلا أن كل عائلة زرعت في بيتها ما تتقوى به على قادم الأيام والمجهول فكانت حديقتنا عبارة عن شجرة دوالي وشجرة رمان وحوض للنعنع وشجرة ورد جوري.



اسوأ اللحظات كانت لحظة الصحيان الصباحي وطابور الحمام الوحيد... كنت أحاول أصحى بدري عشان الحق دور وكنت أترك مطبخ نومي في محاوله للحاق بما يسمى الحمام ولكن معظم المحاولات تبوء بالفشل فأضطرإلى الذهاب إلى الحديقة وتفريغ التنك على الورد مما جعلها أكثرتفتحاً وأجمل رائحة.

تخوتنا أو أسِرَتِنا كانت عبارة عن فرشات قطن حشو وتنجيد يدوي من بقايا الملابس المستعملة بعد طحنها على المطحنة الزرقاء، التي كانت تزور المخيم مرة أو مرتين في السنة وتعسكر في أول المخيم على المدخل من جهة جرش لمدة تتراوح أحيانا ما بين أسبوع وعشرة أيام لإتاحة الفرصة لإهل المخيم التمتع بما تقدمه من خدمات ،وبعد جمع القطن وتعبأته إما في كيس خيش كبير أو في حرام بعد أن تربط حوافه الأربعة ليسهل حمله، وتبدأ بعدها حفلة التنجيد إما في دكان التنجيد (أقفلت أبوابها لقلة الشغل) أو في حضورالمنجد للبيت أوبعض النساء ممن دفعتهن الحاجة وبهذا كان أهلنا يعملون الفرشات والمخدات واللحف ، أما فرشات الصوف كانت أسمك وكانت تستعمل غالباً للضيوف ومصفطة على الحامل الذي كان يرتفع لسقف البركية وكنا نمارس هواياتنا في النط من فوق الحامل على الفرشات والمصارعة وبعد فترة لما تنعنشت الحالة إشترينا فرشات إسفنج.

وبرغم كل هذا (الوسع) إلا أن البيت كان ملاذ ومضافة كل الأقارب وكنا ننبسط ونطير من الفرح ونكيف لما أحد ينام عنا ونتشارك معهم في إستعمال كافة المرافق. كانت الظروف قاسيه جداً، ولكن تماسكنا وحبنا لبعض كان أشد وأقوى وكانت البيوت ضيقه وبسيطه وفقيره ولكن صدورنا كانت أوسع، كانت رائحة كانون النارأطيب من العنبر ورغيف الخبزالمحمص عليه أشهى من كل المشاوي وكستناء الشتاء والبطاطا الحلوة طعمها على الكانون كان أحلى ....

أمهاتنا ورغم المكابدة طول النهاركن لابد أن يقصصن علينا قصص أمنا الغولة وأبورجل مسلوخة وأبو الفروات وحينها لابد من إطفاء الفانوس أو اللوكس خوفاً من الإختناق إذا ما خلص الكاز إلى أن نصل إلى جملة توته توته خلصت الحدوته، حلوة ولا ملتوتة...؟؟!!!

وأحيانا تخلص القصة والكل يغط في نوم عميق وأحيانا جزء منا صاحي والباقي نائم وكنا نحفظ القصص عن ظهرقلب ورغم ذلك نحب أن نسمعها باستمرارلعل وعسى تظهر تطورات جديدة!!! كنا نفيق على صوت ساعة (بق بن) من إذاعة عمان وعلى برنامج الحج مازن القبج (مع المزارع) في برنامجه الصباحي المبكر بصياح الديك والعبارة الشهيرة من الحج مازن (أخي المزارع الكريم الله يصبحك بالخير) من الراديو (الروسي) وكان هو المشهورويشتغل على بطاريات أبوعشرة حيث كان للراديوحضورفي حياتنا، أما البرنامج الذي كانت معظم العائلات تنتظره كل يوم وتقدمه كوثرالنشاشيبي هو (رسائل شوق) حيث تقطعت العوائل وتشتت فكان برنامج غاية في الروعة فهو يطمئن العائلات عن أبنائها وأقاربها وأماكن تواجدهم لعل وعسى أن يلتم الشمل وكان صوت فيروز:

«جايبلي سلام عصفور الجناين... جايبلي سلام من عند الحناين»

وهي تصدح به مقدمة للبرنامج. وكانت مسحة الحزن في المتابعة والترقب هي الصفة السائدة وحتى تبقى الذكرى حية وخالدة أرفق لكم مقتطف صغير من البرنامج - أنا الحجة وضحة من باكة الحطب وصلنا يمه أول مبارح مخيم الوحدات إطمئنوا وطمئنونا...يمه كواشين الأرض ديروا بالكوا عليهن- - من جمعة صابر أبو العدس إلى الأهل في شويكه الرجاء إرسال التصريح بسرعة حتى نتمكن من الحضور- أما ساعة الظهيرة فكان برنامج محمود أبوعبيد ونبيلة السلاخ (أوراق ملونة) بنكهته الثقافية السلسة ينقلنا من جو الحزن والترقب إلى جو الإعتدال والمعلومة المعدة باتقان.

إلى أن تأتي نشرة الأخبار لتخبرنا أن القضية من أيام المندوب السامي كما هي... ومن برامج الظهيرة لابد أن تسمع أغنية لعبد الحليم أو فريد الأطرش من

أغاني الطرب الجميل أو أغنية لفهد بلان وركبنا على الحصان.

أما فترة الغروب المصاحبة لساعة الغسق فكنا كل يوم من الخامسة والنصف وحتى السادسة على موعد مع أحد روائع سيدة الغناء العربي أم كلثوم كان يومنا بعد الإفتتاح بقراءة القرأن ومن ثم ديك الحج مازن إلى أغنية أم كلثوم يسيربنسق وتسلسل عجيب ألفناه وإعتدنا عليه وكبرنا وهاجرنا وتغير الزمان والمكان إلا أن صدى الزمن مازال يحمل لنا عبر الأثيرذكرياتنا الجميلة لتبقى أرواحنا ترفرف حانيةً حول المخيم وفي المخيم تنبئنا أن أجراس العودة إلى فلسطين لسوف تقرع.

هذا البيت الصغير أنتج تسع بيوت كبيرة والحمد لله منتشره في أصقاع المعمورة وتحمل أربع جنسيات مختلفة، إيرلندي وسويدي وبلجيكي وكندي والأصل سيبقى دائماً فلسطيني....





الطب الشعبي في المخيم

شعبنا الفلسطيني يُثمر أينما كان... يَزرع عالصخر وردة تنمو وتتمدد وتُغطي الصخرولاَترى إلا جمال الوردة الآخاذ ولو قالوا لك تحت الورد صخر لنعتهم بالجنون فالورد يحتاج تربة خصبة، ولكنا نحن تراب الأرض وسماده نحن حصاده وسنبلة..

حمل شعبنا معه عاداته وتقاليده وتراثه في رحلة الشتات فهي جذوره وثقافته التي لايعيش بدونها وكون المخيم حوى هذا النسيج الفلسطيني المنوع والغني ففيه الساحلي والمدني والقروي والجبلي والبدوي، ومع رحلة المعاناه والتهجير وضيق ذات اليد كان لابد للتعامل مع الأحداث في حينها بما هو متوفرفعيادة الوكالة تغلق أبوابها بعد الظهروإمكانيتها على قدها والمواصلات صعبة وغالباً قليلة والإمكانيات شحيحة.

هذه العوامل كلها وربما غيرها ساهمت في شيوع الطب الشعبي وكما هو معروف الحاجة أم الإختراع، حيث كان الحج إبراهيم أبوعبيد عليه رحمة الله مُجبراً

شعبياً يعالج الكسور مشهود له بالخبرة الممزوجة بعبق السنيين الطويلة ويشار له بالبنان ولايتقاضى على طبه الشعبي أجراً إلا من الله وبلا شك كان غيره في المخيم، ولكن لا تحضرني الأسماء وربما لم يتمتعوا بخبرة الحج إبراهيم....

أما إذا تمعنا في كل حارة لوجدنا لها خصوصية فقد كان عنا في الحارة من تعالج بنات الأذنين (إلتهاب اللوز) بالتمريج بزيت الزيتون وكانت النصيحة الشهيرة من أصحاب الخبرة أن يبتلع المريض بيضه مسلوقة وسخنة وبتكون طقة طقة..

طبعا كان الأولاد في المخيم طاقة حركية هائلة وبنشتغل بحق الله ومن أول النهار لبعد المغرب يعني هيك هيك لازم نطيب وأساساً كثرة الحركة تقلل الشكوى فكنا ما نعرف إذا كنا مريضين ولا لأ....

إما إذا كان الولد صغير وعليه حرارة فتهرع به أمه إلى إحدى العجايز، حينها يا إما بكون الولد خايف وهنا لابد أن تُقطع له الخوفة بالتمريج من عند شرش الطول.

وإما يكون الولد محسود... فإن كان محسود تظهر العلامات على العجوز المعالجه بكثرة التثاؤب وحينها أم الولد أو كنة العجوز أومن حضر من نساء الحاره يشهدن وبلسان واحد وعلى قلب واحد بان ثمها للعجوز تشّلق من التثاؤب فمعناه الولد أكيد منفوس ومحسود فلا بد أولاً من قراءة المعوذتين وآية الكرسي ولأن العجوز وصلت ما بعد سن اليأس بعشرطعشر سنه فهي دائماً طاهرةً وعلى وضوء...

يعني ما بصير اللي تمارس الطب الشعبي وتُمرج الأولاد وترقيهم أقل من السن القانوني (قاطعة) وأعتقد أنه الرقابة لاتعترض على التعريف وبعد الرقية يأتي دور أبوفسوخ والتبخيرة لأن أبوفسوخ بفسخ الحسد (اللي مش عارف يسأل أمه إذا عايشة أو سته أو أي أحد من الكبار) وبعدها لازم نُكمُر الولد بالبطنية حتى يِعرق ويروح عنه الحسد، أكيد رايح يعرق والله يستر ما ينخنق كمان ....

إذا استعصى الامر والولد ماطاب معناه العين قوية فلابد العجوز تقدح فوق رأسه رصاص فإذا طش الرصاص وتشكل هنا تبدأ حملة الضرب بالودع والتنجيم ومين هي مليها بالعارض اللي طست الولد بالعين؟

وبصيرن النسوان الحاضرات كل وحدة تمسك الرصاص بعد ما يبرد ويكون تشكل حتى تشوف الرصاص بشبه ملامح مين، صحيح قبل ما أنسى إذا كان الولد محسود الرصاص لابد أن يتشكل بما يشبه شكل من حسده (الرصاص حيتشكل الولد محسود ولا مش محسود... وما تجيبوا سيرة لأن العجوز بتزعل وبتطردنا بره لو قلنا غيرهيك) حينها الكنة تعطي إشارة من طرف عينها لأم الولد أنها عِرفت مين هي المبلية اللي حسدت الصبي.

هنا تتدخل العجوز منعاً للمشاكل وتقول يا بنات ما تحطن في ذمتكن حرام، ولكن فضول الكنة يدفعها دفع للحكي ولو بتموت لازم تحكي وتبدأ تتفل (لازم تتفل ثلاث مرات) في عبها وتقول الشر بره وبعيد واللي حسدته...هنا يأتيها التقريع الشديد من حماتها ولِهههههههههههههههه أكيد الكنه بتنكتم.

وكانت هناك الدعبوبة (الرغيف الصغير) التي توضع تحت مخدة الطفل لكي تمنع الكوابيس وما بقوم في الليل مفزوع وإذا ماكان عارف يرضع بكون سقف حلقه نازل وبالتالي العجوز بتحط إصبعها تحت لسانه وبتفركوا عشان يرتفع ويعرف يرضع.

كما يوجد هناك فرع خاص بالتمريج للنساء المتزوجات واللواتي تاخر حبلهن أو عندها طفل، ولكن تاخر حبلها بالثاني أو ظهرها خفيف وما بشد الحمل، حينها المساخيط الصغار لازم يطلعوا برة لأنهم زي التلفزيون بث حي مباشر صوت وصورة.

وهناك طريقة إضافية إن لم تنفع الطريقة الأولى، ولكنها أكثر رعباً وهنا مربط الفرس وهي إحضار تراب دم قتيل والإغتسال عنه (وهي كيف بدي أشرحها يالله السلامة) وهذه طريقة مجربة وطقة طقة وما بتخر المية....

وإذا كانت الوحدة تعرضت لخوفة شديدة وروكبت (لم تعد تقوى على الوقوف) فطريقة التمريج تختلف وحينها تلجأ العجوزالمعالجة إلى إستعمال طاسة الطربة بعد تركها طول الليل وهي مملوءة بالماء تحت النجم لكي تشرب منها المطروبة.

ولابد من العودة للطب وعيادة الوكالة حيث كانت العيادة وبرغم قلة عدد ساعات العمل تخصص أيام للعلاج ولازلت حتى هذه اللحظة لا أعرف لماذا خصص يوم الثلاثاء للحبالى، ولذا ما كنا نسترجي نقرب على العيادة يوم الثلاثاء... لهذا ربما كان العلاج الشعبي للحبالى منتشر لأن يوم واحد أكيد لايكفي مع كثرة الزوار والمراجعات ، بينما العجايزموجودات في كل وقت وكل حين. وقبل أن ننتقل لوصفات الطب الشعبي الخاص بالرجال هناك العلاج الشعبي للسماط للأطفال بالتراب الأحمر ذو الحبات الخشنة ،وبعد إضافة المية عليه يصبح كالعجينة ويوضع على مكان التسميط (تراب ناعم ما بنفع) وهذا كان متوفر بكثرة عالجبل وياما عبينا منه لأهل الحارة وهو ينفع للصغار والكبار، والكبار بسمطوا أكثر من الصغار بالذات إذا كانوا ناصحين ولكن الكبار بستحوا يحكوا.

وكما أسلفنا الأولاد ماشاء الله عليهم حركة دئوبة لاتعرف الكلل ولا الملل فكان كثير ما ينطبش الأولاد ويطيح الدم وهنا يهرع الجميع بحثاً عن القهوة لحشو الجرح وقطع الدم، وأيضاً يحضرني سؤال لو حطينا طحين ما كان يفي بالغرض؟؟؟!!!!

وكان لأمراض العيون نصيب من الطب الشعبي فلو أصيبت عين الولد بالشحاد فلها حللين وحسب عمر الولد فإما أن يشحد من عند الجيران رغيف خبز أو أي من النساء المرضعات تقطر له في عينه من حليبها الطبيعي (مش نيدو) ولابد أن تكون المرضع بتّرضع بنت أما اللي بتّرضع ولد لأ... وكان منظر مألوف تشوف الولد مشنقح (مصطلح ولا موجود بكل قواميس اللغة إلا في المخيم) وإحدى نساء الحارة تقطر له وأخيراً بالنسبة للأطفال كانت الصبرة المرة علاج للفطام ومع أنها علاج شعبي وطب عربي إلا أن أطباء اليوم لاينكروا إستعمالها (ياويلك إذا بتعترض حينها أنت شو بفهمك ويلعن أبو الأستاذ اللي علمك والمدرسة اللي حاوياك) يعني الأستاذ بدل أن يُشكرينوله من الحب جانب...

وقد كان يعالج أبو داج (النكاف أو أبو دغيم) بالكتابة على وجهه مكان الورم آيات قرأنية بقلم الكوبيا أما فيما يخص وصفات الرجال الخاصة بالشسمو...

والشسمو عنا ممكن نستعملها لأي شيء غير الشسمو اللي عندهم لكن مش حيسمحولنا نحكي عن الشسمو هنا ومقص الرقيب حيقص كل التفاصيل الخاصة بالشسمو ولا قَصة أبو إلياس ، وهيك بنكون لاحكينا ولا سكتنا لكن عالعموم عند العطاريين كل تفاصيل علاج الشسمو.

أما العريس حديث الزواج والمربوط فله عدة طرق للعلاج من ضمنها الرقية وفك السحر وعمل حجاب وكانوا يسخنوا الكزمة ويخلوا المربوط يشخ عليها وبنفك عنه الربط ولابد أن يكون المُعالِج متمكن حتى لاتطول فترة الربط ويدخل العريس في مشاكل قبل أن يَدخل.

وأخيراً آخر العلاج الكي فكان يستعمل الكي من ضمن الخبراء وكان سيدي الشيخ ليمون (الشيخ محمود الشريف) من أبرزالمعالجين بالكي وبالرقية الشرعية

ولقد شهدت له أكثر من مرة وهويكوي رجليه من عند الركبة ويضع عليها ورق دوالي مع مسحوق خاص كان يصنعه على شكل مرهم وكانت رائحته كريهة جداً، حتى الرجل مكان الكي ما دُوحِس وكل ثلاثة ايام يغير عليها ويستبدل ورق الدوالي، يذكر أن عِرق النسا (يصيب الرجال) كان علاجه الناجع الكي.

نكتفي بهذا القدر من طبنا الشعبي الذي عشناه في المخيم ولا أدري ماذا بقي منه وماذا إنقرض.





التراث الشعبي في المخيم

يرتبط التراث الشعبي لأي جماعة من الناس بما إكتسبته عبر سنين عمرها وما تعلمته وما نقلته عبر الأجيال فيما يخص نفس المجموعه أو فيما نقل للمجموعة من تجمع آخر وتم تداوله حتى صار جزء من تراثها أحيانا كما هو وأحيانا تضفي كل مجموعة سماتها الخاصة على تراثها ليبقى لها هوية مميزة تعرف بها بين الناس....

وبما أن مخيمنا جزء من النسيج الفلسطيني الضارب في الأعماق فقد حمل معه في شتاته ذلك التراث العريق وكما كان دلعونا وزريف الطول على موعد وأصبحا رمزاً في فلسطين كلها بعد أن قرر زريف الطول يرحل ويبعد عن دلعونا بعد أن حبسها أهلها ومنعوها من لقاء زريف الطول وأرسلت مع إحدى صويحباتها كلاما أصبح يغنا من يومها وحتى هذه اللحظة والتي قالت فيه لعلها تستعطفه ويبقى:

يا زريف الطول وقـف تـا أقولك
رايح عـالغربـة وبلادك أحسنلك
خايف يا المحبوب أتروح وتتملك
واتعـاشر الغيـر وتنسـانـي أنـا

هذا الكلام الجميل الجميل لم يثني زريف الطول عن قراره بل زاده عناداً وإصرار على الرحيل وهكذا أثبت زريف الطول بعناده ويباسة رأسه أنه فلسطيني (هذه صفة مدح وليست ذم) وراحت في كيس دلعونا لأنها ما كانت عارفة مع مين بتتعامل ومن يومها خلّد شعبنا الفلسطيني قصة دلعونا وزريف الطول وأصبحت تنسج الأغاني والمواويل على هذا النسق وصارلكل قرية ومدينة كلماتها الخاصة التي حورتها بعد الحفاظ على المقدمة مشتركة لكل فلسطين تقريباً...

شكلنا حنخرج خارج النص وعن الموضوع الأساس وبنعيد قصة دلعونا وزريف الطول وبنصير نلطم من الزعل والحزن لأننا هيك من يوم ما هُجّرنا من أرضنا ووطنا صرنا نشعر كل شيء ضدنا ولو سألت أي فلسطيني عن حظه لأجابك أسود في كل شيء إلا في البطيخ أبيض وعلى فكرة هذا ليس خارج السياق بل هو جزء منه لأننا نتوارث كل تفاصيل حياة أهلنا حتى الحزن...

وبما أن جو الحزن يسبق الفرح في معظم الأحيان فلابأس من ذكر هذة القصة التي كنت أحد شهود العيان عليها وكنت صغيراً وكان بعضاً من رجال الحارة يجتمعون بشكل يومي في حارة السوق ويبثون شكواهم وحزنهم لبعض ويلعبون مع بعض السيجة والضامة ويرتفع صوتهم جروك أكل جروي، وكوني كنت صغيراً وأخذ الكلام كماهو أقول كيف الجرو يمكن أن ياكل الجرو وأنا مش شايف بينهم لاجرو ولا كلب...

وبعد أن يسود الأمن بينهم يبدأوا في سرد حكاياتهم ومن يومها لم أنسى وحتى هذه اللحظة بعضاً من العتابا التي سمعتها وكانت مؤثرة وحزينة:

وقال أبو العبد يومها....

الله أكبر يوم هجينا   سوافي الرمل عمت عينينا...

الله أكبر يوم هاجرنا   سوافي الرمل عمت بصرنا

وما أن إنتهى أبو العبد من ذكر هذه البيتين إلا والدموع تنهمر من عينيه وكان أبو العبد يلبس الطاقية الفلسطينية المنسوجة من الصوف وتوضع تحت الحطة، وشالها عن رأسه وكان أصلعاً وضربها على ركبته وكنت يومها مع سيدي الشيخ ليمون (الشيخ محمود الشريف) ولذا سجلت الحدث صوت وصورة ولا زال حتى هذه اللحظة وكانه شريط سينمائي أمام عيني.

وقال بصوت متهدج معقول ياشيخ ليمون نموت قبل ما نرجع للبلاد؟؟؟!!! رد عليه سيدي وقله والله يا أبو العبد لنرجع غصباً عنهم... لقد خلد شعبنا الفلسطيني تفاصيل هجرته وألمه وما مر به من صعوبات في أبيات عتابا ولازالت الأجيال التي ولدت في المهجر والشتات ترددها مع أنها لم تخض التجربة، لذا نحن شعب فلسطين حزننا متوراث إلا أن شعبنا الذي إعتاد أن يكون ولاداً دائماً حيث ان الشعوب الولادة لاتموت وإنما تموت الشعوب العقيمة فكان لابد أن يستقوي على ظرفه ليبقى ينجب لهذه الأمة أشبال وزهرات وحتى تتم هذه الديباجة كان لابد أن يكون للفرح مطرح ولأن العرس الفلسطيني وزفة العريس لهما في أفراحنا ركن ركين ومقام مكين فكنا نحرص على الإستمتاع بذلك المشهد الذي يسبقى منقوش في الذاكرة كما قال «طرفة إبن العبد» في محبوبته خولة...لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد.



والمشهد الذي سأذكره ربما لايعرفه إلا جيل الستينات وما دون أما جيل السبعينات والثمانينات فراحت عليهم...

كان الحج هاشم العبسي عليه رحمة الله يُدخِل في أي عرس يحضره بهجة وفرحاً وأنبساطاً لا يتقنه في زماننا غيره فكان يجيد زفة العريس التقليدية وليس هنا بيت القصيد بل ما كان يقدمه من مشهد تمثيلي قبل الزفة يشحن الحضور بكم هائل من الإنسجام والإنبساط والتشويق لما يقدمه الحج هاشم حيث كان يحمل على ظهره الحج أبو محمود وكان الحج هاشم حافي القدمين ولهذا سبب قوي حيث يعطيه ثباتاً على الأرض أمتن وفي نفس الوقت يستعمل شبشبه البلاستك في طقوس مشهده الثمثيلي.

بعد أن يثت الحج أبو محمود على ظهره ويمسك بيده فردة الشبشب يبدأ المشهد حيث كان يقول:

أنا رايح على الحجاز   شو أجيبلكم هدية

وهنا لابد أن يمر على الجميع ويسأله حتى ما أحد يعتب عليه وفي نفس الوقت يزداد عذاب الحج أبو محمود فيقول أحد الحضور، جيبلي معك سبحة فيرد الحج هاشم على رأسي ويضرب الحج أبو محمود بالشبب، ويعيد نفس البيت غنائاً:

أنا رايح على الحجاز   شو أجيبلكم هدية

ويسأل الذي بعده فيقول جيبلي مية زمزم فيقول الحج هاشم على رأسي ويضرب على رأس أبو محمود بالشبشب، الجميع يضحك وأبو محمود يأكل كتل...

آه يا أبو خليل شو أجيبلك؟ فيرد أبوخليل سلامتك (هذا الرد لايعجب الحج هاشم لأن أبو محمود فلت من ضربة) فيقول الحج هاشم لاوالله ما بصير زيك

زي غيرك، فيقول أبو خليل طقية فيقول الحج هاشم على رأسي (أخبط أكلها أبو محمود) ويزيد التاكيد الحج هاشم على راسي أنت والطقية (أخبط)...

وبعدين أحد الحضور ينادي على الحج هاشم...حج هاشم ما تنسى الهدية فيرد الحج هاشم بعصبية هو أن عقلي دفتر ولا عقلي في طيبيبي... (هنا تتدخل الرقابة وتقطش الكلمة)، والحج هاشم بالإصبع الأوسط يبع....ص (أيضاً الرقابة تتدخل وتقطش) طبعا الحضور هنا تسمع ضحكاتهم وكل واحد ضحكته من الأذن للأذن، وهكذا إلى أن يهري وبره للحج أبو محمود ضرب وبع...ص.

هنا يلتفت الحج هاشم لإحد الحضور وينادي أبوحسن ساق الله عليك تشوف أختي أم حسن إذا بدها حاجة أبوحسن: أختك أم حسن بدها سجادة صلاة ياحج... على رأسي يا أبو حسن (أخبط).

وننتقل للمشهد الآخر الذي ربما سمع البعض عنه أو رأى منه مشاهد في التلفازفي بعض التمثيليات أوالمسلسلات ولكنّا شاهدناه رأي العين حقيقه واقعة من بطولة الحج هاشم والحج أبو محمود وهو عجين الفلاحة:

مرة كيف تعجن الفلاحة، ومرة كيف ينام العازب ومرة كيف ترقص العجوز، وكيف تمشي العروس وكيف وكيف والكل يتفرج ويضحك ويتابع بشغف شديد وكان ينهي الحج هاشم بصوته الأجش الرخيم بالأغنية المشهورة...

كنت عزب داير مبسوط... بلعب بين الشبان... قلي عقلي وتزوج ... إلى آخر الأغنيه (وهنا لابد من التنويه إلى جهوزيتي لإحياء حفلة زفة العريس لكن دون المشهدين التمثيلين الأوليين)... دعاية مجانية.

هكذا كانت أفراحنا فريدة في كل شيء في الأداء ، فريدة في الحضورالذي كان

غالباً يملئ الشارع وجنباته والكمبرس حافظ وبيشارك في كل المشاهد أما ليالي السامر فكانت تستمر ثلاث ليالي من بعد المغرب إلى مايقرب منتصف الليل يحيها شباب المخيم بالصوت الحنون» كالحياني» مثلاً وأحياناُ كان لحضور أحد شباب المخيم الله يذكره بالخير فيصل الشوبكي (كان أبكم/ أخرس) وكان من الشباب الزقرتات وكان شباب المخيم من جيله يّصروا على فيصل أن يقول موال وكان فيصل يلبس قميصه الكاكي المزركش، والبنطلون الشرلستون والكندرة الكعب العالي (الموضة القديمة في السبعينات) ويمسك فيصل الميكرفون ويصدح بالموال (هنا لابد من التقليد حيث أن الكتابة لاتفي بالغرض ولكني متأكد أن الكثير شاهد وحضر على الأقل عرس أمتعنا فيه فيصل بمواله) وهنا كان يهيج الحضور ويطلب من فيصل أن يعيد الموال تحت هتاف الله... الله.. الله... عيدها.. عيدها...عيدها ... طبعا فيصل بما إبتلاه الله بعدم القدره على الكلام إلا انه كان مثال للشاب الخلوق ذو الروح المرحة جداً لم يكن يقول ولا كلمة غير نغمات وطنطنات يخرجها تدل على أنه يقول موال... فكان فيصل يجيد الأداء التمثلي والحضوريتفاعل لم يكن من جيلنا من يستيهن بأصحاب الإعاقات، بل كانوا بيننا يتمتعوا بالتقدير والإحترام ...

وحتى لانخرج خارج المشهد بعد أن يقول فيصل مواله الشهير يُعرش فيصل وينظر للحضور من كل الإتجاهات (يمكن أحد مش عاجبه الموال) ويبرم فيصل شاربيه دليل رضاء الجمهوروتكون بإنتظاره كاسة شاي معتبرة مع سيجارة جاهزة وعلامات الزهو والإنبساط تكسوا محياه ...

وتلومونني في حب المخيم...؟؟؟!!!

طوعنا بالإمكانيات البسيطة جداً والتكاتف والود والمحبة ظروفنا القاسية حتى

خلتنا نعيش في مدينة أفلاطون الفاضله... سلام على المخيم حيث ولدنا... سلام على المخيم يوم عشنا... سلام عليه يوم كبرنا ودرجنا.. سلام عليه يوم إغتربنا... سلام عليه حتى نعود... سلام عليه بعد أن نعود... ...

وكان للدبكة بنكهاتها المنوعة الوحدة ونص والطيارة والشمالية حضور في أفراحنا كما كان للدحية في فلكوربئر السبع حضوراً جذاباً ولم ينسى زجّالوا المخيم من إضافة البهجة لما يقدموا حينما أضافوا...

و نحن لما جينا عالمخيم حسبنا الحرش ملوخية ومن أرخ للهجرة بسوافي الرمل فلابد أن لا تفوته أن يؤرخ لما شاهده في سكناه الجديد حيث الأحراش تحيط بالمخيم من معظم الجهات كالسوار بالمعصم لاأذكر أننا إنعزمنا على عرس في المخيم بل كان حضورنا جزء من الواجب نلتقي ونشارك ونفرح ونبارك ويوم الجمعة بتكمل الفرحة أولاً بطلع الغداء براني كيف ولا ونحن حندفع ثمن الغداء مشاركة ودبك وأغاني وتحميم العريس والزفة إلى أن يصل العريس باب بيتهم، وكان العريس أيامنا رغم كل بهجته وفرحه بلمة الأحباب حوله بفرحة العمر إلا أن الكتل اللي كان ياكله خلال التحميم حمار ما بشيله وما بعرف ليش كان الكل يتأجر بالعريس؟؟؟؟ عالعموم كله مسجل عالدفتر وجايك الموت ياتارك الصلاة.

وكله كوم واللي كانوا يليفّوا العريس بسلكة الجلي كوم وفي أحد الأعراس وكان العريس صديقي وكنت أحاول الدفاع عنه، ولكن هيهات هيهات أكلت كتل أكثر منه وطول الزفة ظهره متورم من التلييف والكتل، وكان حمام العريس في بيت من بيوت أصحابه أو أقاربه أو معارفه المقربين ولازم ما يكون قريب على بيتهم عشان ما تخلص الزفة بسرعة وما نكيّف لازم نلف نص المخيم ونكيّف ... والله الصحيح يا عليوة كنا نكيّف.



وبما أن اللفة طويلة ولأن الفرحة كان يشارك فيها من يستطيع، كانت النسوة بالذات عندما نمر من أبواب أحد البيوت يعفرن فوق رؤسنا ملح مخلوط مع الشعير ولا أعرف الحكمة من ذلك غير رد الحسد وكانوا يعمو عيوننا، وشعرنا يمتلىء بالشعير... كله فدا العريس بهون، لأننا كنا نغني في الزفة يا عريس لاتهتم ونحن شرابين الدم...ياعريس لا تعبس بدك عسكر بنلبس حتى ثقافتنا عسكريه ودم...!!! شعب وطنه محتل شوممكن يغني؟؟؟

أما البعض الآخر كان يرمينا بالحلوى والملبس التي كانت تتساقط فوق رؤوسنا كلما مرت الزفة من أمام دكانة أو من أمام أحد البيوت، وكان الأطفال يرصدون أي حركة لأن عيونهم كعيون الصقر مركزة على الحلوى المتطايرة ماركة «ناشد أخوان» من أي إتجاه ستقذف علينا والإستعداد والتأهب للقفز في الهواء للظفر بحبة حلوى ويمكن خربانة لكن الفكرة في المشاركة ولم يكن أحد من الحضور يعكر براءة أطفال أكبر همهم في هذا الموقف الحصول على حبة حلوى الشباب كل واحد فيهم لابس اللي عالحبل (أجدد ما عنده وشغل البالة وقعمز ونقي ما بزبط يوم الزفة) وكانت الموضة أيامها الشباب يحطوا محرمة القماش على قبة القميص لكي تمتص العرق، والشليش (الشعر الطويل) والقمصان المخصرة

وأزرار القميص مفتوحة لنص البطن والبناطيل الشرلستون مع الكنادر الكعب العالي هي الدارجة تلك الايام.

وكانت النسوه تمشي وراء الزفة للمشاركة وبعض النسوة يحملن فوق رؤسهن صواني الطحين مع الريحان والورود وصندوقين ناشد، ونص الطحين بكون مسوس ولكن لاحرج حيث أن السوس لايتجاوز ماهو مسموح به من هيئة الرقابة والمقاييس كان ينتهي دورنا حين وصولنا لبيت العريس وهنا يتم تسليم العهدة (العريس) للتتولى بعدها النسوه سواء من أهل العريس أو أهل العروس والجارات والأقارب إكمال ما تبقى من الحفلة أو مايسمى الجلوة أو الصمدة.

وهناك فرق بين الجلاء (الرحيل) أو الجلوة التي أخذ إسمها من تجليل العروس والفرق كبير وتم التنويه لأن اللفظ في بعض الأحيان يلتبس على البعض وبما أن الحديث عن الذكريات فلابد أن يكون إستعمال الكلمات به نوعاً من الدقة.

الصمدة كانت من تخصص النساء ولأننا كنا صغاراً بعض الشيء ومرفوع عنا القلم فقد كنا نحضرمعظم صمدات العرائس في الحارة حيث لاحرج في حضورنا كوننا جزء من فرح الحارة مش مثل هذه الأيام التي تمنع حضور الأطفال وتذيل بطاقات الدعوه أحلام سعيدة لأطفالكم، مساكين أولاد هذه الأيام ما بكيفوا زي ماكنا نكيف...!!!

وهنا لابد من التعريج على حقيقة أن مجتمع المخيم كونه مجتمع محافظ فكانت هذه التفاصيل تسير بنسق سهل ومتعارف عليه ولو حضر إخوة العريس أو بعضاً من أقاربه فلم تكن لتشكل حاجزاً صلداً لسبب رئيس أن الناس فيما بينها كان عماراً ولم تكن كثير من التعقيدات والمفاهيم الجديدة قد دخلت علينا ، وكوننا

نتحدث عن الذكريات كانت فرصة العرس أن تجد أو يجد من يبحث عن عروس فرصه للبحث سواء لإبنها أو أخيها أوسلفها.

لم يكن لبس النساء في المخيم فاضحاً أوعرياناً في حفلات الأعراس وربما كان هذا مما يقلل العوائق.

وكانت أخوات العريس وقريباته وأخوات العروس ومن ترغب من الجارات والحضور يتبارين بالرقص والغناء.

كانت ليلة العروس تبدا بالبدلة البيضاء وتبدأ بعدها العروس في تغيير البدلات وكل بدلة لها أغنية مثل (لبست البني ، شلحت البني رايحه تجنني ياعيني على ضمة نعنع) ، إلى أن تصل إلى البدلة السوداء والتي تعني أن حفلة الصمدة أوشكت على الإنتهاء والعريس أخذ العروس روحوا يا أولاد ال.... هنا (الرقابه تقطش ايضاً) لازم نلاقي حل مع القطش وإلا تفاصيل كثيره حتروح......!!!!

زمان كانت فرحة العرس تدفع بقريبات العروس أن يعددن للمناسبة فستاناً مناسبا وكانت موضة التفصيل هي الموضة الدارجة سواء للعروس أوقريباتها وكانت أم العروس وأم العريس تهدي بنات العائلة والخواص قطع قماش للتفصيل كان من بين الخياطات التي تُلف أصابعهن بالحرير سيدات فاضلات كأم ماهر العزازي وأم ماجد أبو زهري وهنا لاحرج من ذكر الأسماء كوننا نسرد ذكريات وهي ليست سرية ومعروفة للأغلبية وفي نفس الوقت الإشارة إلى أن مخيمنا العزيز بإمكانته البسيطة جداً إلا انه كان يحوي طاقات هائلة ومواهب متعددة لو أنها وجدت الراعي المناسب لكانت صنعت العجائب وفي نفس الوقت تعطي فكرة لمن يقرأ ولم يكن يعرف عن هذه التقاليد ليقارنها بما يراه اليوم و ليعيد لمن كان

شاهداً على الزمن الجميل لحظة الذكرى التي يُمتع بها ذاكرته... للأسف طغت الحداثة على البساطة وتلاشت تلك التفاصيل ولم تعد العروس تُبدل بدلاتها ولم يعد للتفصيل ذاك الزخم إلا في أضيق الحدود.

كانت فترة الخطوبة قصيرة نسبياً والعروس والعريس حديثوا عهد ببعض فكانت جلسة الصمدة بين العروسين فرصة لتسجيل لقطات كثيرة تبقى عالقة في الذاكرة وفي نفس الوقت تبادل الحديث البسيط الممزوج بالخجل ويتلون العريس بكل الوان الطيف وكذلك عروسه حينما يتبادلان كأسي العصير وكل واحد يُشرّب الآخر، والعروس حينما تقوم ترقص كان رقصها لايتجاوز بعض الخطى المتزنة الرصينة، أما مانراه اليوم فالعروس ما أن تقوم ولاكل الدنيا بتقعدها وما تقولوا إلا أنها بدها تتجوز عشان ترقص..

يمكن لودت شوية (خرجت) عن الموضوع لكن ياجماعة في عرق للحياء مفقود هذه الأيام... وبما أن الشيء بالشيء يذكر، أذكر في أحد الأعراس وكانت العروس بنت عم العريس اللّزم وبعد أن تبادل العروسين العصير وما هي إلا ولحظة صمت سبقت العاصفة حيث أن العريس لا أعرف كيف تجرأ وباس العروس على خدها... على خدها مش مكان ثاني لأن هذا حدث في السبعينات مش اليوم إلا والعروس تصقعه بالخمساوي على نيعه كف بصوح صوح ، وما تقلقوا العروس الأن أصبحت جِدة وشكلوا من يومها الزلمه بمشي عالعجين بخربطوش وبما أن هناك بعض التفاصيل الشيقة فيما يخص الفاردة وليلة الحناء وطَلعت العروس وما يترافق معها من مواقف وكذلك مايرافق ليلة الدخلة من عادات كانت موجودة تفاصيلها بعضه مضحك جداً وبعضه مؤلم.



كانت ليلة الحنة لها طنة ورنة للعروس حيث كانت أم العروس تجهزلجن العجين بالحناء لكي تكفي لكل الحبايب وليلة الحناء كانت أم العريس وقريباته وبنات بلده وبعضاً من الجارات يذهبن في موكب مهيب لدارالعروس حاملات على روسهن عصيروحنة وحلووسلفانة وعلكة ومكسرات وبعض الملابس البسطية كهديه للعروس تتسلى فيهن وتستعملهن ليلة الحناء وكانت الأغاني تسمع في كل مكان... لمين هالدار الكبيرة اللي حايطها كرم اللوز... هذه دار أبو العبد والعطشان يشرب كازوز لمين هذه الدار الكبيرة اللي حايطها كرم التفاح... هذه دار ابوالعبد ياتعبان ميل وإرتاح وبعد آداء المهمة يعود الموكب إلى قواعده سالماً لإستكمال بقية السهرة والإستعداد للحفلة الكبيرة ، وكانت النساء يقّضين طوال الليل في َبس المفتول للتجهيزلغداء العرس وكان من العادات تجهيز الغداء في البيت وأما أكلة المنسف فقد بدأت تنتشرفي الثمانينات فور إنتهاء الغداء يُجهز الشباب حالهم لموكب الفاردة يتقدمهم أبوالعبد أبو العريس وهوفي كامل زينته وهيبته وهو يلبس الدماية والساكو والحطة الفلسطينية البيضاء التقليدية والباكور في يده والعباية على يده الثانية حتى يلف العروس وهي طالعة ويغطيها....

العريس ماكان يروح مع الفارده بل يبقى يجهز حاله للحمام ولو أبوه سمعه بجيب هالسيرة أكيد العرس حيفرط وأبوه رايح يقل قيمته ويقله ولك بدك تفضحنا شو يقولوا عنا الناس؟؟!!! مش مثل هذه الأيام العريس هو اللي بسوق سيارة العروس، ولك ياهبيله إثقل على شو مستعجل وريالتك نازله؟؟!! حوطتك بدلم خبيزة والله شتلة خبيزة كثيرة عليه... عشان تعرفوا وين كنا وين صرنا والعريس

وأبوه اليوم ملهمش خص، خلينا في الفرح أحسن و نتحدث عن الذكريات الجميله بلاش نعكر مزاجكم كانت سيارات الفاردة في المخيم معدودة عالأصابع وكلها مرسيدس ١٩٠موديل ٦٣ لافتحة في الشقف ولا شنتر لوك (لافتحة في السقف ولا سنتر لوك ، ياجماعه صاحبنا أخو العريس بقرط في السين والشين) ويتقدمهم عبدالمولى أبوناموس وأبوعمرة وأبوأنور فرهود وسعدالغزاوي وأبو نعيم أبوزهري والحج خليل داود وعلي الأشقروزايد ابو نقيرة وابو حسين ابو نقيره وابو بشرى الرزي ومفلح وعبدالله السمسماوي (عفانة) وابوأيمن خماش (شذ عن القاعده وكانت سيارته بيجو)...

سيارة عبدالمولى سيارة العروس وإلآ عبدالمولى رحمه الله بزعل وما بحضر وبظل قاعد عالقهوة عند حسن يشرب شاي حاولت قدر الإستطاعة ذكر جميع السائقين من أهل المخيم وليس بالضروة كلهم كانوا يتواجدوا في كل عرس.

وكانوا الشباب حاطين على سيارة العرويس الشبر ألوان شيء بزهزه وبفتح النفس والقطن الأبيض من كل جانب وكلمة مبروك داخل قلب حب بالقطن على الزجاج الخلفي.

باص أبو شريف أحمد زيدان أوأبووليد سعد الغزاوي الأزرق الكبيرفرع شركة باصات أقصد للسياحة والطفرقصدي السفر، يكون للمهام الخارجية (إذا كانت العروس من خارج المخيم) لأن شوارع المخيم ماشاء الله غير جاهزة لإستقبال الباصات (غير التكاسي والعربايات وطنبر شنقرما بمشي الحال) فقط للتوضيح وصلت الفاردة لبيت العروس وكان في الإستقبال أهل العروس وإخوتها، والعصير جاهز لتوزيعه على الفاردة والشباب جاهزين والأغاني تلعلع من جوا البيت، وهناك بعض الترقب الممزوج بالحذر خوفاً من حصول أي مفاجئة غير محمودة

العواقب، أبو العريس جيبته عمرانة ومُجهز الطلعة (مبلغ من المال يدفع كنقوط لأهل العروس) إذا كانت المهمة سهلة وبعد أن يستأذن أبو العريس في إستلام الأمانة ويلبي أبو العروس وتخرج العروس في رفقة أخوها وأبوها أو إخوتها.. ويقول أبو العروس موصياً أبو العريس هي بنتكم أنا شلتها من رقبتي وحطيتها في رقبتكم ، وأبو العريس يرد بنتكم بنتنا وهي في الحفظ والصون وأمانة في رقبتنا وسبرها سبر بناتنا... يا عليوة تحرك الكلام مرتب ومدوزن بدك تظلك هيك زي الهبيلة فاتح ثمك... وررر... ومش حقدر أكمل الرقابة حتقطش (جملة خارج النص) الجوصارغائم وكمان شويه بتشتي دموع ... ياجماعه وحدوا الله أنتم اهل والبنت رايحه على بيت زوجها... يييي... العروس بتتشغنف دموع، طبعاً دموع الفرح وبنفعش تكّثر العيار بعدين بخرب المكياج، وبتوطي على إيد أبوها وبتلهطها (بتبوسها) وأبوها بصرصر في حاله تصرصر ومش قادريحكي خنقته العبرة وبالعافية بقدريقول الله يرضى عليك يابا وديري بالك على زوجك وبيتك وهنا رشاش الزغاريت يعلن من داخل الدار نجاح المهمة وإنطلاق المكوك (موكب العروس) ويبدأ الشباب. بالغناء..

يخلف عليكم كثرالله خيركم...يخلف عليكم كثر الله خيركم وما أن تصعد العروس في سيارة عبدالمولى ويستلم زمام الأمور يطلق العنان لسيارته ولزموره المميز وهبوب الريح عبدالمولى.

وبما أن العرس كان داخل المخيم في معظم الأحيان السيارات بتكون حاملة أكثر من طاقتها والشنطة الخلفية على الأقل فيها ٥-٦ اشخاص ولازم تكون فاتحة، أما إن حصل وكانت مغلقة لسبب خارج عن السيطرة، اللي بكونوا قاعدين فوق الشنطة مش أقل من ١٠ ولإن السيارة تسيربسرعة بطيئة جداً خصوصاً سيارة

ابوعمرة بكون راجع والناس مروحة.

وصل الموكب لبيت العريس وهنا تبدأ الطقوس،

العجين مع الريحان جاهز عشان العروس تلزقه على باب الداروإذا لزق بسرعة وما وقع معناه فال طيب والعروس ملزقة في دار جوزها وإذا وقعت العجينة الله يستر والبيوت كعاب كعاب يمكن كعبها يا لطيف...!!!! بعد إنتهاء الصمدة أم العريس بتكون مجهزه عشاء خاص للعروسين وغالباً زغاليل وأم العروس لازم تنام في بيت العريس للإطمئنان (عادة لم تعد موجودة) وهنا تبدأ أجواء خاصة بالظهور على الساحة فأبو العريس وعمه أوأخوانه الكبار بوقفوا له على باب الغرفة وبصيروا ينادوا عليه، يالا خلّص، يالا خلّص... وتتوتر الأجواء وتتحول إلى أجواء حرب وإنتظار ساعة الصفر.

مواقف كثيرة بعضها يبقى طول مدة الزواج سواء كان حزيناً اومحرجاً اومضحكاً وهنا لابد من ذكرقصة أذكر تفاصيلها بكل دقة وأترك لكم الحكم.. أحد الشباب ليلة دخلته وكان خائفاً ومخبوع ومش قادرعلى أداء المهمة ومضت الليلة الأولى على فشوش وكان له إبن عم من الشباب العضلات الزقرتية فقالوا اله خذ العريس على المقبرة في الليل وفك له الخوفة لأنه سود وجهنا مليه بالعارض وطلع خنجعه. إبن عمه جهز للمهمة وصفة معتبرة وأحضر مجموعة من الشباب أصدقائه اللي كانوا معه في معسكر الفدائيه وكلهم بنشّد فيهم الظهر وقلوبهم حديد ولبّسهم كلهم جلبيات بيضاء مع حطات بيضاء وكلهم شكلهم أبيض في أبيض وطلب منهم يناموا بين القبوروعندما يأتي بالعريس وبعد أن يقف في نص المقبرة يقول بصوت عالي (حنتش بنتش) فكلهم بقوموا من بين القبور وكانوا موزعين بشكل مفرق وبقولوا (واللي يطلع ينتش) وبرجعوا يناموا... أوصاهم

بعد أن شرح لهم المهمة وكان مسموع الكلمة بين أصحابه إياكم واحد يحكي أويضحك (بتخرب المهمة) وبظل العريس مروكب وموطي رأس العائلة ذهب إبن عمه بالعريس عالمقبرة وكانت ليلة مافيها ضوء قمر والعريس خويفة بدون هالواسطة ولما دخلوا في المقبرة العريس قرقط في إبن عمه من الخوف وإبن عمه ماسكه من يده حتى صاروا في نص المقبرة ، ودفعه بعيد عنه بعض الشيء،طبعا العريس كاد يموت من الخوف من هذه الأجواء ومش عارف شو مستنيه...!!!

ونادى إبن عمه بصوت رخيم (حنتش بنتش)... فقام الأموات (الشباب) من بين القبور وبصوت أرخم وأعلى وبصوت واحد (واللي يطلع ينتش) العريس صار يصرخ ويصيح ويبحث عن إبن عمه وينادي يا فلان خلص مشان الله ، وبعد أن عثر على إبن عمه رجع قرقط فيه وعبطه وكلبش فيه وقله خلص مشان الله... وحتى تكتمل فصول المسرحية قام إبن عمه وبهظاك الكف ويصقعه وقله بدك تكون زلمه... إثبت بلاش هذول يضرونا هالحين.. أنت مش عارف وين إحنا ؟؟

وبعد أن وعد العريس إبن عمه باغلظ الأيمان أن ينجز المهمة عفا عنه وأعادة للبيت، الكل كان ينتظر ورجع العريس ووجه أصفر أصفر من شدة الخوف ودخل الغرفة والجميع بره وكل شويه... شوصار... شو صار ولا هي إبن عمك بستنى ونجحت الخطه ودخل العريس.. ولليييييش (بس مش زي زغروتة فتحيه، زغروتة فتحيه أخذت البطولة) وحتى هذه اللحظة تبقى تفاصيل القصة مسجلة...



وبما أن العريس أقمرت معه وكما يقول المثل الليلة المقمرة بتبين من أول النهار فتكون الصباحية بهجتها مختلفة ولأنه لا مجال لتأجيل الصباحية فيما لو كانت الأمور لم تسير على ما يرام ولازمه مشوار للمقبرة أو مربوط ولابد من إحضار الكزمة (الفأس)...

يأتي أهل العروس مبكرين صباحاً ومعهم سدرين كنافة وخروف للغداء وكانوا يحضروا الخروف حياً ويتم ذبحه في بيت العريس وأم العريس بتشيل الكبدة والمعلاق للعريس والعروس على جنب، ويحرص أهل العروس على دعوة بعض المقربين والجيران للحضوروكانت العادة الدارجة أن يتم النقوط يوم الصباحية وكان الأهل والأقارب يوم الصباحية تستمر فرحتهم ويعملوا حفلة صغيرة فقط للمقربين جداً وتلبس العروس بدلة غير بدلة العرس وغالباً ما تكون زهرية وربما هي تأكيد للمثل الذي يقول الزهر بقهر قهر وبنيم في الفراش شهر وأين الحكمة من ذلك لا أعلم وربما نستعين ببعض العجائز للتفسير.

كان في الماضي تصدر تعليمات للعريس بأن يُكشرللعروس ويُريها العين الحمراء حتى ماتروح هيبته من أولها وكان المعروف أن العروس تعرف خيالة زوجها من أولها.

وكان أحد المعارف في ليلة زفافه قد أحضرخيزرانة معه وكان أن خرج ليحضرشي ما فما كان من عروسه إلا أن أخفت الخيزرانة، وبعد أن رجع العريس ولم يجدها أمضى كل الليل في البحث عنها، فقالت له: عن ماذا تبحث فقال: لا ولاشيء، فقالت له : التي تبحث عنها كسرتها ورميتها من الشباك (إركز ربابتك وإقعد) ولم تقمر معه تلك الليلة ومن يومهاعرفت عروسه خيالته وأصبح الرجل بعدها كابو بدر في باب الحارة يُكثرمن أكل الجزرولم تنفع الخيزرانة ولا العين الحمراء.

وقبل موعد الإفراد كانت هناك زيارة لبيت الأهل خصوصاً إن كان العريس والعروس من أهلل المخيم أوالبيوت قريبة وكانت تسمى السهرة المخفية كونها كانت تتم بالسر ولفتره قصيره قبل موعد الإفراد وغالباً كان المقصود منها تطمين الأهل أن أمور العروس على مايرام وعائلتها الجديدة يعاملونها بإحترام وليس هناك ما ينغص الأجواء وبعد العرس باسبوع تذهب العروس هي وزوجها لبيت أهلها من أول النهارحتى تفرد على أهلها ويكون الأهل مجهزين للعروسين مالذ وطاب من الطعام، وأخت العروس بتكون مجهزة بزر البطيخ الطازج وبتقليه في الطوى أو القلاية الكبيرة وأحيانا كثيرة بكون لونها أسود أسود من كثرة الإستعمال، وريحة البزر المقلي تملئ الافاق وبقضوا السهرة قزقزة وتفتفة... وكله كوم والعروس وهي بتمجك (بتبوس) في خواتها الصغار أو أخوانها الصغاروماتقول إلا لها سنة في الغربة و ومن العادة يهدي الأهل بنتهم قطعة ذهب وغالبا بتكون خاتم أو سنسال بسيط في نهاية الزيارة !!!!

وبما أن أجواء الفرح هي السائدة وحتى يكتمل المشهد لابد من التعريج على الخطبة والجاهة لطلب يد المراد خطبتها، حيث أن أم الخاطب وأخته الكبيرة وكنتها أو عمتة أو خالته يذهبون لإهل البنت التي وقع عليها الإختيارللمعاينة وفي نفس الوقت التعريض بالطلب فان حصل النصيب يرد أهل البنت خبر لإهل الخاطب بالموافقة ليتم التحضير للجاهة الرسمية أما قلة الرد فهي رد وأما يعتذر أهل البنت بان لانصيب لكم عندنا... تتأهب العيون وهي تحدق في البنت وهي تقدم القهوة للنساء الزائرات وحدة تحدق النظرفي طولها والثانية تحدق النظرفي الكسم والثالثة تحاول أن تفتعل أي حديث مع البنت ليسمعوا صوتها ومايكون مثل صوت الدلال في السوق وفي نفس الوقت تحاول أم الخاطب تقريب البنت منها كي تشم رائحة الفم هل هي طيبة ولا زي البصل المصنّن وفي النهاية يتم التقييم الشامل...

عريس الغفلة قاعد في الدارينتظر عودة الوفد ليزف له الخبر السعيد وإعطاءه نبذة عن البنت، أمه بتقول والله يمه ثمها زي الخاتم ولا ضحكتها بتجنن، هي مش طويلة يعني طول أختك تقريبا لكن عودها مليح، يمه ماشاء الله! انف وعيون وثمّ (منشاااااان الله! شوبدها تكون! خرطوم وقرنين وزعانف؟؟؟!!!!) مثلاً وأخته بتقول والله يا خوي ماشاء الله مشيتها زي الغزال وما بتشعر فيها مش زي مشية بنت أبو فلان بدب عالأرض دب وما تقول رجليها إلا خف جمل، وعمته بتقول والله يا عمتي البنت ثقيلة وراكزة مش خفيفة وطايشة...

كما تلاحظون هنا أن الوصف هو للمظهر الخارجي لكن الجوهر لايعلم فيه إلا رب العالمين ومش حتبين البنت على حقيقتها إلا بعد الزواج إذا كانت نكدية هانم ولا لأ، وهل ستعيد تربايته من أول وجديد لانه ربما أمه نسيت بعض التفاصيل لما ربته فتركت المهمة لها، على العموم كل هذه الأشياء ستظهر لآحقاً وسنفرد موضوع خاص للنكد الزوجي لما له من تأثير على الحياة الزوجية وخصوصا الغيرة القاتلة ماذا تفعل في بيت الزوجية وتقلب الحياة فوق تحت.

يتم التحضير للجاهة وتحديد موعدها ويبلغ أبو العريس جماعته وأهل بلده والأصدقاء المقربين وبعضاً من الجيران والوجاهات ليكون للجاهة مكانتها عند أهل العروس وفي نفس الوقت يكون بالإنتظار نفس القدر من التقدير والإحترام والإعداد الجيد من أهل العروس، وهذه مواقف تبقى محفوظة في الذاكرة لزوم إسترجعها إن لزم الامر مستقبلاً ربما إيجاباً وربما سلباً في مقعد الجلسة يكون الجلوس حسب الأهمية فيكون في صدر البيت من هو موكل بالتحدث بإسم أهل العريس وربما يكون أبوه وربما يكون عمه وربما يكون واحد من الأجاويد المشهود لهم بحسن المنطق ويتمتع بالقبول بين الطرفين وله واجب.

بعد الترحيب بالجاهة وهنا لابد من ذكرالعادات والتقاليد والأصل في الجاهة بغض النظر ماذا يحدث اليوم وكون الناس أضاعت الأصل والفرع فلا يعول على ماهو دارج اليوم حين الحديث عن الذكريات وبالذات حينما تكون ذكريات جميلة.

العادة كانت أن لايتم تقديم أي ضيافة قبل الإنتهاء من الإجراءات التقليدية وأخذ الإيجاب والقبول ويتم صب فنجان من القهوة السادة بعد أن توضع أمام كبير الجاهة المنوط به التحدث ، وحينها تبدأ الديباجة الرسمية في ذكرفضل الزواج والحسب والنسب والأخلاق الحميدة يقابلها في الطرف الآخررد يناسب الطلب وبعد أن يتم الترحيب الذي يعني الموافقة تشرب القهوة السادة والجميع ينصت وكأن على روؤسهم الطيرليتم النقل للأجيال القادمة ما ورّث الأجداد والآباء للأبناء والأحفاد ومع الإيجاب والقبول يبدأ الحديث بالتفصيل أمام الحاضرين عن الفيد أو مايسمى المهر وكل التفاصيل المادية ليكون الجميع شاهد وفي نفس الوقت ليوافق المتعارف عليه بين الناس وهذه كانت تسمى (قرموا الفيد) أي فصلوه وتم الإتفاق عليه.

ويبدأ الجميع بالتبريك وصوت النساء يسمع من الداخل بالزغاريت والمهاهاة وتنفرج الأسارير ويبدأ بتقديم الحلوى سواء كانت كنافة أوغيرها مما هو معروف بين الناس أوحتى سلفانة.

هذه التفاصيل أدركها جيلنا ولكن مانراه اليوم للأسف عكس ما تربينا عليه والجاهة هذه الأيام لاتزيد عن أصابع اليد والجاهة كشهود الزور لايعرفون شيئاً من التفاصيل حيث أم العروس وأم العريس إتفقن على كل التفاصيل وضاعت الأصالة مع مايسمى بالحداثة وأصبحت المظاهر لرفع العتب أكثرمن أي شيء اخر.

واخيراً نختم تراثنا بالعادة ألتي تقول للعريس في عوضك وأنت فرحان بالصبي وبعدها ياتي الصبي نقول له في طهوره وبعدها وأنت فرحان في نجاحه وبعدها عقبال عند الوظيفة وبعد الوظيفة نقول وأنت فرحان بالعروس وبعدها بالصبي والأحفاد وهكذا دواليك لاينتهي مهرجان التراث عندنا فمنذ أن يكون الطفل في اللفة إلى أن يصبح جد ونحن ندعو له من مناسبة إلى مناسبة ومافي مجال تقعد بدون مناسبة...





الثالوث الأساسي
(المؤن والطعمة والمدرسة) في المخيم

بعد أن فرغنا من التراث الشعبي بما هو متاح ولو أن التفاصيل أكثر من ذلك بكثير، ولكن حرصاً على عدم الإطالة والتركيز على أغلب المتعارف عليه

كان لابد من الحديث عن بقية الأشياء الجميلة التي عشناها في المخيم ذلك الوقت...

كان مؤن الوكالة بما يقدمه من إعانات مصدر أساس يعتمد الناس عليه، فكان لكل عائلة حصة من الطحين والرزوأحيانا علب السردين من أرخص الأنواع التي كنا نحتاج بعد أكلها إلى كل أنواع الصابون والتايد والمنظفات لإخفاء رائحة الزنخة منها ولكن للأسف ماكان ذلك يجدي نفعاً، ولم أرَ في حياتي أحد يدهن الخبز بالسمنة ويضع عليها سكرإلا شعبنا ربما هي الحاجة، ربما أنه فن الممكن، وأيضاً السمنة لم تكن أقل سوء من السردينة وربما كان المقصود من تلك الخدمات إبقاء الفلسطيني في حالة (قزز) دائم، لأننا لو شعرنا بشوية راحة ممكن نفكربالتوطين وننسى!!!!

ولكن بطمنكم من يومها لليوم ونحن في حالة قزمتواصل مع سردينة وبدون سردينة وحياتنا زي السمنة كلها جلاميط ولانفكرإلا بالعودة.

عندما نزحنا تم تسجيل العائلات وإثبات القيد وأعطوا لكل عائلة مايسمى كرت المؤمن الذي أصبح هوية للاجئين والنازحين وقد تطور الحال ووضعوا على كرت المؤن صورة وهيك صار له عدة إستعمالات، منها أنه اصبح إثبات شخصية، وكل شهركان لابد من تقديم مايثبت أنك تحمل كرت المؤن ليتم صرف المعونة الشهرية وكان يرافقها منغصات كثيرة أبسطها شعورنا بالحاجة ولامجال أمامنا للإستغناء عن تلك المعونة...وكان لابد من الطابورألذي يزيد من الشعور بالمعاناة، وكان يتم خرم الكرت كل شهردلالة إستلام الحصة...بلاش واحد من الغلابة يقبض المعونة مرتين في الشهر

وما أن يقبض كل رب أو ربة عائلة حصتها إلا وتبدأ معاناة حمل الحصة الشهرية من طحين ورز وسمنة وأحيانا سيرج (زيت قلي) ولصعوبة حمل كل الأغراض كان أهل كل حارة يكروا (يستأجروا) كارة من الموجودات في ذلك الوقت وأذكر منها كارة الزعيم (حليحل) وكارة زعرب وكارة شنقر (كان عند شنقر كارة وطنبر) وكارة جميعان، وكارة فودة وكارة وشاح (رحلوا من المخيم فيما بعد) وهذا ما يحضرني من الأسماء وربما سقطت بعض الأسماء سهواً... وما أن يصل الواحد للبيت إلا ويكون معفربالطحين وعايف حاله، يعني المعونة كانت معاناة.

كان كرت المؤن وسيلة دخولنا للمدرسة في الأول إبتدائي.. كرت المؤن كان الحيلة والفتيلة وياويله اللي ما معه، بظل طول عمره مسخم وملطم غير السخام الأصلي اللي صابنا لما غادرنا الوطن للمنفى.

وكله كوم ويوم توزيع البقج (الملابس المستعملة) كوم...حظك نصيبك،

وأمك تقلك خذ يمه أعطي هذا الفستان لجيرانا لأنه على مقاس بنتهم، ولم يكن عنا بنات يومها يستفدن منها، وهكذا كل عائلة تعمل جرد على بقجتها ويتم التبادل بين الجيران ليستفيد الجميع وماليس لنا به حاجة موعده المطحنة في زيارتها السنوية ليتم تحويله إلى قطن للفرشات أو اللحف

ولا زلنا في ربوع الوكالة نرتع... فقد كانت الوكالة تقدم لنا وجبة غداء يومية ستة أيام في الإسبوع في مطعمها (الطعمة) وحتى نحصل على هذه الخدمة كانت الوكالة تصرف لنا عن طريق المدرسة أومن الطعمة نفسها كرت يتم تجديده كل ثلاثة أشهر، وكان لون الكرت يتغيركل مرة يتم تجديده ، وهكذا كنا نعتمد على الكرت سواء كرت المؤن أو كرت الطعمة في حصولنا على الخدمة، وفيما يخص الطعمة كان هناك تمييز في الحصول على الكرت فليس الكل كان يحصل على الكرت، ربما الواسطة تلعب دور وربما سوء تقديرمن الشخص الذي يقرر لمن يمنح الكرت وحتى أكون أكثر دقة، لم تكن المعايير التي يتم منح الكرت بموجبها دائماً سليمة.



كان مشوارنا للطعمة يعتمد على دوام المدرسة وحيث أن مدرسة الوكالة كانت دوامين صباحي ومسائي لإن الإمكانيات محدودة ولاتتسع المدرسة لجميع المراحل، وكنا شهر صباحي وشهر مسائي...وعندما يكون دوامنا مسائي تكون زيارتنا للطعمة (مطعم الوكالة) قبل الدوام مع الكرت طبعاً، أما بدون الكرت فانت ياولدي مطرود مطرود مطرود وبتتشحنك عالفاضي، إلا أنه أحيانا كنا نتحايل على من يقف على الباب ويستعمل الكرت أكثر من واحد، أما إن سهى أبوعماد خشان ولم يشطب الكرت ذلك اليوم فيتم إعطاء الكرت لشخص آخر من الذين ليس معهم كروت ليستعمله وكنا نكيف على أي غلطة، وبلغ من حرص البعض على الكرت أن يتم تجليده سواء بالنيلون أو بكرتونة سميكة، وإن كان دوامنا صباحي ما أن يرن الجرس كنا نزرق من تحت الشيك (السياج) بين المدرسة والطعمة وإذا كان الواحد طويل شوية ممكن ينط (يقفز) من فوق الشيك (السياج).

وجبة الغداء كانت تتغير من يوم لآخر وأنا شخصياً كنت اعشق وجبة البرغل مع الفاصوليا البيضاء أما خبز الطعمة فكان مميز وكان يقسم كارباع وهو من النوع السميك ألذي يحتوي على لب كثير، يمكن كان الهدف تشبيعنا ولكي يكفي الأكل للجميع ومن يومها وأنا اعشق الخبز وإغمس الخبز حتى مع الرز.

ياجماعة الوكالة كانت حريصة علينا حرص شديد مثل اللي بربي خروف للعيد حتى يذبحه ويبقى طول المدة يعلفه جيداً، الخروف كان موعد وطريقة ذبحه معروفة... عالعيد أما نحن كيف ومتى؟؟؟!!! الله وحده أعلم..

فكانت الوكالة توفر لنا في المدرسة زيت السمك مع الحليب في كيلة الألمونيوم،أما ماهي نوعية الحليب فلا أعتقد أن عندي جواب حيث أننا كنا نرى طنجرة كبيره جداً والحليب يغلي داخلها، هو أكيد كان حليب بودره وصالح للإستهلاك البشري والدليل أننا لسه عايشين ومافي مجال للتشكيك ونظرية المؤامرة ليس لها مكان هنا.



الطابور الصباحي أو المسائي في مدارس الوكالة كان له عدة أهداف منها ضبط وربط وتفتيش عالأظافر والشعر الطويل وتثقيف وإستذكار للمناسبات المهمة، فبعد إسترح إستعد وبعض التمارين الرياضية وخصوصاً إذا كان الجو بارد لإعطاء الطلاب بعض الحرارة والدفئ كان يرتل علينا أحد الطلاب من الاصوات الجميلة آيات من الذكر الحكيم، بعدها خاطرة صغيرة او حمكة، بعدها كلمة أحد المدرسين أو الطلاب وخصوصاً إن كانت مناسبة مهمة مثل ذكرى وعد بلفور أو ذكرى النكبة او النكسة أو قرار التقسيم أو المعارك المهمة في تاريخ فلسطين كمعركة حطين أو عين جالوت أو معركة الكرامة.

وكان للمبارزات الشعرية بين الطلاب نصيب في الإذاعة المدرسية، وهكذا كان لمدرسينا الأفاضل دور كبير في توجيهنا وتذكيرنا وتزويدنا بما يلزم للرحلة المستقبلية وخصوصاً ما يخدم قضيتنا ويبقينا على تواصل مع الأحداث وأن تبقى قضيتنا حية في نفوسنا، فلهم منا كل التقدير والإحترام والدعاء بالرحمة والغفران لمن إنتقل إلى جوار ربه وبدوام الصحة والعافية لمن بقي منهم على قيد الحياة.

تركت مدارس الوكالة في نفوسنا أثر طيب فبالإضافة للتعليم الجيد كانت تربيةَ جيدةَ أيضاً وكانت الروح الوطنية هي الصفة السائدة عند غالبية المدرسين فكان إخلاصهم في تعليمنا وصقلنا مهمةٌ أبدعوا فيها.

ترويحتنا كانت حافلة بالأحداث فكان يتداخل طلاب الإبتدائي مع الجيش الأخضر (بنات الإعدادي) كون مدرسة البنات ومدرسة الأولاد متلاصقات فكان لابد من عكس الدوام، بنات الإعدادي مع أولاد الإبتدائي والعكس بالعكس والجميع يشق طريقه عائداً للبيت إما لحل الوظيفة أو الإستعداد للمعارك بين الحارات المتمثلة في مباريات كرة القدم.

أهلنا كانوا يحبون المدارس أكثر منا لانه بمجرد دخول الفدوس (الإجازة السنوية) إلا وننتشر في الشوارع وبين الحارات وعالجبل وفي النادي وكان جميع الطلاب وخصوصا الإبتدائي متعقدين من الحلاقة عالصفر فكانت فرصة لنا أن نربي شعرنا في الفدوس ومع تربية الشعر كان القمل والصبان يعمل عمايله في شعورنا، ولكن مابهمنا كله مع الغسيل بروح وكله عند العرب قطين وما أن تفتح المدرسة إلا وكلنا زلبطات (حالقين عالصفر) وكانت بعض النقوش تظهر على رووس الطلاب ونادراً ماً تجد واحد مش مطبوش.

وكان ينال البنات من الطيبات (القمل) نصيب حيث كانت طرمبات الرش تعمل عمايلها في روس البنات (مابحلقن عالصفر) وكما أسلفنا الوكالة كانت عاملة شغل معنا.. كيف لا ونحن رأس مالهم أما الأن فشاركنا همنا جنسيات كثيرة وصرنا نرى الخيم في كذا مكان في العالم وبعد أن كنا لوحدنا صار غيرنا كثير مع إختلاف الزمان والمكان والسبب...





الأفران وحنفيات المياه

لا زلنا نتحدث عن الخدمات المقدمة لسكان المخيم لتسهيل حياتنا حتى يأتنا الفرج، ومع أن الظروف المحيطة بنا كانت ولازالت غاية في الصعوبة والتعقيد وتشابك المصالح وكان النظرللمستقبل كمن يضرب في الرمل أو يقرأ الطالع. ورغم ذلك كله كنا نرنوا بأبصارنا للمستقبل لعل وعسى نرى بارقة أمل تمكننا من العودة للوطن في أسرع وقت ممكن فكان لابد للتعايش مع الواقع بما فيه وكان سكان المخيم ثلاثة فئات، الفئة الأولى : هي التي كانت شاهدة على الكارثة والتشريد،، والفئة الثانية: فئة الشباب الذين ولدوا في الوطن ونزحوا للشتات وكانوا طاقة هائلة ومنهم تشكلت نواة المقاومة التي كانت تعمل للتحرير، والفئة الثالثة : ألتي إما ولدت في الوطن ونزحت وهي في عمرالزهور أو التي ولدت في المخيم بعد الشتات.

الفئة الإولى كان يغلب عليها الحزن والتسليم والإنكساروالبكاء على الأطلال معظم الوقت وتذاكر أحوال الوطن وكيف كانوا وكيف صاروا؟!!

وقلة قليلية كانت تعتبر العودة للوطن مجرد أيام أو شهور معدودة، وكان حظ هذه الفئة من التعليم قليل وهمهم كبير، وأصبح بالنسبة لهم توفير لقمة العيش للأفواه الجائعة هو أكبر همهم.

الفئة الثانية كانوا جيل الخمسينات، جيل لو قُدر له أن يُستثمر جيداً لصنع الأعاجيب، كانوا شباب من خيرة الشباب، طاقة للعمل الوطني جبارة، نخوة وأصالة ورجولة لم تلوث، وإستعداد للتضحية لاتجد له مثيل،جيل كان من السهل جداً حشده لأي عمل مثمر وهادف وواعي وفي نفس الوقت جيل أبي شديد المراس يرى الإهانةَ كفراً.

الجيل الثالث كان جيلنا سواء من ولد في مخيمات الوطن ونزح صغيراً أو من ولد في مخيمات الشتات وكنا نعيش اللحظة بما فيها وكماهي وماكانت فارقة معنا - إن غَربت مشمش وإن شرقت قُطين -، ولكن عقلنا الجمعي إختزن في ذاكرته وعقله الباطني كل هذه التفاصيل دون وعي حينها لتكون لنا في المستقبل ذكريات خالدة نستذكرها ونعيش متعة إستذكارها لتكون لنا هذه الأيام دافعة للأمام مذكرةً بالتحريروالعودة.

ما أردته هنا بهذا التفصيل فقط إعطاء فكرة للقارئ والمتابع كيف كان نسيج المخيم يومها لسهولة الإندماج مع الذكريات ووضعها في قالبها الصحيح، وحتى لاتكون الذكريات تخص جيل ولاتعني جيل آخر.

وبما أننا لا زلنا في قطاع الخدمات الذي هو الباب الواسع لخدمة أهل المخيم لابد من الوقوف عند لقمة العيش ألتي هي هَم الغالبية العظمى في معظم الأزمان، وكان رغيف الخبزيومنا وربما هذه الأيام الشيء الأساس ألذي يتفق الجميع على

وجوده، وبما أن طحين الوكالة سواء المليء بالفئران أو المسوس موجود فكان لابد للأسر أن تبحث عن طريقة لخبزه.

فكان لهذا السبب عدة أفران تنتشر في أركان المخيم وحاراته لتخدم أهل المخيم كل في مكان سكناه وهنا أذكر منها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر(فرن أبو جبة) وكان في الحاره جهة السواركه، (وفرن قُندس) - رحل من الحاره مبكراً وكان قريب من مسجد عمرإبن الخطاب بجانب دار ألحج عليان - وكان (فرن العزازي) في حارة السوق ويخبز فيه يوسف جليدان، وكان في حارة المواتيرجهة دار الهندي (مخبز داود)، وخلف مسجد أبو بكر الصديق وبجانب دار الأستاذ أبو شفيق كان (فرن سلمان عابد) وعلى شارع الأسفلت المؤدي للمقبرة والمسلخ من جهة الجنوب فرن، إبراهيم السويسي))

وكان (فرن عزمي غبن) على الشارع الرئيسي المؤدي للمسلخ من جهة الشرق، وفي حارة الكراج أمام دكانة السميري كان (فرن أبو خليل الفران) - هيك كان إسمه ومش فاكر عائلته - تقريباً هذه الأفران فترة السبعينات كنت أحمل على رأسي فرش الخبزوتحته الحِواية (قطعة من القماش أو ربما بشكير تلف على شكل دائرة) لإن الخبز بعد مايطلع من الفرن كان بلمط لمط من شدة حرارة النار وإذا حملت الفرش بدون حواية بتنشوي الزلبطة لأنه الشعر محلوق ومافي واقي للصدمات وكنا نتناوب أنا وأخي الأكبرمن منا سيذهب للفرن للخبيز وكان يوسف - الله يذكره بالخير- هو الفران المعتمد لنا.

كان للفرن أيام عز في المخيم حيث كان يؤدي دور مهم فكان للخبز وكان للصواني وحبات الباذنجان الكبيرة لما كان يوسف يقحمشهن قحمشة تجيهزاً لسطلة الباذنجان وألتي تعرف عند البعض بسلطة البابا غنوج (ما بعرف مين غنجه

وعندي إحساس أن هذا الإسم عيب) وكان للكعك ليلة العيد حيث كانت سهرة الكعك صبّاحي والناس كلها عالدوروالشاطر اللي بده يخلص بدري، وكان الفرن مكان إلتقاء العشاق وكله بحجة الخبز.

وكان للخبز رائحة نفاذة وهو طالع من الفرن لايقوى أغلب الناس على مقاومة تلك الرائحة فكانت تمتد أيادينا تتشالف الخبزونبلش رغماً عنا نفغم فيه فغم قبل وصولنا البيت وكان منظرمألوف تشوف الواحد فينا حامل الفرش وماسك باليد الأخرى مابتقى من الرغيف، وكان للدعبوبة (الرغيف الصغير) معزة خاصة فهي حصة الأخت الصغيرة أو الأخ الصغير...

كانت سهرات الكعك على ضوء نار الفرن أو ضوء اللكوسات والفوانيس حيث لاكهرباء، وكان للوكس في حياتنا قيمة معتبرة حيث إنه رفيق الطلاب وخصوصا في مرحلة التوجيهي وبالذات أيام الإمتحانات، وكان لازم يكون عندك شنبروزجاجة إحتياط حتى لو إنحرق الشنبرتغيره أو إنكسرت الزجاجة، وكل شوية لازم نعطي اللوكس جرعة دعم ونفس (ستيم) حتى يبقى شغال وإبريق الكازجاهزلإعادة التعبئة، أما الشنبر فكان يتم إستهلاكه حتى آخرنفس، وكان يفلت من جهة ويادوب ماسك من الجهة الأخرى ورغم ذلك شغال عال العال.

ولكي لانخرج عن الموضوع كانت كل عائلة أو معظم العائلات لها علامة مميزه للخبز، ناس تخزق الرغيف من النص، وناس خبزهم سميك وآخرين خبزهم رقيق، والبعض خبزهم صغيراً نسبياً والغالبية في حدود المعدل الطبيعي، أما تدوير الخبز فكانت تقريباً كل العائلات تتشابه به وذلك لأن الشوبك (آداة رق الخبز وفرده) كان يقوم بالمهمة خير قيام.

وحيث أنه لامجال لتخزين الخبزفكل يوم خبزنا كان طازج، بعض الناس كانت مفصلة صندوق خاص للخبزوكثير من العائلات كانت تلف الخبزبالحرام أو المنشفة والبعض الآخر كان يضعه في خريطة خاصة من بقايا أكياس طحين الوكالة... يعني شو ما بتقولوا الوكالة داخلة في كل تفاصيل حياتنا.

وكانت الجيرة نقية شفافة فيها كل معاني الود والمحبة حيث كان يدق باب بيت أحدنا ليلاً أحد الجيران يسأل إن بقي عندنا رغيفين خبزإعارة للغد لأنهم جاءهم ضيوف على غفلة ونقص عندهم الخبزولابد من أن يُعشوا الضيوف.... كان الأمرطبيعي جداً وممكن أي عائلة تمر في نفس الموقف، أما هذه الأيام فصار الأمرعيب والناس مقطوع ما بينهم، والخبزكثير والثلاجات مليئة، ولكن لاضيوف ولا إعارة.

هذا من حيث الخبز أما فيما يخص الماء فكان هناك حنفيات للماء في كل حارة حتى وصلت مياه البلدية إلى كل بيت، ويوم تأتيك المياه وشهرين مقطوعة، على الأقل أيام حنفيات الوكالة كانت المياه بإ ستمرار متوفرة وكان لها فوائد كثيرة، فقد كانت مصدر بث الأخباركل بيت وللحارات المجاورة، من سَوف تتجوز ومن خُطبت ومن حردانة لإن غراب البين زوجها ضربها أمام أمه فكرامتها نقحت عليها وزعلت وحردت.

كما كانت الحنفية مصدر لمعرفة الحوامل في كل حارة ومواعيد الولادة المتوقعة، وكانت أيضاً مكان للمشاكل وشد الشعربين البنات والنساء وفجأة تسمع صوت الجرادل والمواعين تتطاير في كل مكان مع وصلة ردح أحياناً على الموجة القصيرة وأحيانا على الموجة الطويلة.

كنا ندور على الحنفيات في كل الحارات نعبئ مية، لإن مواعيد الحنفيات كانت مختلفة وكانت الحاجة للمية بشكل عام شديدة، ولكن تختلف درجة الشدة من عائلة لأخرى وحسب درجة الإستهلاك وعندما تطور الأمرشوية صرنا نعبئ المية في القرب على ظهور الحميروكانت فرصة نعبئ مية ونخّيل على ظهرالحميروأحيانا كنا نضطر للذهاب لعين الديك في آخر الحدادة لما كانت المية مقطوعة في كل المخيم..

الغريب في الأمر أن الحنفيات أحيانا كانت طايحة وميتها بتدشع دشع ومافي أحد بملي، ما بعرف حينها نكون وصلنا لمرحلة الإكتفاء الذاتي أو إن وقت الحنفية طال أكثر من المعتاد ولإن معظم الناس ماكان عندها وسائل تخزين كثيرة وإنما برميل واحد وبعض الجرادل وقيزان وشوية أباريق وماشابه، فكانت تبقى الحنفية طايحة على الفاضي مما كان يستدعي تدخل (أبو كايد أبو الفر) وهو يحمل المفتاح الإنجليزي الكبير ويبدأ في تسكير(إغلاق) الحنفيات تباعاً. صحيح أن حياتنا في المخيم كانت غاية في القسوة والتعب والحرمان ورغم ذلك كنا نعيش اللحظة بما فيها وحينما نتذكر التفاصيل الأن نتحسرعلى تلك الأيام بما كان فيها ونعتبرها أفضل من أيامنا هذه مع أننا نعيش في أرقى دول العالم (كندا) وعلى قمة التكنولوجيا وفي وضع لايمكن مقارنته بما كنا فيه، لا أدري هل شعور اللاجئ مازال يرافقني أينما ذهبت حتى جزر الواق واق؟؟؟!!! ربما..

هل نهرب من واقعنا المعاصر إلى بحر الذكريات والزمن الجميل حيث مع العسر كان النبل ومع الضيق كان الإيثار ومع الصعوبات كان الحب؟؟!!! ربما أو أن مايعتمل في الذاكرة من ذكريات جميلة هو الناقوس الذي يدق مذكراً أن ما مررنا فيه وما عشناه سبباً ويخبرنا أن فلسطين على مرمى حجر...



البريد

وحيث أن قطاع الخدمات في كل مجتمع له النصيب الأكبرمن الحضور كان كذلك الوضع في مخيمنا العزيزولكن بنهكة وطعم مختلف، وبعد أن فصّلنا خدمات الوكالة فصار لابد من المرور على بقية الخدمات، وكان بريد مخيم غزة حافل بالذكريات.

بعد إن إستقر حالنا في المخيم بعض الشيء وبدأ شباب المخيم في البحث عن فرص عمل في الخارج أو متابعة الدراسة في الدول العربية التي كانت فاتحة أبوابها للفلسطيني وتعامله معاملة مميزة،(سياسة... ربما شفقة علينا وربما جزء من المؤامرة وربما لإبعادنا عن فلسطين وربما لتشتيتنا والبحث عن فرص عمل وأوطان جديدة وربما جميعها ولا أستطيع أن اخرجها خارج هذا السياق) وكان هناك بعض الأباء والأقارب المتواجدين في الشتات من قبل النزحة (حرب ١٩٦٧) وبعد أن بدأ التواصل بين العائلات أصبح بريد المخيم قبلة المنتظرين لإستلام رسائل تصلهم من أقاربهم...

كان البريد في السبعينات عبارة عن غرفتين صغيرتين وأذكر أن (العبد أبو عبيد) كان هو المسؤول عن مكتب البريد ودائماً متواجد هناك، وكانت السيارة التي توزع البريد عادة تصل في الصباح وتبدأ عملية الفرز والجموع الغفيرة من أبناء المخيم تنتظر في الخارج، حيث كانت الأسماء تكتب على ورقة

(فلوسكاب) تحتها ورقة كربونة كي تطبع على الورقة السفلى كون الالات التصوير لم تكن معروفة تلك الأيام.

وكانت تُعطى كل رسالة رقم وتكتب الأسماء بناء على تسلسل الرسائل،

وما أن تُعطى الورقة لأحد الواقفين كي يلصقها على اللّوح بعد وضع الصمغ الأصفر القديم وأعتقد ما كان عنا غيره و أحيانا كان عبد هو من يقوم بالمهة، وتبدأ بعدها عملية البحث كلاً عن إسمه ، ومن وجد له إسم تظهر على محياه بشائر الفرح والسرور وكان يتوجه للغرفة لأخذ الرسالة، طبعاً من كانت تصله رسالة لم يكن يستطيع الأنتظار حتى وصوله للبيت، بل كان يفتح الرسالة مسرعاً وينزوي جانباً ويبدأ بالقراءة وهو مستند على حائط المؤن أوبجانب سياج مجمع خدمات الوكالة (السنتيشن) أو وهو يمشي في طريق عودته للبيت ويدندن بالقراءة دون أن يشعر بمن حوله.

ولايزال عالقاً في ذاكرتي تلك العجوز التي كانت تحضر بشكل يومي للبريد دون أن تكل أو تمل وكانت تلبس الزي البدوي التقليدي الجميل وتطلب من أحد الشباب المنتظرين أن يبحث عن إسمها، وأحيانا أرى أحدهم يقرأ لها الرسالة وبعد أن يفرغ منها كانت لاتبخل عليه بما تجود به نفسها هذا عدا عن الدعاء بالبركة والتوفيق لمن يقرأ لها اخبار الأحبة - والله أعلم- أنه كان إبنها...

كانت الرسائل هي وسيلة الأتصال بيننا وبين أهلنا في الشتات، وكانت تحمل كل الأخبار منها السار ومنها غير ذلك وكانت من الطرق التقليدية المعروفة والمتبعة

في ذلك الوقت في حال إحتوت الرسالة على خبرسيء وغالباً خبر الموت أن يُحرق طرفي الرسالة من الأعلى وأحياناً أطرافها الأربعة، ولك أن تتخيل وصول خبر سيء بعد وقوعه ربما بأسابيع أو أشهركيف كان حالنا في المخيم حين سماع الخبر وكأن الصاعقة وقعت حينها.

ومن المواقف المضحكة التي كنت شاهد عليها وطريفةً جداً أن إحدى جاراتنا وكان زوجها في الغربة في أحد دول الخليج العربي، وقد وصلتها رسالة منه وكونها لم تكن تعرف القراءة والكتابة وكان يومها في ضيافتنا قريب لنا حضرلزيارتنا من غزة فجاءت جارتنا إلى بيتنا وطلبت من قريبنا الذي كان متشيك على الآخر أن يقرأ لها الرسالة...

أخذ قريبنا الرسالة وفتحها ونظر لجارتنا وقال لها: دبي الصوت (صوتي) جارتنا تغير لونها وصابها الرعب وقالت له: خير يا خوي شو فيه؟؟ قال لها دبي الصوت على وعليك اللي مابنعرف نقرأ ولانكتب واللي متوهمة فيه، ياخسارة لا بعرف يقرأ ولا يكتب...

جارتنا ووالدتي ومن كان بالبيت أخذتنا نوبةً من الضحك السهتيري وقالت له: والله قطعت قلبي وخليتني أفكر الرجل حصل له شيء في الغربة.. فقال: لها ياشايف الزول يا خايب الرجاء.. يعني بالك إذا لابس ومتهندم غنيمة ؟!! أعطيها لواحد من هالأولاد يقرأها... ومن يومها وحتى تاريخ مغادرتنا المخيم كانت جارتنا تُذكر أمي بذلك الموقف وتقول لها: والله قريبكم هد حيلي لما قال لي صوتي.!!

هذا الموقف سيبقى عالقاً في الذاكرة إلى الأبد ينقل للأجيال المتلاحقة عذابات أهل فلسطين ومحنتنا المتواصلة والمتسلسلة ولسان الحال يقول حياة الفلسطيني منذ الإحتلال وتشريد الأهل ضنك وتعب وحسرة، ورغماً عن كل شيء نسرق البسمة من بين الدموع لتستمر الحياة.

وكان في البريد تلفون يعمل بالبدالة (يدوي) إن حصل وأردت أن تتصل لأمرشديد الأهمية فلابد أن تحجز للمكالمة ويتم الطلب عن طريق البريد الرئيس في عمان وتنتظروصول المكالمة التي ربما تستغرق أحيانا الساعات، ومرة تسمع صوت مأمور البريد وهو يصرخ بأعلى صوته ألو... ألو عمان.. سامعني يا عمان.. وبعدين، أيوه معك.. معك، وكنت أتمنى حينها أن افهم السر في نقل الكوابل من مكان إلى آخر كذا مرة في نفس اللحظة، ولسوء خطوط الهاتف كان كثير من المكالمات كحديث الطرشان وفي النهاية كان إسمها مكالمة تلفون....



أما إن كان الأمر جلل ولايحتمل التأخيرفكان للبرقية الدور الحاسم حيث كانت رسوم البرقية تعتمد على بلد الإرسال وعدد الكلمات، وفي حال وصلت برقية لأحد سكان المخيم فكان العبد أبوعبيد - الله يذكره بالخير- إما أن يقوم هو بتبليغ فحوى الرسالة بنفسه أويرسل أحد من طرفه لأصحاب البرقية كي يأتي أحد ويستلمها (ومسخم يا شعبي ملطم ويا حلالي يا مالي) هذه العتابا ملهاش علاقة بموضوع البرقية، ولكن لها علاقة بمعاناة شعبنا.

وبما أن وقفة أنتظار البريد في فصل الصيف غالباً كانت سهلة، ولكن المشكلة كانت في الشتاء، حيث الوقفة تحت المطروفي البرد تجعل أسنانك تصطك ببعضها من شدته، ورغم ذلك لابد من الوقفة وتغوص في اللآصة (الطين)

للوصول للّوحة لقراءة الأسماء قبل أن تذوب الورقة وأحيانا كانت اللوحة بعكس إتجاه المطرلحمايتها وحين تسوء الأحوال أكثركان لابد من الدخول لغرفة البريد لقراءة الأسماء من الورقة الأصلية.

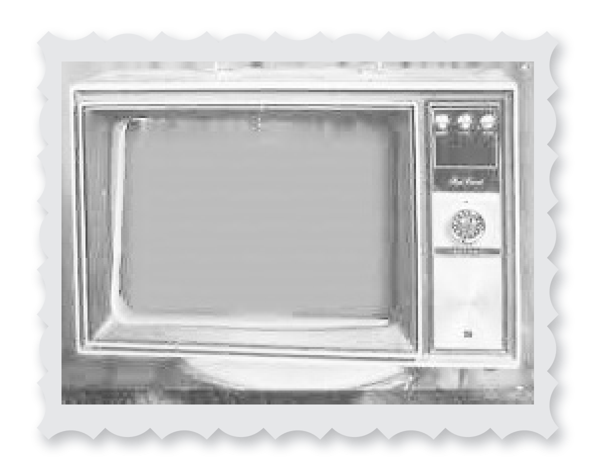
وعلى ذكر اللآصة وبما أن لها نصيب من الذكريات وحيث أن شوارع المخيم كانت جميعها ترابية فكان المطر يحولها إلى بركاً من اللآصة والزحاليق بعضها سهل المرور منه والبعض الآخر لابد له من تجهيزات خاصة (الجزمات البلاستيكية الطويلة) كي لا تلبط وتغرزفي اللآصة خصوصاً إذا كانت نوعية اللآصة من الطين الحرة.

(نوعاً من الطين الصلبة وكان أطفال وبنات المخيم يلعبوا بها ويعملوا منها بيوت وأشكال مختلفة)، وكنا نستعملها في لعب البيكارحيث أن لعبة البيكارشتويه.

ومن الجدير ذكره أن عملية المرور في الشوارع كانت شاقةً على الجميع سواء السيارات أو الكارات أو المشاه وكانت قوات التدخل السريع من شباب المخيم لاتتوانى عن تقديم خدمات الدعم والمساندة في نجدت السيارات المغرزة أو الكارات وخصوصاً إذا كانت تحمل أحمالاً ثقيلةً

وفي فصل الشتاء كان الجميع يترشق من الطين طالما أنه يمشي بالشارع وتجد الملابس وخصوصاً البناطيل مليئة بالطين مما يستدعي الإنتظار كي تنشف وبعدها يتم فركها وتنظيفها لأنه لم يكن هناك مجال لكثرة الغسيل لأكثر من سبب ومن ضمنها أجواء المطرلأنها تجعل عملية تنشيف الغسيل أمر صعب ومضني.

وقلما تجد أحداً من شباب المخيم نفذ بريشه من الزحاليق والمواقف المضحكة والمحرجة وهكذا كانت أحياناً الخدمات بحاجة لخدمات.



الكهرباء

للفلسطيني في حياته أينما تواجد محطات كثيرة ولإبن المخيم منها نصيب موفوروخصوصاً أن تواجدنا في المخيم لم يكن خياراً بل قسراً، حيث أن المحتل لم يدخل فلسطين بتأشيرة دخول وإنما عنوة وبقوة السلاح ومباركة القوى الدولية والإقليمية،فكان أن دفع شعبنا المشرد والمشتت في كل أصقاع الأرض الثمن غالياً ومازال حتى اللحظة يجدد العهد في كل مكان يتواجد فيه وكأن التغيرات التي تحدث في أي مكان لابد أن تأتي عواقبها الوخيمة علينا إما إن كانت تغيرات جيدة فنحن أول المستثنيين منها....

وكأن المثل لابد أن ينطبق علينا دوماً وطول عمرك يا زبيبة.... أو لو سقطت خشبة من السماء لابد أن تسقط فوق رأس واحد فلسطيني، والمصيبة لو كان فلسطيني أصلع...!!!

وهكذا بعد أن نُصبت الخيام في مكانها وتم توزيعها على العائلات وكل عائلة أخذت خيمة كذلك كان للمسجد خيمة والذي تولى هذا الامرالشيخ الجليل

يوسف مطير- إمام مسجد أبو بكر الصديق- رحمه الله وجزاه الله كل خير، وسيدي الشيخ ليمون (محمود الشريف) رحمه الله رحمة واسعة.

تم في بداية الأمرإختيار موقع مركز الشرطة، وكان الشيخان الجليلين قد أخذا على عاتقيهما مسؤلية خدمة المسجد والمحافظة عليه، وكانا يغيران مكان الخيمة نظراً لعدم وجود معالم واضحة أين سيكون المكان الدائم للمسجد، وتم تغير مكان الخيمة أكثر من مرة إلى أن تم إختيار الموقع الحالي، مع العلم أن جميع التغييرات كانت تحوم في مساحة ضيقة وتدورفي نفس المربع ...

وحيث أن معظم الخدمات لم تكن موجودة وبالذات المرافق العامة والكهرباء إلا أن الفكرة كانت إرساء حجرالأساس للمسجد وبما أن المسجد خيمة فكانت الأوتاد هي بمثابة الحجارة...

وبما أن الشيء بالشيء يذكر وكون كثير ممن لم يعاصروا تلك الفترة أو ممن عاصروها ليس لديهم فكرة عن النشأة الأولى للمسجد الرئيس في المخيم فاحببت أن أذكرها من باب التأريخ...

ولم تكن مسؤلية الحفاظ على المسجد بالمسألة السهلة وخصوصاً فترة الشتاء فقد جرفت مياه الأمطاروهدّمت الخيمة أكثر من مرة وكان الشيخان ومعهما بعض الخيريين دوماً يعملون على إعادة نصبها، وكانت تنار الخيمة بالفانوس الذي كان مرة يحمله الشيخ ليمون ومرة الشيخ يوسف لصعوبة ترك الفانوس في الخيمة في تلك الظروف وذلك الوقت...

وننتقل من الفانوس للكهرباء، فبعد أن بنت الوكالة مكان الخيم بركيات من الأسبست وبدأ قطاع الخدمات يأخذ نصيبه فكان من الطبيعي جداً أن يكون للكهرباء نصيب في إنارة ليل المعذبين المشردين اللآجئين الباحثين عن الأمن

والأمان، وكان حسب الإحصاءات الرسمية عدد السكان سنة نشأة المخيم في عام ١٩٦٨ أحدعشر الف نسمة وهو ليس بالعدد القليل، ومعروف أن شعبنا يستغل كل الظروف ليجعل من المستحيل ممكناً فقد كان لعدم وجود الكهرباء ومايتبعها من وسائل ترفيه والإحباط الشديد وقلة العمل والمستقبل المجهول، فرصة لشعبنا لزيادة النسل فكان أن زاد العدد بشكل ملحوظ في فترة بسيطة، (و سواء في حرب أو طخ أوشو ماكان بدنا نخلف يعني بدنا نخلف)... والأسباب الوارد ذكرها قد تكون عوامل مساعدة ولكنها ليست الأساس، وبناءً عليه يصنف شعبنا أنه من أكثر شعوب الأرض خصوبةً...

وحتى لانخرج من موضوع الكهرباء إلى موضوع الخلفة الذي لايحتاج كهرباء، نبقى في الحديث عن الكهرباء حيث أخذت عائلتان من عوائل المخيم على عاتقهم تزويد المخيم بالكهرباء وقد كانت لعائلة العبسي بالذات النصيب الأكبر وكان عمر العبسي هو دينمو المتابعة، وكان في المخيم ثلاث محطات لتزويد الكهرباء الأولى: بجانب المدخل الرئيس لمسجد أبي بكر الصديق وهي ملك عائلة العبسي وتزود الجهة الجنوبية للمخيم، والمحطة الثانية: خلف مركز التموين (المؤن) من الجهة الشمالية أيضاً تتبع عائلة العبسي وكانت تزود الجهة الشمالية الغربية، والمحطة الثالثة تتبع عائلة داود وتزودالجهة الشرقية من المخيم وكانت قريبة من الشارع الرئيس في حارة داود.

فيما يخص حارتنا والجهة الشمالية الغربية من المخيم كان عمر العبسي هو من يقوم بأمر المتابعة والجباية ولازلت أذكر الدفتر الذي كان يدون فيه عمر تفاصيل كل بيت من حيث كم إستهلك كهرباء من الشهر الذي مضى حتى تاريخ آخر قراءة وكم المستحق، وكنا ذو عهد جديد في الكهرباء فالبعض كان يقتني اللمبات

والبعض كان عنده النيوين لأن إنارته أفضل وأقل إستهلاكاً للكهرباء وكان بعض الناس تحتفظ بالقطعة الصغيرة التي تسمى (ستارتر) لأن النيون بدونها لايعمل وإذا إنحرقت لابد من إستبدالها أما أصحاب الأفكار المبدعة فكانوا يستعملوا قطعة واحدة لعدة نيونات فبمجرد أن يشتغل النيون ممكن ترفع القطعة من مكانها وتضعها لنيون آخر بشرط أن لا تطفئ النيون ، والحاجة أم الإختراع، وقد كانت الأسعار رخيصة مقارنة بهذه الايام ، والظاهر أن كل شيء يرتفع سعره في وطننا العربي الكبير إلا المواطن.

وكانت الكهرباء في المخيم تبدأ غالباً قبل المغرب بقليل وتستمر حتى العاشرة ليلاً وقليلاً ما كانت تستمرللحادية عشرة وبالذات في الإمتحانات وأيام الصيف، ولم يكن معروف السهر حتى الفجر كهذه الأيام فقد كانت حياتنا جميلة ببساطتها.

وأما في رمضان فكنا ننعم ببعض الكهرباء قبل السحور، وكانت العائلات تجتمع على السحور كما على الفطورويبدو أن هذه العادة يا للأسف تلاشت ولم يعد لها وجود إلا في أضيق الحدود، وكنا ما أن نصلي الفجر إلا والكهرباء في خبر كان وتكون قد إنقطعت.

ولهذه الإعتبارات ولضيق ذات اليد كانت فترة االسبعينات قاسيةً وصعبةً علينا وكانت معظم العائلات لا تمتلك جهاز التلفاز فكنا نتجمع في القهاوي لنستمتع بمشاهدة الرجل الآلي (ستيف أوستن) أو مباريات محمد علي كلاي في الملاكمة أوالمصارعة الحرة أو مباريات كرة القدم...

كانت كل حارة لاتخلو من بيت يمتلك جهاز تلفاز وكان من سعة صدور الناس يومها أن يتجمع معظم أولاد الحارة في ذلك البيت دون تذمر أوضيق أو تأفف... ما أجمل أهلنا وجيراننا وأهل المخيم فقد تقاسمنا كل شيء، الألم والحسرة والبرد

والشتاء القارص والفرح والمشاهدة القليلة لبعض البرامج التي كانت تدخل بعضاً من السروروالمتعة على أناس ليس لهم ذنبٌ سوى أنهم فلسطينيين لاجئين.

كنا أحياناً نكون في غمرة الإنبساط ونحن نتابع مقالب غوار أو ملح وسكرأو الأخرس والقلادة الخشبية وفجأة تنقطع الكهرباء لسبب لا نعلمه، وأحياناً تعود خلال دقائق وأحياناً لاتعود ولك أن تتخيل شعورنا ذلك الوقت!!! وكما يقول المثل المتعوس متعوس.

بعض الناس أصبح عندهم بعد فترة من الوقت جهاز تلفازوكان أكثر ماهو متعارف عليه الجهاز الأبيض والأسود وبمقاسات مختلفة ومعظمها من النوع الصغير الحجم وقليلاً ما كان هناك جهاز ملون، وكثير من الأجهزة دخلت عليها عوامل التعرية فتارة تجد المفاتيح مفقودة او مكسورة مما يضطرنا لإستعمال الزردية للتغيرأو أن الشاشة مكسورة نتيجة تعرضها لضربة طائشة أوأن الجهاز إرتطم بالأرض من فوق الطبلية أو كرسي الخشب الموضوع عليه أو الصندوق الخشبي (السحارة أو البوكسة) ، ونادراً ما تجد هوائي (سلك الأنتين) كامل وغير مكسور، أما حين تبدأ الصورة في الحركة السريعة من فوق لتحت (ترقص) فلابد من يد خبير لضبطها حتى ما تِحول العيون، وكله كوم وجهاز أحد اصحابي الذي كان لايشتغل إلا بضربة شبشب...

ومن المناظر المألوفة أن تجد أحد الجيران وهو فوق البيت يضبط الهوائي الخارجي مرة بإتجاه سوريا ومرة بإتجاه الغرب لإستقبال إرسال العدو الصهيوني حيث كان يبث فيلم عربي كل إسبوع من الأفلام المشهورة، وكان لابد من تثبيت الهوائي بكثير من الأسلاك من كل الإتجاهات حتى لايسقط ويتسبب بخسائر.

ومن المناظر المألوفة في معظم الشوارع أن تجد على أسلاك الكهرباء

أشياء عالقة وتتدلى للأسفل أو بين السلكين كفردة شبب أو بوت أو كندرة وكان الأولاد يعتبرونها لعبة، أيهم يستطيع أن يرمي حذاءً قديماً لم يعد يستعمل كي يعلق بالأسلاك أو الطيارات الورقية التي كنا نعملها ونطيرها وفجأه يختل توازنها وتعلق باسلأك الكهرباء.

هذه السلوكيات وغيرها كانت تضطر عمر العبسي أحياناً إلى تنظيف ما علق بالأسلاك حتى لايثقل الوزن وينقطع السلك ويحدث ما لاتحمد عقباه.

وبيقينا نتمتع بخدمة الكهرباء الأهلية إلى أن وصلتنا خدمة الكهرباء الحكومية سنة ١٩٨٢، وكانت أول مرة في حياتي أعرف أن هناك ثلاجة تعمل على الكاز قبل تمديد شبكة الكهرباء الحكومية حيث مكثنا في المخيم لا يقل عن ثلاثة أسابيع بدون كهرباء ومع ذلك كانت ثلاجة دكان أبو علي العر دائماً تعمل ونشتري منه المشروبات مثلجةً إلى أن عرفت السبب فكانت بالنسبة لي إكتشاف كبير.





النادي ونشاطاته

هكذا نحن نصارع عجلة الحياة أينما كنا لنربط الحاضر بالماضي ونستشرف منهما مستقبلاً للفلسطيني المهّجر كي تبقى شخصيته فاعلة وحاضرة ومؤثرة ولتثبت للجميع أن المنتسب للتاريخ والأرض لايمكن أن تنال من عزيمته النوائل...

وبعد أن بدأ يومنا في المخيم يأخذ بعداً جديداً، وأخذت طاقات الشباب تتفجر في نواحي عديدة وتم بناء نادي مخيم غزة الذي أطلق عليه نادي غزة هاشم ليكون نادياً ثقافياً رياضياً إجتماعياً.

وكعادتنا كفلسطينين نمتلك من المواهب والإبداع والطاقات والطموح الشيء الكثير والكثير جداً.

بدأ الرعيل الأول من شباب المخيم إستثمار تلك الإمكانيات والطاقات في جهد جماعي وفردي لتحقيق الفائدة المرجوة والهدف المنشود في خلق جيل فلسطيني من أبناء الشتات قوي البنية، مصقول الموهبة، مثقفاً وواعياً، منتمياً يسهم

في رفد قضيتنا بما يستطيع ورفع إسم المخيم عالياً الذي سيبقى دائماً عنواننا وطريقنا إلى فلسطيننا الحبيبة..

وقد يعتقد البعض أن النادي يعني الرياضة وفي الحقيقة هذا ظلم وإختزال شديد للمفهوم الصحيح للنادي حتى وإن كانت الرياضة هي العنوان الرئيس وتستحوذ على النشاط الأوفر.

وبما أن الحديث عن الذكريات الجميلة والتي كان للنادي نصيب منها فلابد من التطرق لكل ما كان يقدمه في ذلك الوقت من نشاطات وخدمات.

وعندالحديث عن النادي في فترة السبعينات لايكتمل الحديث ولايأخذ حقه دون ذكرأعلام ساهمت وبجهد وإخلاص ومثابرة ورؤية لانملك إلا أن نصفها أنها كانت ثاقبة وفاعلة وبناءة وأذكر منها أستاذنا عمر جراح والأستاذ سويلم العبسي وهذان بشكلٍ خاص كان لهما الحظ الأوفر والنصيب الأكبرفي نشاطات النادي الثقافية والرياضية، كما ولا يغيب عن بالي السيد أحمد غانم وفترتة الزاخرة أيضاً بالإنجازات.

كان حال النادي كحال أبنية المخيم حيث تم بناء بعض الغرف وصالة كبيرة وجميعها كانت مصقوفةً بالزينكو وما أدراك ما الزينكو وميزاته الفريدة من نوعها، حار جداً صيفاً أما شتاءً حدث ولا حرج حيث البرد الشديد ودلف المطرولكن صوت المطرعليه يعطيه بعضاً من الرومانسية الممزوجة والمصبوغة بعبق المخيم، وأنا هنا أحاول أن أصف نصف الكوب الممتلئ وأتحاشى النصف الفارغ كي لا يتحول بكاءً كبكائيات مظفر النواب (الشاعر العراقي المشهور) المصحوبة باللطم والندب...

وياجماعة الخير زهقنا من كترة اللطم حتى وإن خالفنا المثل الذي يقول (خد وتعود عاللطم)، ولا أعرف ولا أتمنى أن أعرف متى سنبدأ ألا نخاف من كثرة الفرح فنحن الشعب الوحيد في العالم الذي يخاف من كثرة الضحك ونقول إذا ضحكنا كثير الله يعطينا خير هالضحك والله يستر ما تنقلب على رؤسنا، معقول نكون ابو نكد؟؟!!!

وإذا الولد بضحك نقول له تضحك بلا سنان يالبعيد أو الضحك بلا سبب قلة أدب، أما يقعد ينكد ويصيح هذا شيء طبيعي!!!

وأما المرأه التي تضحك كثير بنقول عنها ثمها رخو وإذا مبوزه بنقول عنها إمرأه نكده... أفضل شيء نضحك ساعة ونبّوز ساعة وهيك بنحافظ على التقاليد.

ولا أريد أن اخرج خارج السياق حيث أن حواجز التفتيش بالمرصاد تصادر النزق الثوري المجبول عليه الأنسان الفلسطيني، ولو صدفةً وجدت إنسان فلسطيني مش نزق أشمطه خمساوي على صباحه وأفركله قرنين شطه وصنفه خارج التاريخ.

كان للنادي سياج حديدي وكانت البيوت خلف النادي قليلة وكان هذا يشعرنا أن النادي في آخر المخيم، وللتأريخ كان أيضاً أمام باب النادي محل تصويرملك محمد عويضة (الشيخ محمد المشلح) وقد أغلق أبوابه في اوآئل السبعينات بعد خروج الثورة الفلسطينية من الأردن بقليل.

كان الشباب يتوافد على النادي في معظم الأوقات، أما وقت الذروة فكانت بعد العصر حيث النشاطات المختلفة، وقد إحتضن النادي بعضاً من المسرحيات التي كان يؤديها ويشرف عليها شباب المخيم، وكانت اللجنة الثقافية في النادي تصدرمجلة الحائط التي كانت مصدراً حافلاً بالمعلومات، وكان للنادي فريقاً

للكشافة وقد كنت أحد أشباله، ولا زلت أذكر إنضباطه، وكيفية تأدية السلام والمشية الرتيبة وطريقة الجلوس والإعتدال وكذلك الإنصراف في نهاية الدوام.

كانت نشاطات النادي في السبعينات كثيرة وقد إستضاف النادي فرقاً كثيرة وبالذات في كرة السلة وكرة الطائرة، وكان فريق النادي في كرة الطائرة يمتّعنا أيما إمتاع حيث كان هناك إعداد جيد ومواهب متعددة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر حمدان أبو حميد وعزات أبوسمهدانة وطارق الوحيدي، أما فريق السلة فكان له أيضاً نصيب وكان لفضل منصور بتصويباته البعيدة وتركيزه بهدوء، وعوني عطية فرج -عليه رحمة الله- بطوله الفارع الأثرالواضح في فوزالفريق في معظم اللقاءات وتكاثف جميع الجهود.

أما اللعبة الشعبية الأولى كرة القدم فكان لها الحضور الأكبر وكان للنادي فريقُ جيدُ ينافس بقوة في الدرجة الثالثة وكانت مباريات فريقنا مع فريق مخيم سوف لها لون وطعم خاص من التنافس والندية والحضور الجماهيري الكبير والروح الرياضية الأخوية بين الفريقين، وقد برز من شباب المخيم في هذه اللعبة المبدع أنور فرهود الذي إلتحق بفريق جرش ونافس معه على بطولة الدرجة الأولى، وكان عبدالحكيم الصافي هداف نادي مخيم غزة وكان لسرعته الفائقة الدور الحاسم في إحراز الأهداف والتي أهلته أن يكون أحد أبطال الأردن في ألعاب القوى ويفوز ببطولة المملكة في سباق ٤٠٠ متر وأن يمثل الأردن في المسابقات العربية والدولية.

وبرز كذلك في الألعاب الفردية زهير عواد في بطولة تنس الطاولة وكان من أبطال المملكة وقد كنت أتابع بشغف شديد زهير وهو يتدرب ويلعب الساعات الطوال في النادي مع سليمان أبوصعاليك الذي كان لايقل تألقاً عن زهير.

وبرع في رياضة كمال الأجسام علي أبو الفول وكان هناك الكثير من أبناء المخيم الذين برعوا في كثير من النشاطات، ولكن لا يتسع المجال لذكرهم...

وهذا غيض من فيض وكلي يقين أن هناك مواهباً كثيرة كانت في المخيم ولازال الكثير منها لو أتيحت لها الرعاية والعناية الجيدة لرفعت إسم المخيم عالياً ولنالت أعلى المراتب.

وكانت من النشاطات الجميلة التي ينضمها النادي دوري لكرة القدم داخل النادي وكل فريق يتكون من أربعة لاعبين (لم يكن لدينا ملعباً كبيراً كالمتعارف عليه) وبقيت هذه العادة دارجة زماننا وكنا نطلق على الفرق المشاركة أسماء ترتبط بالوطن كفريق غزه وفريق النصيرات وفريق العودة – نحمل وطننا معنا أينما ذهبنا – وكان هناك أيضاً دوري يقام في رمضان بعد الإفطار على نور الأضواء الكاشفة، حيث كان لرمضان طعم مختلف بهذه النشاطات.

وكان بين الحين والآخر يتم عمل تصفيات في تنس الطاولة، ولكنها لم تكن منتظمة، ولم يغفل القائمين على النادي فترة السبعينات وأوائل الثمانينات الأيتام فقد كان هناك معكسر للأيتام يقام سنوياً في معهد الوكالة في ناعورحيث يتم تجميع الأيتام من معظم مخيمات الأردن وبالطبع كان لإيتام المخيم حضورهذا عدا عن الإجتماعات التي كانت تقام للإيتام في النادي والتي تركت أثراً طيباً لدى الأهالي.





ومن النشاطات التي لاتزال عالقة في الذاكرة تنظيم رحلة للأشبال إلى معكسر المنظمة في اليمن، حيث شارك لايقل عن خمسين شبلاً من أبناء المخيم في تلك الرحلة ولقد كان لي شرف مرافقة الأشبال إلى المطار ولم يمنعني من السفر معهم إلا إرتباطي بالسفر إلى يوغسلافيا حيث سافر الأشبال بمعية الأخوة سيد الشولي وأسامة النجارفي كشف معد من مكتب المنظمة في جبل الحسين ولم يكونوا بحاجة لجوزات السفر وإلا لحُرم أشبالنا من السفركونهم يا حسرة قلبي لا هُم ولا آبائهم يحملون جوازات سفر.

وكان لوقع عودتهم دوياً مؤثراً في المخيم بعد أن وصلت الحافلة التي تقلهم إلى نادي مخيم غزة حيث كان الأهالي بإستقبالهم وكانت كل أم مجهزة رشاش من الزغاريد والحبة في بيت النارإستعداد لإىستقبال العائدين وما أن نزل الأشبال من الحافلة إلا وتعانقت الأفراح والزغاريد وروح النشوة والفخر لأشبال فلسطين الذين أرسلناهم أشبالاً يافعين فعادوا ومظاهر الخشونة والرجولة والعز يعلوا محياهم، فأبكونا تحت أزيز وأهازيج الزغاريد والعناق والجميع يتخيل موعد العودة بالنصر المؤزرإلى ربوع الوطن.

هذه هي الأم الفلسطينية التي تودع إبنها الشهيد بالزغاريد وتستقبل إبنها العائد من رحلةٍ واجب الوطن بالزغاريد، فلله درك يا أماه...!!!

كانت نشاطات النادي تثلج الصدوروتُدخل البهجة والسرورفي صدورنا، ويصعب الحديث عن ذكريات النادي دون الرجوع إلى ذكريات المدرسة، وكأن المدرسة والنادي في تناسق وتكامل عجيبين، حيث أن نشاطات النادي كانت نواتها الأساسية تبدأ من المدرسة على الأغلب.

كيف لا وجل من ذكرناهم والجيل الذي خَلفهم قد بدأت تباشير إبداعهم في مدرسة الوكالة.

فكان الأستاذ شفيق أستاذ الرياضة قد بدأ المرحلة الأولى، وأكمل المهة بعده على أكمل وجه الأستاذ خالد العموري الذي كان من سكان مخيم الوحدات، ولكنه سكن المخيم بجانب المدرسة فكان جل وقته في المدرسة وكان برنامج التدريب أحياناً بعد الدوام شبه يومي وفي أضعف الأحيان ثلاثة أيام في الأسبوع، وكان الأستاذ خالد شديد الشكيمة ولا يتهاون في التدريب أو الغياب وعدم الألتزام.

وبهذا من جرى أعدادهم في مدرسة الوكالة كانوا عماد الفريق في النادي، ومن بين النشاطات التي بدأت في المدرسة ولم تأخذ حظها في الظهور، لعبة الجمباز حيث كانت فرشات الجمباز الجلديه وحفرة القفز التي كانت مفروشة برمل صويلح أمام الصفوف في آخر المدرسة من جهة مطعم الوكالة (الطعمة) حيث كان يتم التدريب على القفز الطويل والقفزة الثلاثية.

وكان هناك كثير من المواهب التي وكما أسلفنا لو وجدت الرعاية لربما أثمرت إيما إثمار وكان أستاذنا الأستاذ سليمان ابوتيلخ -عليه رحمة الله - من أحد اولئك المبدعين في لعبة الجمباز وكان -عليه رحمة الله - شديد الخجل وصورته لاتفارق مخيلتي وهو يلبس الحذاء الابيض (الكاوتشه) وبنطلون الرياضة ضيق الرجل حيث لم يكن يرتدي الشورت القصير.

وكان للنادي فريق من الملاكمين منهم أيوب أبوعمره والذي كان نجماً ويتحفنا في كثير من الأفراح والمناسبات وفي عرصات النادي في المشي على يديه وهي رياضة تحتاج كثير من الرشاقة والليونة والتوازن، كما كان خليل أبو جبة أحد أعضاء فريق الملاكمة، وكون رياضة الملاكمة تحتاج الكثير من الإعداد والإمكانيات المادية والرعاية فلم تكن نشاطات الملاكمة تخرج خارج حدود النادي.

أما النشاطات الفنية والتي كان لشبابنا سواء من الرعيل الأول أوالجيل الثاني

نصيب منها، فقد كان فوزي مصلح -عليه رحمة الله - يمتلك أصابعاً ذهبية وانامِلاً تلف بالحرير في موهبة الرسم، وأذكر أني غادرت المخيم ورسمة فوزي على حائط الصالة الرئيسة للنادي من الداخل سفينة على شكل كلمة فلسطين تزين جدار الصالة، كما كانت له رسومات كثيرة.

هذا جانباً وأما الجانب الآخر فكان للأخ خليل عابد حضوراً مدوياً فيه فقد شكل من أشبال المخيم فريق للأناشيد والأغاني الوطنية وكان يدربهم في مكتبة النادي عدة أيام في الأسبوع، وكان نجماً للحفلات في المخيم بصوته الجهوري الجميل ولونه الوطني الذي ظل ملازماً له ولم يحد عنه حتى هذه اللحظة وشكّل خارج المخيم فرقة وذاع صوته في التأليف والشعر الغنائي الوطني، وربما نال خليل ككثير من شباب المخيم مضايقات أمنية ليكف عن ذلك النشاط، ولكن معرفتي بخليل انه أبى ومازال على العهد.

وكانت بداية الثمانينات فترة مليئة بالأحداث التي هزت الجميع كاجتياح الجيش (الإسرائيلي) للبنان وخروج المقاومة من لبنان وكان من نتائجه وقوع كثير من الفلسطينين واللبنانين أسرى في معسكر أنصار وكان للمخيم نصيب حيث كان أخي الأكبر مني (سامي) في الأسر مع الأخ (رزق الشولي) وكان أخي الأصغر مع الفرقة التي أنشاها خليل للأغاني والأناشيد الوطنية ، ولم يغيب عن بال خليل أن يغني للأسرى وكنت يومها أحضر معه التدريب وغنى للأسرى وذكر أخي بالإسم فلم أتمالك نفسي إلا والدمع يجري مدراراً فغادرت غرفة المكتبة مسرعاً، فما كان من الأخ خليل إلا وقطع التدريب وتبعني محاولاً أن يهدأ من روعي... هذا هو مخيمنا طيب باهله وتكافلهم وشعورهم الأخوي الصادق ، وهذا هو نادينا الذي تربينا وتعلمنا وتدربنا وكونّا امتن الصداقات فيه وعشنا أجمل لحظات عمرنا وذكرياتنا الخالدة...

نادينا الذي مازال يقدم حتى هذه اللحظة نشاطات وخدمات وإجتماعات لخدمة المخيم وأهله ليبقى النادي حاضنة تُخرّج الفوج تلو الفوج الذي يهيم بحب المخيم، وكما ورثنا من أهلنا حب الوطن والتمسك بكل ذرة من ترابه إلى أن يحين الوقت المعلوم وقت العودة والتحريرولن نقبل بغير فلسطين بديل.

في النادي كان إجتماعنا لمشاهدة المباريات في جو إحتفالي حيث تزداد المتعة بوجود الشباب وكل من كان عنده معلومة أو شيء جديد يبادر به وتمضي الساعات الطوال في السمر ومتابعة الأنشطة الرياضية، أما المكتبة بما فيها من كتب ومجلات فكان لها دور فيمن يبحث عن المطالعة

وحيث أن وسائل التكنولوجيا لم تكن متوفرة للتواصل، فكان النادي مكان الألتقاء، إما للإنطلاق إلى مكان آخر داخل المخيم أو خارجه أو للإجتماع بالإصدقاء وقضاء أمتع الأوقات.

هكذا كان نادينا كل يقصده لمبتغاه ونرجو أن يبقى نادينا منارةً للجميع كما كان في سالف عهده وتبقى ذكرياتنا شذاً فواحا نسطرها لمن بعدنا لتبقى في الوجدان والشعورملازمة لنا إلى أن يقضي الله اجلاً كان مفعولا....





سوق المخيم

وبما أن حبل الذكريات موصول والعدسة مازالت تسجل الأحداث في كل محطة توقفت عندها لتبحث في تفاصيل ربما كانت غائبة عن البعض وربما لم تخطر ببال أحد، أنه سيأتي يوم لنسطرها في سجل الذكريات الخالدة.

وكما نالت الذكريات قبولاً عند كثير من الأصدقاء والأحبة أو تم المرور عليها مرور الكرام ممن لم يعيش حياة المخيمات كما عشناها وتركت فينا اثراً وصدىً ومشاعر جياشةً كلما هبت عليها رياح السنين زادت عبقاً ورونقاً ودغدغت بنسيمها الفواح شغاف القلوب المفعمة والمدثرة بحب الوطن.

فصرت كلما كتبت أكثر أتجذر في حب المخيم أكثروأصبح هاجس الذكريات لايبرح مخيلتي قيد أنملة وصرت كمن يعاني إنفصاماً في الشخصية ما بين الواقع المعاش في دولة من أرقى دول العالم ألا وهي كندا وما بين من يعيش تفاصيل ذكرياته الجميلة الرائعة البسيطة الضاربة في الأعماق كشجر السنديان في مخيمنا الحبيب مخيم غزة العزة إسماً وصفةً وقدراً.

وكأي مجتمع صغيراً كان أم كبيراً لابد من المرور على السوق وكان سوق المخيم ببساطته محط أنظار الجميع حيث لايوجد غيره للتسوق والصعوبات كثيرة ولم يكن من العرف توجه أهل المخيم خارج المخيم للبحث عن إحتياجاتهم خاصة أن أصحاب الدكاكين كانوا يقومون بالمهمة نيابة عن الجميع...

وكان أصحاب الدكاكين من أهل المخيم يذهبون لحسبة جرش مبكرين جداً للعودة للمخيم قبل توافد المتسوقين وأحياناً كانوا يتوجهون للحسبة بعد العصر والعودة قبل المغرب إستعداداً للغد.

ويصعب المرور على سوق المخيم دون ذكر بعض الأعلام المشهورة الذين خدموا المخيم حتى توفاهم الله ومنهم من تقاعد وترك المهنة.

كانت دكانة الحج مرزوق أبوشاب عليه رحمة الله أول دكانة في السوق من مدخل السوق الغربي، وكان الحج مرزوق متخصص في بيع أدوات البناء من الواح زينكو وخشب بالإضافة إلى تجارة الطحين والرز والسكر والتي كان للأفراح نصيباً منها، وكان أهل المخيم يُهدون بعضهم في الأفراح أكياس السكر والرز كنقوط، ولا أعلم هل مازالت هذه العادة أم ذهبت أدراج الرياح كبقية العادات الجميلة مع ثقافة إنتشار صالات الأفراح وتقديم قطعة أسفنج (الكيك) بدل المنسف والمفتول الغزاوي المشهور!

وكان الناس يشترون من الحج مرزوق أكياس الرز والسكربالمُفرق ويرجع الحج مرزوق يشتريها منهم بالجملة... كون أهل العرس يتجمع عندهم أحياناً كميات كبيرة من السكر والرز فكان لابد من العودة للمربع الأول وعند الحج مرزوق تنتهي وتبدأ الصفقة جملة ومفرق، وكان الحج مرزوق يبيع بالدين لكثير من الناس حتى يأتي الفرج وكانت هذه الميزة من ميزات التكاتف والتأزر التي

إشتهر بها أهل المخيم، وفوق البيعة كانت سيارة النقل (البكم) التي تحضر أكياس الرز والسكر من بيت العريس على حسابه.

ومقابل دكانة الحج مرزوق كانت دكانة نافع حيث محل بيع الدجاج وكنا ونحن صغار نذهب لشراء الدجاج لنشاهد معاطة الدجاج التي أصبحت تختصر وقت أمهاتنا وأخواتنا في معط وتنظيف الدجاج، وكان يوم الجمعة يوم حافل لأنه يوم إجازة والعائلة كانت تجتمع فكان لابد من مقلوبة الدجاج التي لها مفعول مزودج وأخشى من الإستفاضة في التفصيل حتى لا تقطش الرقابة النص، وكانت الأمهات تخص الزوج بالكبدة والقوانص في طبخة منفصلة عن المقلوبة، وكل شيء له وقته.

وبجانب دكانة نافع كانت دكانة أبو زكي أبوطعيمة عليه رحمة الله وكانت منوعة، وأكثر ما كان يستهوني (الدرادو والأسكيمو) من الثلاجة الفريزر الكبيرة.

وفي المقابل دكانة أبو عادل الخطيب وأبو رأفت أبو الخير المختصون في بيع الملابس المستعملة (البالة)، وملحمة أبو جمال مرزوق عليه رحمة الله وكان للحّامين في المخيم طقوس فريدة من نوعها حيث كان على العبسي والحج عليان وأبو سامي أبو لبدة وعلي أبو الفول، ولم أشاهد في أي مكان في العالم حفلة زفاف للبقرة قبل ذبحها إلا في مخيمنا حين كان علي أبو الفول يطوف بالبقرة شوارع المخيم وكنا صغارونمشي وراء البقرة ونغني وننشد احتفالاً بذبح البقرة إلى أن تصل البقرة للمسلخ وبهذا يصل علم لكل أهل المخيم أن هناك بقرة مذبوحة فمن أرد لحماً فما عليه إلا المبادرة.

وأذكرأن أبو جمال رحمه الله جمعنا يوماً مع بعضاً من أولاده وأولاد الجيران وسجلنا شريط ونحن نغني (لحم العجل بدينار) ووضع المسجل أمام الدكان

وطول النهار والشريط يعيد للفت إنتباه الناس وبهذا نثبت للعالم أننا سباقين أيضاً في علم التسويق.

وكانت دكانة أبوغالب أبو زهري وهي منوعة وكذلك أبو جمال خطاب وأبو مجدي الحواجري وأبو العبد طه (السدودي) وسعيد النجار أبو أكرم وأبومحمود الملاحي وأبوسلامه الكردي وأبو فتحي أبو لحية وعايش أبو لحية وأسماء كثيرة قد لايتسع المجال لذكرهم.

وكان موسم الصيف حافل حيث سيارات البطيخ وسهرة شباب المخيم في تنزيل البطيخ مرة لمحل أبو زكي ومرة لمحل أبو فتحي أبو لحية ومرة لأبوغالب أبو زهري وهكذا دواليك، وكانت سهرات أصحاب بسطات البطيخ أمام المحل تستمر لساعات طويله ليلاً على ضوء (اللوكس) قبل دخول الكهرباء وكان التقليد أن ينام أصحاب البسطات بين البطيخ خارج المحل لإسباب معروفة ويصعب تفصيلها هنا.

ومن بين المواقف التي لازلت أذكرها أن بعضاً من شباب المخيم أمضوا الليل في تنزيل شاحنة بطيخ لإحد المحلات وكانت شاحنة كبيرة إستغرقت منهم وقتاً طويلاً وبعد أن أتموا تفريغ الشاحنة فوجئوا أن صاحب البسطة أعطاهم بطيخة لكل واحدٍ منهم بدلاً عن تعبهم وهم الذين كانوا يتوقعون أقل شيء كل واحد نصف دينار كونهم طلاب وبأمس الحاجة لكل قرش.

أخذ الشباب كلاً نصيبه وعزموا النية أن يأخذوا حقهم بطريقتهم كونهم شعروا بالغبن، ومر اليوم الأول دون أن يأتوا بأي حركة ، وفي اليوم التالي تجمعوا ليلاً وقد أعد كل واحد منهم مجموعة من السهام كما كنا نشاهد في أفلام الغرب الأمريكي وفي رأس كل سهم مسمار مثبت بشكل جيد، وكانت بسطة البطيخ في شارع السوق

الثاني وليس الأساسي وكانت ليلة ظلماء، وكَمَن الشباب في العتمة حتى منتصف الليل وبدأ هجوم الهنود الحمربالسهام على البطيخ من بعيد حتى أفرغ كل منهم ما بجعبته من سهام في البطيخ دون صراخ الهنود الحمرالمصاحب للهجوم.

وفي الصباح بانت المصيبة، ولكن دون دليل وبهذا أخذ الشباب حقهم ووصلت الرسالة لأصحاب البسطات أن الهنود الحمر بالمرصاد ولسان الحال يقول (ياويله اللي نحاربه بالسيف نقطع شاربه).

وفي الشارع الاخر للسوق كما كنا نسميه سوق الملابس والقماش كان لمجموعة دكاكين أبو عرادة نصيب حيث كانت دكانة حسن أبو عرادة رحمه الله وطلب أبو عرادة رحمه الله لبيع الملابس الجاهزة والأدوات المنزلية وكذلك دكانة سليمان أبو سبيتان للملابس الجاهزة وكذلك أبو جبر البدرساوي للأقمشة والملابس الجاهزة والأدوات المنزلية.

ومابين شارع السوق الرئيس وشارع الملابس والأدوات المنزلية كان سوق الغنم حيث كان لجارنا العزيز عبد الله أبو شقورة باع طويل وحرفيةً ماهرة

وبعد إنقضاء وقت بيع وشراء الغنم كان محل أبو أدهم أبوعرادة للدرجات الهوائية (البسكليتات) يأخذ مجده في تأجيرالدرجات على أن نبقى داخل الشارع ولانغادر المنطقة وإلا كرباج أبو أدهم الذي هو عبارة عن العجل الداخلي لإحد الدرجات المبنشرة والذي لا أمل بإصلاحه لكثرة الرقع، يُعلم على جناب من يكسر الأتفاق، أما بعد العصر فكان نفس المكان يتحول إلى ملعب كرة قدم، يعني كان كما يُقال الآن كل شيء في نفس المكان، أربعة في واحد وليس إثنين في واحد.

كنا بسيطين في كل شيء ونستمتع بالمتوفر ونبقى نحلم دون أن يطغى الحلم على الواقع، ويمر الوقت سريعاً ونكبرونغادر المخيم إلى كل أصقاع الأرض إلا أن

المخيم لايفارقنا ويبقى معنا في ذكرياتنا نحمله ونحلم به ونذكره بكل إعتزازونردد قول الشافعي في غزة ومخيمها:

«وإني لمشتاق إلى أرض غَـزَّةٍ ... وإن خانني بعد التفرُّق كتماني..

سقى الله أرضاً لو ظفرتُ بتربهـا ... كحلت به من شدةِ الشوق أجفاني»

ومنذ غادرت المخيم طفت في أربع قارات وزرت مئات المدن والدول إلا أنني أشعر أن المخيم أكبر منها جميعاً، على الأقل بالنسبة لي، ودائماً ما أتندر وأقيس أي مكان في العالم بالمخيم وأيهم أكبر، وعملت في مهنة إقتضت مني السفر المتواصل وزرت مصانع عديدة وكبيرة سواء مصانع السيارات المشهورة في أمريكا وكندا ومصانع للطائرات الصغيرة ومصانع دبابات، ومصانع للقطارات ومصانع الأدوات المنزلية المشهورة ومصانع الادوية وأخرى متعددة، ولم أزر مصنع إلا وأتخيل وأتمنى لو كان في مخيم غزة.

سلامٌ على مخيـــم غـزة وأهلــه الطيبيــن...سلامٌ عليه من فلسطين ولفلسطين

سلامٌ عليه وعلى ذكرياتنا فيه عبر السنين... سلامٌ على مرتـع الصبى والحنين





محلات الحلاقة والحلاّقون

رصدت عدسة الذكريات بتفاصيل كثيرة معظم الخدمات في المخيم والأشياء الجميلة التي تركت أثراً طيباً وذكرى جميلة في نفوسنا، ولكي تكتمل صورة الأشياء والأحداث كما كانت فلابد من التعريج على مكانة الحلاق ومحلات الحلاقة ببساطتها أيامها وبالحاجة الشديدة لها وعدم الإستغناء عنها.

والمخيم هو مجتمع فلسطيني مصغرعن فلسطين الأم، ولكنه مزدحم وغني بالعادات والمورثات المحمولة من سنوات طويلة.

وكان في المخيم عدة محلات للحلاقة وكانت تلك المحلات تصنف كما هي صالونات اليوم، ولكن بإختلاف بسيط في أن بعضها كان للشباب وبعضها كان لكبار السن والآخر كان لطلاب المدارس وبعضاً منها للجميع.

وكان يذكر بعد الإسم الأول كلمة حلاق حيث ترافق كل من يمتهن المهنة، فكنا نقول مثلاً مصطفى الحلاق وبهذا عندما نرفق الأسم باللقب فلا مجال للإلتباس بل الجميع يعرف من هو المقصود.

وكان محل مصطفى الحلاق أشهر محلات الحلاقة في المخيم كون رواده من الدرجة الأولى الشباب الكبار، وكان مصطفى الأسود (الحلاق) بمثابة الصديق لمعظم الشباب وهذه من ميزات المجتمعات الصغيرة كمجتمع المخيم..

محلات الحلاقة كانت تقدم أكثر من خدمة واحدة في نفس الوقت فعدى عن الخدمة الأصل كانت ملتقى للشباب، حيث يلتقون عنده وكان مكان للتزود بالأخبار ونشر الأخبارأو الأستماع لنشرة الأخبار بشكل شبه جماعي ويبدأ بعدها التحليل والتأويل والتنبأ بما سيحصل.

وبعض الشباب وممن تربطهم علاقة طيبه مع الحلاق كانوا يمرون عليه صباحاً ومساءً لكي يستعرض طوله أمام المرآيا ويتأكد من لبسه وهندامه وتسريحة شعره حيث تعطيه صورة ثلاثية الأبعاد لاتتوفر إلا عند الحلاق لوجود المرآيا، وخصوصاً إذا كان عنده مشوار من أمام حنفية المية أو عنده مشوارخارج المخيم.

وكانت عادة تلك الأيام أن تقدم ضيافة للزبون كاسة الشاي أو فنجان القهوة - مصطفى كان يُضَّيف الشباب قهوة، وسالم أبو نحل ومن قبله أبوه أبو فتحي أبو نحل كان يُضَّيف شاي - لها طعم ونكهة مختلفة عن التي تعودناها في بيوتنا وربما هو إحساس فقط.

طبعا نحن الصغار لم نكن نشرب القهوة حيث كما كنا نسمع أنها تنبت الشوارب أو هكذا كانوا يقولون لنا : اللي بشرب قهوة بطلع له شوارب، فكان تخصصنا شاي وربما أولاد المخيم أكثر من يشرب الشاي وربما هذه النقطة خارج الموضوع ولكن من باب العلم بالشيء، فمع الفطور نتناول الشاي وبعد الغداء شاي ومع العشاء شاي وقبل المغرب شاي وطعم كاسة الشاي مع الفطور تنقلك إلى المخيم بلمح البصر حتى وإن كنت في جزر (الواق واق) أو في بلاد (الكلب

والكلبة) ومع أني خبير جغرافيا وتنقلت في أربعِ قارات إلا أنني حتى هذه اللحظة لا أعرف أين تقع تلك الجزر أو تلكم البلاد.

وكلي يقين أن بلاد (الكلب والكلبة) أو برواية أخرى (الشلب والشلبة) لايمكن تسمعها إلا من فلسطيني وخصوصاً من سكن المخيمات.... ياعمي عنا تخصص وبراءة إختراع وعلم بالجغرافيا لايعلمه غيرنا وما تجيبوا سيره حتى ما حدا يطسنا بالعين ونرجع للطب الشعبي أو يسرقوه منا كما سرقوا الوطن... وندخل في صراع نسترجع الوطن السليب ولا الثقافة المسروقة، وعدونا سرق الأرض وسرق التاريخ وحتى أكلاتنا الشعبيه كالفلافل والحمص سرقوها!!!!

خلينا مع الحلاقين حتى ما نشت عن الموضوع، وكانت موظة الشليش الطويل والسوالف الفرنسية أوما يطلق عليها هذه الأيام (كعب كندرة)، فكان الشباب حافظين مصطلح واحد عندما يسألهم مصطفى أو أي حلاق آخر، كيف بدك الحلقة؟؟ فيأتيك الجواب عالسريع تصليح يعني تخفيف ...

طبعاً كل الحلاقين أيامنا كانت حلاقتهم معروفةَ، تصليح وهي للشباب الكبار والخنافس وأصحاب الشاليش أو رقم إثنين للختايرة والرجال الكبار اللي ما بحبوا الشعر أو اللي ما عندهم شعر من أصله أو شعرهم خفيف أو عالصفر(زلبطة) لطلاب مدارس الوكالة حتى السادس إبتدائي أما طلاب الإعدادي فمسموح لهم الشعرولكن ممنوع الخنفس والشليش.

وقبل الإسترسال في التفاصيل لابد من ذكر أشهر من مارس الحلاقة أيامنا، فكما تم الإشارة لمصطفى الأسود كان أبو فتحي ابو نحل وورثها لإبنه سالم وبقي هو متخصص في الفول والفلافل بجانب محل الحلاقة إلى أن إعتزل المهنة وبقي محل الحلاقة، وكان يوسف الحلاق ونسيت إسم عائلته وطالما أننا نضع الحلاق

في نهاية كل إسم فهو معروف،وكان أبوشاكر الطويل وكان أبوعبدالعظيم عبدالله (أبوالعبد) والد الأستاذ عبدالحكيم عبدالله وكان أبو إبراهيم الخطيب وورثها من بعده ابنه إبراهيم في الثمانينات ، ومن اوائل الحلاقين في المخيم ولكنهم تركوا المنهة مبكراً ولهذا قلة من تعرفهم أبو ماهر بارود وكان محله على زاوية بيت سالم البدوي وأبو علي الفقعاوي وبعدها صار مكتب سفريات عمان ، وكان محل الحج سلامه كلاب أبو محمد بجانب محل أولاد سلامه على الزاوية وقد اغلقه في السبعينيات وسافر لبلاد الحرمين ،وكان أبو زياد الملاحي وقد غَيرأبو زياد المهنة بناءً على فتوى ونصيحة من شيخنا العزيزالشيخ يوسف مطير،وكون الذكريات للتأريخ أصلاً فيذكر أن الحج طه أبو عودة الحمامي ونعيم كلاب قد دخلوا المهنة في الثمانينات، وكان خليل العبسي (أبومحمد) ومحله في طرف المخيم الشمالي على طريق الكتة وكان تخصص الرجال الكبار والختايرة كونه قريب من أعمارهم والأحاديث بينهم سجال .

ولا زلت أذكر خليل العبسي في ساعات الصباح الباكر ونحن ذاهبون للمدرسة وهو قادم من حارتهم البعيدة (حارة المسلخ) وهو يحمل بيديه سخان الماء الساخن وسخان الشاي أو ما يطلق عليه (التيرموس) لحفظ الماء بداخله ساخن كي يستعمله في حلاقة الذقون، وكانت دكانته زينكوولهذا كان الختايرة يذهبون له مبكراً أو بعد العصروخصوصاً في الصيف لأن حرارة الزينكوبتلمط لمط وبتشوي شوي وحتى ما تكون الحلاقة على الناشف.

وكما هو معروف في التجارة أن موقع المحل مهم فقد كانت معظم محلات الحلاقة في حارة السوق وقريبةً من المدارس باستثناء محلي مصطفى وأبوزياد فقد كانت عند الكراج وهي كذلك مواقع مهمة جداً...

وهكذا كان ينطبق المثل تعلم الحلاقه في رؤس الغلابة... وكان هناك تعاون فعال ومصلحة مشتركه بين الحلاقين ومدارس الوكالة...

حيث موسم الحلاقين على بداية المدرسة وكنا طابورعالدورحيث كبر شعرنا خلال الفدوس وأتى الأن دور الحصاد، وخلال المدرسة إذا كبر الشعر شويه فكان الأساتذة يحضورن المقص ويعملوا في رؤسنا شوارع أو ما كنا نطلق عليه التبشيع فإذا لم تستجيب في اليوم الأول وتأتي بمظهرلائق يحضر الأستاذ المقص ويبشع لنا حينها لا مجال لنا إلا الحلاقة على الصفر..

كان الملاحظ أيامها أن زجاجة العطر الشبراويشي أو الثلاث خمسات دائما ممتلئة ولم نكن نعلم أن ثلاثة أرباعها ماء، وحتى تكتمل الصوره تماماً كان أحيان الحلاق يتوصى بنا ويرش لنا عطر أو كولونيا زيادة، وعندما تصل البيت فكف نعيماً ينتظرك.... (طقوس) مش بكفي الواحد حالق ومسموم بدنه ومتحسر على شعراته، بل لابد من كف عالرقبة حلوان الحلاقة ... ونعيماً.

هذا فيما كان يخصنا نحن الصغار أما الشباب فكان لهم عند مصطفى طقوس، حيث كانت حلاقة شعر وذقن وسشوارونتف عالخيط، يعني حلاقة لشاب واحد تعادل حلاقة لخمسة من المساخيط أمثالنا حيث لا شعر ولا ذقن ولاسشوار وإنما عالصفر وعالماشي، ولم نكن بحاجه لغسيل شعر حال الشباب الكبار، وللتوثيق عادة غسل الشعر للشباب بدأت مؤخراً ولم تكن معروفة ونظام الحلاقة على الكتالوج كما هو حال صالونات الحلاقة في المدن فهي أيضاً لم تكن معروفة.

وكانت الأعراس أيضاً موسم للحلاقة، فكان العريس لابد أن يمر على الحلاق ليلة العرس أو قبل حمام العريس وغالباً كان أصدقاء العريس هم من يتولون السشوار للعريس وكل واحد بعمل فيها خبيروماكان بنفع الحلاق يعمل سشوار لإن السشوار سيخرب مع الحمام.

الحلاق كان بمثابة الخبير الذي تجد عنده كثير من الوصفات بما فيها وصفة الشسمو حيث يتحول إلى عطارو وممكن تجد عنده وصفات لتخفيف الوزن أو ضرب الإبر أوتساقط الشعرو علاج حب الشباب ألذي كان يعمل عمايله في وجه الشباب وخصوصاً إذا كان الشاب شايف له شوفة والمظهر مهم بالنسبة له والحمد لله مزطنا من حب الشباب لأني كنت شايفلي شوفه كما أسلفت في بداية الذكريات وكنت أحب الشعر الطويل حيث كانت محبوتي منذ الصغرورفيقة خم الجاج عفواً (الكافي شوب) سميره تحب الشعر الطويل ولا زلت أجهل حتى هذه اللحظة لماذا كانت تشجعني عالشعر الطويل وأنا زي الأهبل أسمع الكلام... طبعاً مش أهبل أهبل ولكن القلب وما يهوى!!!!

وهكذا كان الغرام وما زال حتى الأن، اللي بحب مرته بتحول إلى نص أهبل ونص أبو بدر (باب الحارة)...!!!

شكلنا شطحنا شوية وخرجنا خارج الخط، ولكن الحمد لله مافي دوريات شرطة عالطريق (مراقبة الزوجة) للموضوع.. ومنذ ذلك الزمن وحتى الأن وأنا أحب الشعر الطويل، ولكن ياحسرة بدأ التصحر وإنتشر (الصلع) وما عاد تنفع وصفات مصطفى رحمه الله.

كان القشاط البني العريض هو المعروف فترة السبعينات في محلات الحلاقة لسّن أو تمضية موس الحلاقة، وكان منظر الحلاق وهو ماسك القشاط بيد حيث الطرف الآخر مثبت بالحيط أو في نفس كرسي الحلاقه من الإسفل والموس باليد الأخرى وهو رايح جاي خذني جيتك حتى يصبح الموس ماضي وجاهز للشغل...

أما الشبة فكانت جاهزة في حال حدوث جرح لمنع النزف وكذلك البودرة

للتطهير وإخفاء آثار الإحمرار بعد الحلاقة، ومن عيوب الشبة أن الوجه بشّيد ويغلب عليه اللون الأبيض.

وهناك فائدة أخرى للشبة كان لابد من ذكرها في الطب الشعبي، ولكني متأكد أن الرقابة لن تسمح بها وخصوصاً أنها وصفةً للنساء، وضميري بنقح عليّ وأتمنى لو أجد طريقة للكلام، فقط للتوثيق والتاريخ لأنها لم تعد مستعملة الأن إلا في الأرياف وإنتشر العلم والثقافة وتكفل الطب التجميلي بالمهمة...

وبحاول وبلف وأدور حتى تصل الفكرة وأرجو أن تكون وصلت!!!!

ومن المعروف أن الحلاق في كثير من الأماكن كان له دور في الطهور، والفصدة (رفع سقف حلق الطفل ليتمكن من الرضاعة) وأذكرها هنا للتوثيق حتى وإن كان حلاقينا المذكورين لم يمارس أي منهم دور المطهر، بل في بقية التجمعات لايكاد يذكر الحلاق إلا ويذكر معه الطهور وكان يعتبر بمثابة الحكيم للحارة.

كان تعقيم أدوات الحلاقة وخصوصاً المقصات تتم بنقعها في الكولونيا التى تحتوي على الكحول حيث لم تكن معروفة أدوات التعقيم الحديثة والأهم أن كله ماشي عالبركة...

كانت أحياناً فترة الإنتظار عند الحلاق طويلة فكان أمام المنتظر دوره إما أن يبدأ بتقليب الجرائد والمجلات كمجلة الحوادث والمجلة والشبكة وآخر ساعة والعربي، طبعاً بعض المجلات مضى عليها أشهرولكن تبقى المعلومة هي المعلومة وتصفح الجريدة أو المجلات عند الحلاق ممتعة وتساعد على الإنتظار... وإما تبقى منصتاً للأحاديث الشيقة والتي كان دوماً الحلاق يتحف الزبائن بها، والصحيح ياعليوه (عليوه صديق الطفولة في الحارة) أننا كنا نكيف...

وكان لايخلو محل حلاقة من راديو أو مسجل لسماع نشرات الأخباريعني حتى الحلاقة نحولها إلى سياسةأو الإستماع إلى الطرب العربي الأصيل بما كان يمثله عمالقة الفن العربي كأم كلثوم وعبد الحليم وفريد وعبد المطلب وعبد الوهاب وأسمهان ونجاة الصغيرة وشادية...

وهذا يوم آخر من ذكرياتنا الخالدة في المخيم حيث كنا دائماً نكيف...ونعيماً ممزوجة بأحلى وأجمل العطور.





الباعة المتجولون

وحيث أننا لا زلنا نستعرض الذكريات الجميلة واحدة تلو الأخرى وحيث أنها حلقات متسلسلة يصعب الحديث عن ذكرى دون الحديث عن الأخرى، لذا أردت أن أتناول موضوع آخر مر بنا في المخيم وفي كل التجمعات الفلسطينية سواء داخل الوطن أو في الشتات، وهي ظاهرة الباعة المتجولين.

وهذه الظاهرة تقسم إلى قسمين، القسم الأول وهم الباعة المتجولون من أهل المخيم وهولاء سنفرد لهم المساحة الأكبر، ولما آتي على ذكرهم في حلقة السوق ليس سهواً وإنما لذكرهم في حلقة خاصة بهم بمعزلٍ عن حلقة السوق حيث إنهم متجولون وغيرثابتين.

ويدخل في هذا الباب كل من حمل سلعةً وتجول بها داخل المخيم أو أخذ له ركن في شارع أوأمام مدرسة أو عيادة أو مجمع المواصلات أو ماشابه...

كان من الباعة المتجولين أبو العبد فسيخة وكان يبيع الهريسة على باب المدرسة وداخل شوارع المخيم حتى ينّفق ما معه ومن ثم يقفل راجعاً لبيته وكان

رجلاً كبيراً في السن أكل الدهر عليه وشرب حتى بدأ صوته خافتاً وبالكاد تسمعه وهو يتحدث، وظل محتفظاً بلهجته المَدنية معه في الشتات الثاني في مخيمات اللجوء بعد أن كان اللجوء في الداخل بعد نكبة عام ٤٨، وكأنه أراد أن يرسل رسالة لنا نحن الجيل الثاني بأن نحافظ على كل شيء حتى التحرير والعودة أو نموت ونحن قابضون على جمر الثوابت.

لازلت أذكره رحمه الله وهو يتجول بسدر الهريسة وحامل الخشب أو مايسمى (جحش الخشب) وهويلبس (الساكو) ويضع في جيبه قطع الورق ليلف بها قطعة الهريسة التي كانت تقطرقطراً من شدة حلاوتها..

وعلى الكراج ومابين قهوة إسماعيل جادالله رحمه الله ومكتب السفريات (أيام سيارات ال ١٩٠ حيث كان أبوعبدالله أبوشباب هو مُسير حركة المكتب) بجانب قهوة حسن مزهر و كانت هناك دخلة ضيقة (زاروبة) كان يقف إبن أبوعلي الفقعاوي (ابوالعراج) لإعاقة في رجله ، بصحن الفول النابت المُبَهروالمُمَلح والممزوج بقطع البقدونس الصغيرة، ليلف لك عند الشراء منه بقرشين ونصف أحلى طعموز فول نابت ولمن لايعرف الطعموزفقد فاته شيئاً كثيراً...

مش معقول تكون مصطلحاتنا راحت بهذه السرعة!!!! سوق يا عليوه سوق.. طالعة طالعة...

وعلى زاوية قهوة إسماعيل الأخرى وشارع العبسي – (مش دار العبسي يطوبوا الشارع بإسمهم، فقط من باب العلم بالشيء كونهم أكثر عائلة تسكن الشارع) – كانت عرباية أبوسليمان أبو نعمة للفول والفلافل حيث حافظ أبوسليمان على تلك الزاوية سنوات طويلة وكان يبدأ قبل المغرب بشوية ولايكاد يأتي العشاء حتى يكون نفّق، واللي ما لحق صحن فول من الجرة يراجعنا بكرة ....

وكان أبوسليمان رحمه الله أول وأشهر من باع الفول في تلك الفترة في حارة الكراج وأبو فتحي ابونحل في حارة السوق ...

وكان سليمان مازال شاباً صغيراً يساعد والده في بيع الفول والفلافل مما كان يتطلب وقوف سليمان على حجر طوب من أحجار المعمل مقاس ١٥ حتى يستطيع الوصول لصاج الفلافل ومع ذلك كان مُعلم في قلي الفلافل، وكان فول أبوسليمان يشار له بالبنان.

والأن بدأ بدني يأكلني ولازم أحكي، حيث حصل معنا في العائلة موقف سيبقى خالداً ولا بد من ذكره، فقد كان أخي نبيل وترتيبه الثاني في العائلة، ولكنه الأكبر في المخيم كون أخي حسن الكبير التحق في صفوف الثورة ولم يكن بيننا في الأردن..

المهم شو بدكوا في طولة السيرة، نبيل طلب من أخي عبدالله أن يذهب ويشتري صحن فول للعشاء من عند أبوسليمان وأصر عليه من عند أبوسليمان وليس من عند أبونحل كون فول أبونحل لايقارن بفول أبوسليمان، فطلب عبدالله أن أرافقه في ذلك المشوار كوني كنت الأصغر ومقرب من نبيل، فذهبنا وفي نص الطريق أشرت على عبدالله مشورة كنت أظنها جيدة، وقلت له نروح عالكراج وأبو نحل قريب ؟؟!!!!

طرح منطقي وبعرف حالي من يومي سوسة..

أخي عبد الله ما صدق وقلي ما بتقول إني إشتريت من عند أبو نحل؟؟!! فقلت له توكل عالله سرك في بير... مَيَلنا في طريقنا على أبونحل وكانت عادة أبو فتحي يرحمه الله وهو يبيع فول يبقى يقول: لقي، لقي، لقي، (وهذه كمان بدها ترجمة ؟؟!!) وإشترينا صحن الفول وكوننا تربطانا علاقة عائلية أعطانا أبو فتحي زيادة البياع،

- (عادة أعتقد إنقرضت حيث كان البائع يزيد على السلعة المباعة بعض الشيء ليكسب ود الزبون)- وتأخرنا بعض الوقت حتى ما ننكشف، ووصلنا البيت وما أن نظر نبيل إلى صحن الفول حتى إكتشف السرفأخذ صحن الفول ولبّسه في وجه عبدالله ودارالباقي فوق رأسه، يم ابداً خبط لزق... وجميع من في البيت وكأن على رؤسنا الطير، سكتم بكتم... وما أن فتّح عبدالله عيونه وكان أبيض البشرة دائري الوجه والفول يغطيه من كل مكان والزيت يشروط شروطة من شعره على وجهه، حينها عرفت بان مشورتي طلعت من أسلحة الدمارالشامل، وما أن رأى نبيل ذلك المشهد حتى إنفجر بالضحك وجميع من بالبيت فرطوا زي قطف العنب من الضحك.

ومازال المنظر عالقاً في الذاكرة لاينسى..

نعود بعد هذه القصة المضحكة لنستكمل باقي الحديث، حيث كان من البائعين المتجولين أبورياض أبونقيرة بعربايته المشهورة بشعر البنات، وكان مكان تواجده أمام مدارس الوكالة وفي المساء في شارع الكراج، ولكن ظهوره في المساء كان قليلاً، وغالباَ ما كان ينادي شعر البنات سكر نبات...

وكان من بين البائعين المتجولين أولاد أبو محمد أبو حميد وهم يتجولون في المخيم وهم يحملون بين أيديهم براويز وينادون بصوت مسموع...براويز للصوربراويز للصور.. حيث كانت مهنة العائلة بيع الزجاج وعمل براويزللصور منه.

وكان أبوعطية أبو العسل يبيع النمورة ويحمل على رأسه السدر بعد أن يضع الحواية لتحمي رأسه من حرارة السدروتعينه في حمله، وكان كذلك أبوماهر أبوجاموس وأولاده ماهر وعادل وكان أبوماهر بوجهه الدائري حيث تعلوه حمرة وهم يبيعون النمورة واحياناً العوامة ولا أعتقد أن هناك علاقة مابين حمرة الوجه والنمورة والعوامة، هذه نقرة وهذه نقرة.

وكان أولاد أبو أحمد النجارخالد وعبد الباسط وعيسى وحسن (رحلوا في بداية الثمانينات إلى مدينة جدة في بلاد الحرمين) وكانوا متخصصين في بيع الترمس وكان البيع بينهم بالتناوب وكما تعلمون فالترمس فوائد كثيرة أشهرها حرق السكر في الدم ولا أدري هل هذه الفائدة لها علاقة بالقول الذي يقول: أكل الترمس بخليك ترقص!!!

أود هنا الإشارة أن ظاهرة الباعة المتجولين وإن كانت طبيعية في معظم التجمعات إلا أنها في المخيم كانت حاجةً ملحة كون أبناء غزة كانوا ومازالوا حتى هذه اللحظة ممنوعين من ممارسة كثير من الأعمال والأعباء كثيرة والعائلات كبيرة وهنا تكمن روعة الفلسطيني صغيراً وكبيراً وسنبقى جمل المحامل .....

وبالتالي كانت الظاهرة ناتجة عن حاجة ماسة، وياحسرتي يا ظيم حالي، معثرين ومشردين ومتعتسين... رغم أن واحد فلسطيني ذهب عند عراف وسأله عن حظه فقال له: أمامك عشر سنوات غربة وشقاء وفقر وتعثير ومعاناة وهنا صمت العراف فابتهج الفلسطيني وقال وبعدين؟؟؟ فقال العراف شو بعدين؟؟!!! بتكون تعودت عليهن.....

وبرغم كل الظروف ورغماً عن العراف والمتآمرين والمتخاذلين والمطبعين وبرغم كل المحبطات سنبقى صامدين ثابتين متمسكين بفلسطين كل فلسطين من البحرللنهر.



ونستكمل التجوال مع الباعة لنؤرخ لمن تبقى منهم لنستوفي الموضوع حقه ولعلي ألم بأكبر قدر ممكن من الأسماء والتفاصيل.

وكان من الباعة الأوائل والمشارلهم بالبنان(شنقر) حيث كان عنده طنبر(خزان حديد كبير يجره الحصان) لبيع الكازفكان يذهب مبكراً لكازية باب عمان ويملئ طنبره بالكازويعود للمخيم لبيعه بالمفرق إلى أن يفرغ الطنبروكان يحمل معه مقاسين لبيع الكاز، الأول هو الكبيروهو الدارج ويتسع تقريباً لعشرين ليتر والثاني صغيرو أكبر من الأبريق بقليل وربما كان يتسع لحوالي خمسة ليترات وكلاهما مصنوع من الحديد وكان شنقر صاحب شهرة في كل المخيم كونه أول من باع الكازعالطنبر وكانت أخلاقه ونزاهته وأبتسامته المميزة محل إحترام وتقدير الجميع والبعض كان يناديه بالأصلي بالإضافة لإسم الشهرة شنقر، وغادر شنقر المخيم في الثمانينات إلى مصربصحبة زوجتيه.

وكان طالب سعد (أبومحمود) مزارعاً يتضمن أراضي زراعيةً خارج المخيم وفي نفس الوقت يصنع مكانس القش (المقشات) وكان في البداية هو من يقوم ببيعها ومن ثم ناب عنه أولاده أحمد(عارف) وعاطف فيما تفرغ هوللزراعة.

وكانت المقشة ضروريةً في كل بيت كون بيوت المخيم كانت شعبية ولم تكن قد ظهرت بيوت الباطون المسلح وكذلك كانت الشوارع رملية، وكان من المألوف أن تجد النساء أو البنات يكنّسن أمام البيت بعد أن يفرغن من البيت من الداخل، (يا عمي شعب نظيف وبحب النظافة) وكان منظرأمهاتنا بالذات وهن شاتلات الداير (لبس فلسطيني خاص بأهل غزة أسود اللون) على الجنب ونازلات قش عن طرف وجنب، ومايروح ظنكم لبعيد فقد كانت أمهاتنا يلبسن تحت الداير فستان وتحت الفستان فستان وتحت الفستان بنطلون من البالة.

وعلى النقيض من هذا اللبس التقليدي الفضفاض المحافظ ظهرت في التسعينات موظة الأزياء التي تسمى (يلا نشطف) للبنات حيث بدأت البناطيل البناتيه تقصر شيئاً فشيئاً، وعقل ونظر الشباب يخف معها أيضاً شوية شوية.

وكانت أحياناً تحدث بعض المناوشات بين الجارات بحجة إزاحة الأوساخ ووضعها أمام بيت الجارة فكانت تبقى في حدود الكلام وأحيانا تتطور إلى مز وتمعيط شعر، ولكن في النهاية تنتهي على خيروبنبقى جيران وأهل وكل واحد بصلح على حسابه.

ممكن أكون لودت (كلمة فلسطينية بإمتياز تعني لفيت عن أوعلى) شوية عن الموضوع، ولكنه تاريخ لابد من ذكره وهو جزء من تاريخ المخيم والمجتمع الفلسطيني، كما كانت أم فهمي السطري أيضاً تبيع مكانس القش وتسكن في الحارة القريبة من الجبل.

والأن تقريباً إنتهت الحاجة للمقشة كون البيوت أصبحت باطون والشوارع جميعها مبلطة، وفقط من باب العلم بالشيء فأنا أحتفظ في مكتبي بمقشة صغيرة للذكرى.

وكان من الباعة المتجولين أبونعيم الصافي رحمه الله حيث كان يحمل صندوقه الخشبي ويتنقل به على القرى المجاورة ليصلح بوابير الكاز وكل مايعمل بالكازوأعتقد أن هذه المهنة قد إنقرضت وكثير من جيل هذه الأيام لايعرفها كونه لم يعاصرها ولم يشاهدها كجيلنا ومن سبقنا، وقد أسدت هذه المهنة خدمات جليلة تقريباً في معظم المجتمعات العربية الفقيرة والمتوسطةِ.

وكان من الباعة المتجولين على القرى وأحياناً في المخيم ويبيع الملابس الجاهزة والقماش، رجل من عائلة أبو عمر وهو من السلاوية وهم مشهود لهم

بالشطارة في التجارة وكان يسكن في حارة الشبايبة وأبو منديل.

وكان كثير من أبناء المخيم يعملون بائعين متجولين وخصوصاً في الصيف والعطلات ويوم الجمعة، عندما كانوا يبيعون البوظة والأسكيمو والدرادو في منتزة دبين السياحي وكذلك في آثار جرش على السياح، وكان الشباب يستأجروا ثلاجة البوظة من عند مصطفى العش في ساعات الصباح الباكر كي يذهبوا بها مبكراً قبل أن تذوب البوظة وتصّفي الشغلة كلها خسارة، وكانت العبارة المشهورة لباعة البوظة والاسكيمو..... أسكيمو بوظه برد...أسكيمو بوظه برد...

ولابد من ذكر موقف مضحك بهذا الخصوص حدث أمامي و كثير من شباب المخيم شاهده حينها، فقد كان الأخ سميرأبوعبيد وهو أبوعبيد (يبنا) وليس من السواركة وكان يسكن في حارة (السنتيشن) وكان شاب ضخم وثقيل الوزن ويحمل ثلاجته حاله حال بقية الشباب وكانت ثلاجته مربعة الشكل أقرب ماتكون للصندوق من الخارج ومن الداخل كانت زجاج، وكان ينتظرمع الشباب على الكراج أمام دكانة أبوشفيق رحمه الله أي سيارة تنقلنا لدبين،فوضع الثلاجة على الأرض وجلس عليها كأنها كرسي... وبعد أقل من نصف دقيقة من جلوسه عليها سمعنا صوت إنفجار كإنفجار القنبلة وإذا الثلاجة قد أصبحت في خبر كان،وبالمناسبة الثلاجة ما كان عندها خيار.. يا بتنفجر يابتنفجر!!!!

وأختلط زجاجها بالبوظة وتفركش يومه وصارت طوشه بينه وبين مصطفى لا نعرف كيف إنتهت، لأننا غادرنا في أول سيارة توقفت لتقلنا.

وقد كان هناك باعةً لا أذكر أحد منهم بالإسم كونهم كانوا كُثر ولم يكونوا متخصصين كمن تم ذكرهم حيث كان هناك باعة الكرّيزة والبلوزة وبالذات البلوزة الألوان والجبجب وعنبر الشام والسحلب وكان تجمعهم الرئيس في شارع المدارس.

ولاحقاً بدأرياض الكرنب وأخويه إياد وعماد يبيعون في عربايةٍ على الكراج النمورة والعوامة وكرابيج حلب وأصبحوا معروفين عندنا برياض وعماد العوامة.

والأن نأتي لدور الباعة الذين كانوا يأتون للمخيم من خارج المخيم، وأذكرمنهم بائعاً أعتقد أنه كان عراقي على الأغلب والله أعلم وكان يحمل معه دبس التمرالعراقي ذو المذاق والطعم الطيب حيث كان يحمله في قناني زجاجية كبيرةً ويبيع منه بالمفرق وكنا نشتري منه بالكاسة ليس أكثر، ياجماعة الخير ماتحرجونا الحالة المادية كانت صعبة وكثير من الأطفال كانوا يقضّوها شحنكة لضيق ذات اليد....

كما كان يأتي للمخيم من يشتري الخردة وبالذات الألمونيوم وكان يحمل كيساً من الخيش يضع فيه الأدوات المستعملة القديمة كالطناجر والمقالي (قلايات) والصواني وبردات الشاي وماشابه.

وكان يأتي أحياناً للمخيم رجل من عمان يبيع (الكُسبة) ولكن ليس بصفة دائمةً.

وكان سكان القرى المجاورة يهرعون للمخيم في الصباح الباكر وخصوصاً في الصيف وهم يحملون شرحات التين والعنب والكرز والتميروالتفاح الصغير (كان يعمل منه عنبر الشام) والدراق واللوز الأخضرومالذ وطاب من الفواكه التي تنتجها أراضيهم... وأأأأأأأأأأأأأخ على أرضنا المسروقة والمغصوبة من الصهاينة وأأأأأأخخخخخخخخ على عنبنا البربراوي ذائع الصيت والأحلى من السكر، وبربراوي يا عنب... ويافاوي يابرتقال، وأحمر ودحدل يارمان.. على بطن الحبلى يا رمان... وأحمر مليسي يارمان كله على كيسي يارمان...

وماذا نحكي وماذا نقول والقضية كما هي لاوالله أنيل بكثيروصارت الخيانة والنذالة والعمالة والتطبيع وجهة نظر....

ولكن جموع التحرير والعودة كماء المطرستغسل في طريقها كل شيء وستبقى فلسطين كل فلسطين حقنا الأبدي...





أجواء رمضان في المخيم

ذكرياتنا الخالدة في المخيم تدغدغ شغاف القلوب وتلامس الأحاسيس المرهفة والحديث عن رمضان وأجوائه المفعمة بالإيمان والبركة والبساطة يشعل الحنين والشوق أكثرفأكثررغم الظروف المجحفة والظلومة وشُح الإمكانيات.

وبرغم كل ما ذكر يبقى الفلسطيني دائماً قاهرً للصعاب ومطوعاً لما بين يديه للتكيف مع الواقع المعاش دون نسيان الأصل، والأصل يبقى وسيبقى دائماً الوطن الذي حملناه معنا حيثما إرتحلنا ليكون لنا الملهم والبوصلة التي نرنو إليه بقلوبنا وعقولنا ليرشدنا إلى حيث يجب دائماً أن نكون.

وكانت الإستعدادت تبدأ قبل دخول الشهر الفضيل بأيام وكان للإستعداد أشكال مختلفه، فالعائلات تجهز للشهر الكريم بما يسمى مونة رمضان، وكانت معظم المؤنة يتم إحضارها من عمان حيث كان قمر الدين من الأطعمة التي لانعرفها إلا في رمضان وكذلك عصائر الخروب والتمر الهندي قبل أن نعرف الفيمتو والتانك، وكان العصير السائد تلك الأيام هو العصير الحل وكان عبارة عن علب بودرة صغيرة

بطعم البرتقال أو الليمون وكان يطلق عليه (عصير أبوقرش حل).

وكما يقول المثل «على قد لحافك مد رجليك»

كنا جميعاً نترقب دخول الشهربالإعلان الرسمي من الإذاعة بشقيها المرئي والمسموع وبعد ذلك بسماعه من صوت شيخنا العزيز أمد الله في عمره الشيخ يوسف مطير وهو يعلنها عبر المسجد الوحيد في المخيم في ذلك الوقت قبل إنشاء المساجد الثلاثة الأخرى (الحديث هنا عن فترة السبعينات وقبل إنتشار المساجد) ....

وكانت البهجة تعم الجميع وكنا نحرص أشد الحرص أن نستيقظ مع أهلنا على السحور حتى وإن كنا صغارولانستطيع الصوم، حيث كانت وجبة السحوركوجبة الفطورمهمة والعائلة جميعها تجتمع عليها...

وكان (بعبوز) أحمد كحيل- رحمه الله- بصوته الجميل يشجينيا وهويسحر ويوقظ الناس على السحورباستعماله للطبلة والعصا، طبعاً لا كان عنا ساعات منبهة ولا كشل على رأي العجائز.

وعلى الرغم من بساطة وجبة السحور والتي كان قمر الدين عمادها الأساس مع قليلاً من الجبنة الكشكوان والحلاوة الطحينية والذي منه، مع الشاي شراب الفلسطيني المفضل أينما كان وحيثما تواجد، إلا أننا كنا نسعد بها كثيراً ونستمتع بها حتى الرمق الأخير وبرغم العناء التي كانت تواجهه أمهاتنا وخصوصاً الذين لم يكن عندهم بنات كباريساعدن في تحضير السحور، فكان كل العبئ على أمهاتنا في إيقاضنا لأن نومنا كان ثقيلاً من شدة التعب وكما كان متعارف عليه كنا خمة نوم (لآزم نحافظ على تراثنا من المصطلحات خوفاً من الإندثار في زمن الحداثة)....

وفي نفس الوقت تجهيزالسفرة... ماتجيبوا سيرة كلها صينية الألمونيوم وعليها

كم صحن وأحياناً على الطبلية، ولكني جزافاً أسميها سفرة، وبين مرس قمر الدين لأنه إذا ما إنتقع بدري ما بنمرس (دروس في الطبخ مجاناً لمن لايجيد فن الطبخ).

طبعاً كنا نتسحرونرجع للنوم بأسرع وقت ممكن حتى لا تطير النعوسة وما نعرف نصحى الصبح بدري.

وكون البيوت متلاصقة فكثيراً من أحاديث الجيران كانت مسموعة فكانت جارة لنا الله يمتعها بالصحة والعافية تلقن أولادها الصغار نية الصوم وتقول قولوا يمه: «اللهم إني نويت وإذا جعت تغديت» وكانت تروق لي تلك النية ولكني لم أكن أستطيع تطبيقها للرقابة الشديدة والتقريع من الأهل.

وفي الصباح كنا وأولاد الحارة نتحارج من أصبح صائماً ومن أفطروكأطفال كنا نسأل بعضنا أن نخرج اللسان لنرى إن كان ناشف وهي علامة الصوم أو رطب وعليه أثار الطعام وبذلك يكون مفطرأو الطريقة الأخرى الشائعةِ أيضاً أن ننظر لعقدة الإصبع من الأعلى فإن كانت واقفة للأعلى ولم ترجع لوضعها الطبيعي بسرعة فهو صائم وإلا فلا....

وحينها كنا نبدأ نغني للمفطر الأغنيه المعروفة «يا مفطر رمضان الله حطوا عليك حجار الله».

وكان رمضان في الصيف طويل جداً حيث كنا نصحومبكراً وليس كأبناء هذه الايام الذين يضّيعون معظم النهار في النوم.

ومن المشاهد المألوفة تلك الأيام أن تجد المسجد وقد إمتلئ بالرواد والجميع منشغلً إمابقراءة القرأن وإما بالصلاة وإما بالنوم للتغلب على نهاررمضان الطويل.

أما بعد العصرفكانت الجموع تتوجه إلى عين الديك زرافات أوبشكل أحادي

وكان من المناظر الرائعة التي ستبقى في ذاكرة جيلنا ومن عاش تلك الأيام، ومعظم شباب المخيم تغص بهم طريق العين، والذي يحمل في يده إبريق أو جلن من الماء البارد العذب لتناوله ساعة الإفطار كون الثلاجات لم تكن قد دخلت الخدمة وكنا نشتري الثلج الذي كان يجلبه مصطفى العش بقوالب كبيرة يتم تكسيرها حسب الطلب.

ومن الشباب من كان يأخذ معه بطيخةً ليبردها في مياه العين الباردة والعذبة، وكانت الجموع تبقى تحت ظل الشجر وتحت الفي إلى ماقبل الغروب بقليل وتبدأ حينها رحلة العودة للبيت لنصل قبل الإفطار بدقائق، وهكذا كنا نقّضي جزء صعب من نهاررمضان نتفيأ ظلال أشجار الحور والدفلى ونُبرد الحرعلى ضفاف العين وهي تجري عذبة رقراقة.

كان رمضان في المخيم له نكهة وعرفاً وجمالاً قل أن تجد له مثيل في أماكن كثيرة وتجمعات كبيرة، وكان تآلف الجيران وتكاتفهم حيث يرسل الجيران ويتبادلون فيما بينهم الطعام فتجد الأطفال يحملون لبيوت الجيران صحناً من الطبيخ مع عبارة غاية في النبل وتحمل أروع سمات المجتمع الفلسطيني وهي «أمي بتسلم عليكم وتقول لكم تفضلوا هذا الصحن» وكل جاريشارك جاره بما تجود به نفسه وتتنوع سفرة الإفطار والجود من الموجود. وهذه العادات الجميلة لاتتواجد إلا في المجتمعات الصغيرة والمتجانسة والمتحابة.

وكان وربما لازال كثير من إخوتنا وجيراننا السبعاوية يفطرون إفطاراً جماعياً كل جماعة في «شقهم» وهي من العادات التي حملها شعبنامعه من الوطن للشتات.

وكان أهل المخيم يتكافلون فيما بينهم في رمضان كما في بقية الشهورالأخرى ولكن لرمضان طعماً آخرحيث كان من عليه نذر أومن يريد أن يعمل رحمةً عن أحد أمواته ينتهزفرصة الشهر الفضيل وغالباً ما كان يتجه للمسجد حيث التجمع الأكبر...

ومن طقوس رمضان التي تعودنا عليها وأصبحت جزء من حياتنا أن تغلق المقاهي أبوابها في رمضان وتتوقف محلات بيع الفول والفلافل وتبدأ بدلاً عنها محلات بيع القطائف، وللقطائف مكانة خاصة عند غالبية أهل بلاد الشام وهي حلوى رمضان المشهورة التي لا تنازعها حلوى.

وفي رمضان كانت تنتهي معظم الخصومات وتعود الناس تتصالح فيما بينها وتعود المياه إلى مجاريها وتتغلب صفات أهل المخيم الطيبة والأصيلة على بعض الصفات النشاز والعارضةِ، وكنا ونحن صغار ما أن يأتي رمضان حتى نعلن نهاية القطيعة بالحركة المشهورة من الأصابع الصغيرة (لمن لايعرفها بدها شوية شرح لايتسع المجال له الأن).

وكانت الأذاعة الأردنية التي عودتنا على إذاعة أغنية من أغاني أم كلثوم المشهورة مابين الرابعة والنصف والخامسة مساءً تتوقف هي الأخرى إحتراماً وتقديراً لشعائرالشهرالفضيل، وكذلك كان يتضامن معظم الحبّيبة بالتوقف عن كتابة رسائل الغرام في رمضان ومع أنها علاقات برئية ولاتخرج عن اللياقة كعلاقتي مع أم السمر وكذلك كنت التزم بالعرف ولا أسمع الأغاني ولا أكلمها طول شهر الصيام، لكن لوطلبت مني أي شيء، مضطرياجماعة واللهم إني صائم وهذه الرقابة بتمشيها هذه المرة.





أجواء رمضان وطقوس العيد في المخيم

وكانت الإذاعة تتحفنا قبل الإفطار بالإبتهالات الدينة للنقشبندي ومن فاته النقشيندي في رمضان فقد فاته خيراً كثيراً وأعتقد أنه علم من أعلام الزمن الجميل في رمضان للأردن كلها وكانت إبتهالاته أيضاً قبل صلاة الجمعة التي كانت تبث من جامع أبي درويش في الأشرفية...

وبعد الأفطار كنا ننتظر بفارغ الصبر مسلسل «مقالب غوار» وأحيانا «صح النوم» «وملح وسكر» وكان مسلسلاً واحداً في السنة وليس كهذه الأيام تتزاحم المسلسلات الرمضانية حتى ألهت الناس عن العبادة وسلبت من الناس روحانية الشهر الفضيل.

وكانت جموع الشباب تتوافد على الكراج بعد المغرب حيث يلتقي الشباب بعد الإفطار بنفسيةٍ ومعنويةٍ مختلفة عن قبل الإفطار وكانت العوامة وكرابيج الحلب والقطائف والنمورة لها نصيب مع الباعة ولا زلت أجهل حتى هذه اللحظة لماذا

كان كثيرمن الرجال الكبار أيامنا لاتستطيع مجرد الحديث معه وهو صائم ويكلمك كما يقول المثل من رأس مناخيره ومش طايق حاله وكأنه محمل العالم جميلة أنه صائم!!!!

وهل لهذا التصرف علاقةً بالمثل القائل « الجوع كافر»؟؟!!! أنا شخصياً عندما أجوع أتوقف عن الإرسال والإستقبال ولاأستطيع الجلوس على طاولة السفرة قبل الإفطاربخمس دقائق وإلا صيامي سيصبح في خبر كان لذلك لاأجلس إلا والأذان يؤذن أو أكثر شيء دقيقةً قبل الأذان...

ومع ذلك والحق يقال ظاهرة النكد في رمضان من قِبل الرجال قبل الإفطار هي ظاهرة عربية بإمتياز وليست فلسطينيةً كي لايتهمنا أحد بالنكد دون غيرنا.

وكنا نتوجه لمسجد أبي بكر الصديق لصلاة التراويح وكان المسجد يمتلئ بالمصلين وكانت أباريق الماء البلاستك منشورة أمام الصف الأول لمن أرد أن يشرب بين إستراحة الركعات وبجانب الأعمدة لبقية الصفوف، وبعد نهاية الركعة الثامنة يغادر الأغلبية ولايبقى إلا من تعود على إكمال العشرين ركعةً.

أما في العشرة الأواخر ومابها من اجرٍعظيم فكان جزء من الشباب والملتزم على وجه الخصوص يحمل فراشه ويعتكف في المسجد ولايغادره إلا للضرورةِ القصوى ويتفرغ للعبادة الكاملة فكانت ليالي ولا أروع منها ليالي.

ولاأنسى أيام النادي الجميلة والرائعة في مسابقات ودروي كرة القدم ودوري كرة السلة بعد الأفطار وعلى نور الأضواء الكاشفة والحشود تلتف حول الملعب من جميع الجهات.

وهكذا كان نهارنا وليلنا في رمضان حافلاً وبرغم كل الظروف إلا أنني أشعر

ان أيامنا كانت بسيطة وجميلة وممتعة والناس قلوبها على بعض وتستمتع بالمتاح والمتوفر بين يديها وحالنا تقريباً في المخيم كلنا مثل بعض.

وقبل نهاية رمضان بأيام قليلة يبدأ مشوار الكعك وتبدأ روائحه الفواحة تنتشربين البيوت وفي معظم الحارات حيث كانت الأفران تنتشرفي كل مكان وسهرة خَبز الكعك صباحي وكانت الجارات تتعاون فيما بينهن وكل ليلة سهرة الكعك عند أحد الجارات للمساعدة حتى يلف الدور على الجميع، وكان الكعك يتطلب مجهوداً كبيراً وليس كهذه الأيام حيث عجوة التمر تباع جاهزة، فكان لابد من فصفصة التمروطحنه واضافة السمسم لعمل العجوة ومن ثم إكمال بقية المهمة... (بلاش أنسى حالي وأحولها لدرس من دروس الطبخ) ....

أما الأولاد الصغار فكانوا كالقوارض كلما أتيحت الفرصة لإحدنا يستغلها ويبدأ بأكل عجوة التمر ولولا وجود شوبك العجين والشبشب بجانب أمهاتنا للتقريع كنا أكلنا العجوة وخلطة الكعك حتى العجين .... ياجماعة الخير والله كنا نكّيف.

ومع أننا هاجرنا إلى أقصى أصقاع الأرض إلا أننا حملنا معنا عادتنا وتقاليدنا ومازالت نسائنا يعملن لنا الكعك في رمضان ومازلت محافظاً على عادتي في التهام جزء من عجوة التمرفي لحظة إعدادة حيث لاشوبك ولا شبشب.

والشيء بالشيء يذكر مازالت المرأة الفلسطينية محافظة على ثقافة التربية بالشبشب أينما كانت ومثال على ذلك الولد الصغير أو البنت الصغيرة تسأل أمها أن تساعدها في الدراسة فتقول لها الأم... ماشي هاتي الشبشب والدفتر والحقيني.

ولله درك يا شعبنا أينما ذهبت تحمل معك كل مايعينك على البقاء متشبثاً بالأصالة والتراث رافعاً رايتك خفاقة بحب فلسطين.

أما ليلة العيد وما أن يثبت هلال العيد حتى يبدأ التجهيزوالإعداد له والكل منشغل في طقوس العيد...

كنا نحن الأطفال نبتهج بقدوم العيد ونستشعر كل لحظة من لحظاته ونبدأ بتجهزملابس العيد التي تم شراؤها خصيصاً للعيد ومن شدة فرحتنا كنا نضعها بجانب فرشة النوم، ولولا الملامة ياهوى لولا الملامة...كنا نمنا بملابس العيد.

كل هذه الطقوس كانت ضروريه للعيد...

وكنا زمان ننشد نشيد قبل ليله العيد وهو:

بكره العيد وبنعيد.... وبنذبح بقره السيد

والسيد ماله بقره..... بنذبح بنته هالشقرا

والشقرا ما فيها دم...... بنذبح بنته بنت العم

هونا مقص وهونا مقص.... والعجوز طقعت.... ص (الرقابة قطشتها وواقفين لي بالمرصاد).

وكفلسطيني مش عارف ليش ثقافة الدم معنا؟؟؟!!! خلص، خلص عرفت السبب ليش هو اللي مرينا فيه قليل؟؟!!

أما الشباب الأكبر سناً فكانت تزدحم بهم صالونات الحلاقة وحتى اللحظة لاأفهم لماذا كان الشباب الكباريؤخروا الحلاقة حتى آخر لحظة؟؟!!! يمكن جزء من طقوس العيد!!!

ومحلات كوي الملابس (الأواعي) وماكان عنا إلا محل أبوزهير عواد ومحل أبوشوقي الخرازوأبو هاني أبو لبدة رحمهم الله، والكوي بالمكاوي الحديد بعد تسخينها على بابور الكاز

أما كوي الملابس وبالذات البنطلون الشرلستون والقميص الضيق أبو قبة تقريبا أكبر من الشبر بشوية كانت الموضة الدارجة تلك الأيام.

وكانت ليلة العيد موسم للمكوجي ويظلوا أولاده سهرانين معه طول الليل لإن عدة الشغل وبالذات بوابير الكازبحاجة لشغل كثير ونكش وتعطيه ستيم وتعبأة الببوركاز وغسل شريطة الكوي اللي أحيانا بصير لونها ليلكي بعدما كانت بيضاء...

وكذلك كان موسم للخياطين خلال الشهر الفضيل وحتى ليلة العيد وكان جاسرأبو ضباع وأخيه كمال (خياط الشباب) وعبد ربه رضوان رحمه الله وكذلك أبونعيم مصلح رحمه الله قبل أن يسافرإلى بلاد الحرمين وكان محله ملاصقاً لدار أبوعصام أبوشعيرة، وللتأريخ أيضاً كان الشيخ يوسف مطيرله محل خياطة قبل أن يغلقه ويتفرغ بالكامل لإمامة المسجد وكان محله على زاوية بيت محمد حماده وكذلك الشيخ صالح أبو عزوم والشيخ صالح ابوعرادة الذي كان محله في سوق الخضرة قبل أن يغلقه، ولكن بعد محل الشيخ يوسف بمدة وليس في نفس الفترة.

أما أمهاتنا والبنات الكبار فكن كما يقول المثل يشيلن البيت فوق روؤسهن مابين كنس (تكنيس) وشطف وتعسيف وتنظيف وغسل كل شي ...حتى أنه في نسوان تُخرِج الملابس المغسولة وبتغسلها كمان مرة وهذا مايسمى التعزيل حتى يصبح البيت يوج وج...

قال أحسن ما يحكوا الجارات عنها (مرة عفنة)

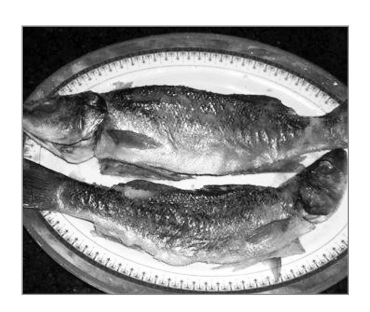


أجواء وطقوس العيد في المخيم

ونبدأ الأن مع يوم العيد وحيث أن من طقوس العيد الأفطار على الفسيخ الذي أشترته أمهاتنا وجهزنه وكانت روائحه تملأ المكان...

ولا زلت أذكركيف كان يأتي بالبراميل الخشب الصغيرة.. ولازم الفسيخ عشان تفسخ صيامك ... وكنا ونحن أطفال نعتقد أنه إذا ما أفطرنا يوم العيد فسيخ نبقى صايمين...

لأنه الشغلة الوحيدة اللي بتفسخك عن رمضان هي الفسيخ وربما نحن الشعب الوحيد في العالم وبالذات أهل غزة من لازالوا يحتفظون بهذه العادة.



وبعد التجربة ولكي نثبت للعالم أن تقاليدنا مبنيةً على أسس علمية ثبت أن من يفطر فسيخ أقل الناس عرضة للتقلبات المعوية من حموظةً شديدة وإسهال في بعض الأحيان من كثرة الحلويات... وزمان الناس لا كان عندها ضغط وسكر والأمراض الحديثة ولا مايحزنون... كان الأكل كله طبيعي والناس نشيطة ويمشوا كثيراً.. ولكن مع الحياة العصرية تكرشت البطون وتدهورت الصحة ياولدي ومفيش فايده يا صفية، غطيتي ولا ما غطيتي، لأن الباب مخلع (مثل ماقال سعد زغلول: غطيني يا صفية مفيش فايده) ...!!!!!

تبدأ صبحية العيد بحّمام العيد وكان بعض الناس لايتحممون إلا في المناسبات السعيدة فقط والعيد أحد تلك المناسبات (التوثيق أمانة)، وبعدها يتم السعي مبكراً للمسجد ويبدأ التكبير للعيد وصوت التكبير يهزجنبات المسجد ويصل صداه إلى معظم أجزاء المخيم في أجواء إيمانية ومبهجة.

وكون صلاة العيد تقام فقط في المسجد الوحيد حينها وبقيت كذلك حتى تاريخ مغادرتي المخيم أوآخر الثمانينات، فقد كانت مناسبة عزيزة وعظيمة أن يجتمع معظم أهل المخيم تحت سقف واحد...

وما أن ينتهي شيخنا الجليل صلاح الدين عيسى متعه الله بالصحة والعافيه من الخطبة إلا وتجد الجميع يسلم ويبارك للجميع بالعيد وتلهج ألالسن بالدعاء والمباركة.

ومن المسجد كنا نتوجه للمقبرة بأعداد كبيرة للإستذاكر والترحم على من رحل إلى جوار ربه من الأحبة والجيران وهي من العادات الجميلة والتي أرجو أن يبقى مُحافظاً عليها ممن يستطيعون فعل ذلك ويعيشون في الدول العربية والمسلمة.

وفي طريق العودة كنا نصافح ونُعيد على من نصادفه في الطريق ولم نتمكن من مصافحته في المسجد أو لم يكن معنا هناك.

وما أن نصل البيت حتى نبدأ بالمعايدة على الوالدة ومن بقي في البيت من الأخوات.

أما العيدية فكان لها معزة وتقديراً وتعمل عمايلها معنا نحن الصغار حينها، ونعد العيدية ونحسب كم سنجمع من الأهل والأقارب وبعض االجيران عشر طعشر مرة في اليوم.

وكانت الناس تبدأ المعايدة مبكراً، والأمهات قد أعددن القهوة السادة وجهزن الكعك والشاي، أما أخوتنا السبعاوية فكانوا يعدوا القهوة في الشق بعد تحميصها وطحنها على المهباج في نغمة طحن فريدة من نوعها، ودق المهباج يا سويلم وأشعل نيران.

كانت الناس تتواصل في العيد والجيران كلهم أهل ونُعيد على كل الجيران وبعضاً منهم كان يعمل حسابه في العيدية لإولاد الحارة ولو بمبلغ بسيط لإدخال البهجة والسرور.

وتكمن جمالية العيد في المخيم أن شوارعه تزدحم بالإطفال والمارة وكنا معشر الأطفال أحسن زبائن لأصحاب المحلات لأن جيوبنا عمرانة من المعايدات وكانت تنتشر في العيد السحبة والكل عينه على بالون أبوعشرة، وكل حارة تقريباً فيها مرجيحة منصوبة في أكبر فسحة في الحارة وكنا نتزاحم على ركوب المراجيح والتمتع في أجواء العيد السعيد...

وكان في حارتنا مرجحية أبوفتحي ريان عليه رحمة الله وكانت مرجحية دار أبو حميد في حارة أبوحميد وكانت أكثر إزدحاماً...

كما كانت لعبة البنانير تنتشر يوم العيد ويتجمع الأولاد من أكثر من حارة في

حارة السوق وتبدأ لعبة (الفنة) عالبنانير وكان بعض الأولاد يجمعون البنانير في جربانة كبيرة والبعض الآخرفي علب نيدو صغيرة والشاطر اللي بقشّط (بخسر) الأولاد بنانيرهم...

كما كان يوم العيد موسماً لا بأس به لاستئجار (البسكاليتات) الدرجات الهوائيةِ، من عند ابو أدهم أبو عرادة لنا معشر الصغار ومن هم أكبر منا قليلاً، ولم يكن مسموح لنا بمغادرة حارة السوق ومن عند عطايا وكان محله بجانب مصطفى الحلاق رحمه الله، للشباب الكبار حيث كانوا يأخذونها أينما أرادوا وخصوصاً خلف النادي باتجاه قرية الحدادة وطريق عين عمامة..

وكان الشباب الكبار كل واحد مركب صاحبه معه وكنا نرى غالباً مجموعة من الشباب معاً...والشباب في غاية الإنشكاح والإنبساط وما تقول إلا راكبين (مرسيدس)....

وما أن ينتصف نهار يوم العيد إلا ووجبة الغداء الدسمة قد أصبحت جاهزة، ويوم العيد لابد من المقلوبة وأكل اللحمة والدسم... وماتنسوا صار لنا شهر صايمين والمقلوبة ليست من أكلات رمضان.

كله عنا له طقوس وكما قال المثل: يرحم ابوك اللي مات من الجوع، قال هو لقى أكل ومات؟؟؟!!!...

وكان اليوم الثاني للعيد حافلاً ايضاً، الصغار كما هم أما الشباب فهم على أهبة الإستعداد من الصباح الباكر للذهاب إلى عمان في حافلة أبوالوليد الغزاوي (أبووليد فوزي سعد رحمه الله) لمشاهدة فيلم سينمائي نظام العرض المتواصل أكثرمن فيلم وبشكل متتابع... وكون العرض كان يستمر حوالي أربع ساعات فلابد من سندويشة فلافل مع قنية بيبسي من الباعة داخل السينما وهم رايحين جايين بين

الممرات في ترديد نفس المعزوفة (سندوييتش.. بيبسي.. سندويتش بيبسي) ...

وبعد الخروج من السينما بعيون معمصة من العتمة وكثرة الدخان، وسرعان ما يزول آثار التعميص بمجرد الخروج للضوء.. وحتى تكتمل بقية الطقوس ويسدل الستار كان لابد من أكل وجبة الكنافة من عند عمك حبيبة سواء المحل الرئيس في دخلة البنك العربي وعلى الواقف أو في المحل الثاني القريب لمسجد الحسين... وبعدها الرجوع سريعاً لموقف حافلات العبدلي للحاق بأبي الوليد في رحلة العودة للمخيم وغالباًما تكون الرحلة الأخيرة حتى صباح اليوم الثاني.

وكانت تكتمل فرحتنا بالعيد عند حضورأقاربنا من المدن الأخرى كعمان والزرقاء وغالباً في اليوم الثاني للعيد وكانوا لعدم توفر المواصلات كهذه الأيام فكانوا ينامون عندنا، والبيت الضيق يتسع لمئة صديق، وكان من المألوف أن نرى وجوهاً جديدة في المخيم يوم العيد بحيث يصبح أقاربنا أصحاب أصحابنا وأقارب أصحابنا أصحاب لنا..

وتزاد فرص المغامرات مع الأصحاب والأقارب وكون العيد فرصة سعيدة فيتم تجميد العقوبات وكنا أفضل من يستغل فرصاً كهذه والإبداع في المشاغبة والغياب عن البيت فترة أطول من المعتاد، ومجرد رجوعنا كنا نُستقبل بمجموعة من الأمثال مثل: إلتم الشتاء عالصيف، وأهلاً وسهلاً بالصحبة الطيبة والرفق المُتعب، غبتوا وقلتوا عدونا لنا.....

هكذا كانت أعيادنا فرحاً وسروراً ولمة للأهل والأقارب والأحباب ولعباً وسمراً وكل الأشياء الجميلة، وكنا نستمتع بكل لحظات وتفاصيل العيد، وكم يؤلمني هذه الأيام عندما أسمع أن المعايدة أصبحت على التلفون ورسائل قصيرة على المحمول وبالكاد تقتصر الزيارات للمحارم...!!!! وعجبي أن الناس لاتتغنى

بالماضي حيث الأصالة والعراقة والواجب...

وأرجو من الله العلي القدير أن تتكلل أفراحنا وأعيادنا في ربوع الوطن الحبيب... وعلى بلد المحبوب وديني وكلي أمل أن يجمعنا عيد عودتنا...

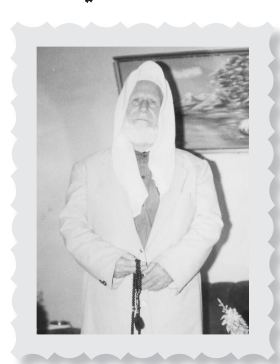




محو الأمية في المخيم

فلسطيننا التي أنجبت أجيالاً عريقة من أبطال وقادةٍ وشعراء ومجاهدين ومجاهدات وخنساوات وعلماء ومخترعين وإقتصاديين وفنانين وعمالٍ مهرةٍ وكل شيء جميل ومؤثر ومبهرملىء سمع العالم وبصره بإصرار شعبنا على الحياة الكريمة المكافحة والمثابرة، وضرب أروع الأمثال في التضحية وتحويل المستحيل إلى ممكن....

هذه الصفات وغيرها وتلك الصور الجميلة التي يحملها الفلسطيني أينما ذهب ويترك أثراً طيباً أينما حل، وتشهد الدول العربية جلها بالخدمات التي قدمها شعبنا وخصوصاً التعليمية منها لأهلهم وإخوتهم وأشقائهم في ربوع الوطن العربي الكبير....



سيدي الشيخ محمود الشريف
المعروف بالشيخ ليمون

ولهذا لم يكن عصياً على شعبنا التعليم حتى وإن أتى متأخراً للظروف القاهرة التي مررنا بها، ويجعل مقولة «لما شاب ودوه عالكّتاب» لامكان لها عند شعبنا نسبياً...

ومازال شعبنا حتى اللحظة يتمتع بأعلى نسبة تعليم في الوطن العربي تصل حسب الإحصاءات إلى ٩٦٪ وتجعله من أعلى النسب عالمياً خلف اليابان والسويد.

ولإدراك من قاموا على التعليم من أبناء شعبنا أهميته فقد وضعوا نصب أعينهم مكافحة الأمية بين أبناء شعبنا في مخيمات اللجوء وفي الشتات.

وكان لمحو الأمية في المخيم دورٌ وروادٌ لاينبغي لنا أن ننساهم، ونترحم على من مات منهم، وخصوصاً أنني وثقت لمعظم الأشياء الجميلة في المخيم في زمنها الجميل.

وقد كان الأساتذة توفيق أبو الجديان قبل أن يتم إبعاده إلى مخيم اليرموك في سوريا والأستاذ عصام والأستاذ حسين إبراهيم (أبوشفيق) عليه رحمة الله رواد تلك المرحلة من أهل المخيم لمحو الأمية للرجال.

وكانت تتم دروس التعليم للرجال في مدرسة ذكور مخيم غزة بعد إنتهاء الفترة الثانية للدوام أي بعد الرابعة مساءً في أحد الفصول الدراسية يومين في الأسبوع.

وأما للنساء فقد بدأت المرحلة بعد مرحلة الرجال بفترة ولا أذكر كم بالتحديد، ولكنها سنوات وربما كان ذلك لحكمةٍ، ربما إقناع الرجال أولاً لكي يتم السماح للنساء فيما بعد وهذا ما يسمى كسر حاجز الرهبة والخوف الذي يسبق كسر حاجز الصمت...

وكان من رواد تلك المرحلة الست نايفه أبو طعيمة والست نجاح أبو عتيلة وكانت الدراسة في مدرسة إناث مخيم غزة وبنفس التفصيل.

وكون الدراسة مسائية والكهرباء لم تكن بعد قد وصلت ولايتوفر في المدرسة كهرباء، كان لابد من وجود اللوكس لإنارة الصف حيث يدرس الكبار وخصوصا

في الشتاء حيث آذان المغرب يحل في حدود الرابعة والنصف...

وكان منظر في غاية الجمال ويبعث على الفخر حينما كنا صغاراً ونرى نساءً ورجالاً من الحارة وبعض الحارات الأخرى وهم في طريقهم للمدرسة ذهاباً وإياباً وهم يحملون كتب محو الأمية.

وكان للعائلة نصيب من ذلك حالها حال بعض العائلات الأخرى فى المخيم، فقد كان سيدي الشيخ ليمون (محمود الشريف) عليه رحمة الله ممن إلتحق بمحو الأمية وكذلك كانت والدتي وبقيت مواضبةً حتى أنهت الثالث إبتدائي في محو الأمية وأصبحت تستطيع كتابة كل أسماء العائلة والأرقام وتميزها...

وأذكر أنني كنت أحياناً أذهب مع سيدي الشيخ ليمون لحضور بعض الحصص وكان يوجد غيري من الأولاد ولإننا كنا صغاراً فقد كان يسمح لنا الأستاذ مرافقة الأباء والأجداد...

ولم نكن نرافقهم كثيراً وخصوصاً أننا كنا في المرحلة الإبتدائية وأمامنا مهام في الحارة وفي الحارات الأخرى وعلى الجبل واليوم الذي يذهب لايعود أبداً فلا بد من إعطاء كل يوم حقه من اللعب والمهام الأخرى.

وكما وعدتكم في بداية الحلاقات أن نأتي على ذكر سالم الحقيقي فقد كان سالم الحقيقي هو الشخصية المحوريه في كتاب محو الأمية..

ولابد من رفع القبعة إجلالاً وتقديراً وعرفاناً بمن قاموا على ذلك البرنامج حينها فقد صوروا سالماً رجلاً فلاحاً يلبس اللباس الفلسطيني التقليدي الديماية والقمباز والساكو والحطة...ويحمل معوله فوق ظهره وهو شاتل ديمايته على جنب.

وكانت الكلمات مكتوبة بخط كبير وذلك حرصاً على الأباء والأجداد والأمهات

حيث إن نظرهم لم يكن يسعفهم كثيراً فكان لابد من مراعاة فارق التوقيت..

وكان مما ورد في الكتاب – نكش سالم البستان- كما كان لرباب وميسون حصة في كتاب القراءة...

وكان المعلمون يحرصون على أن يعلموا الكبار الكتابة على قدر إستطاعتهم فكانوا يرسلون معهم الوظيفة للبيت كي ينسخوا الدرس وتأخذ أيديهم على الكتابة، وأكيد ما كان في فلكةٍ لمن لا يكتب درسه مثلما كان للصغار، ولكن كان في مجال للغش..

فقد كان سيدي الشيخ يستعين بي كوني كنت أصغر اخوتي يومها، وكما قلت سابقاُ من يومي وأنا بحب أقدم خدمات وخصوصاً أن خدماتي لسيدي الشيخ كنت آخذ عليها راتبي يوم بيوم وأنا وللأمانة كنت أقدم الخدمات طمعاً في القرش نهاية اليوم... وكما يقول المثل مش حزنان على رمضان، ولكن حزنان على طبخاته...

وكنت أعيد الجملة كذا مرة وأحاول أن أرشد سيدي على الكلمات، ولكنه كان يحفظ الكلمات بصم ولذا ماكان بنفع سيدي يدرس علمي، بل لابد من الأدبي...

وكانت ستي وعمتي يشفقن عليّ وخصوصاً أن أولاد الحارة في الخارج ينتظرون إنتهاء مهمتي والكل ينادي بصوت عالي من برة، فكانت ستي تقول الله يقطع سالم وأهل سالم ونكش والله إن شاء الله عمره ما نكش، سيب الولد خليه يطلع يلعب، شلة الأنس كلهم بره وشدهت باله للولد...

أنا كنت أنتظر قوات التدخل السريع (عمتى يسرا وستي) كي أخذ إفراج والقرش قبل الأفراج حيث دكانة أبو فوزي تنتظر والقضامة أو الحلقوم لنا معهن موعد.

وبما أن التوثيق أمانة فقد كان معظم الرجال الكبار يذهبون للمدرسة وهم

يرغبون بالتعلم، ولكن عالفاضي أمضوا السنة كلها وتيتي تيتي زي ما رحتي زي ما جيتي، وفي أحسن الأحوال كانوا يكتبوا اسمائهم رسم، وكان الأساتذة يراعونهم كثير وكان شعبان النادي أبو فتحي لايحلو له تدخين سيجارة الهيشة إلا في الصف... وكان زميله شكري إسماعيل السوافيري (ابورأفت) يشاركه فكرت التدخين وعندهم إستعداد يزعلوا ويقوموا يروحوا لو طلب أحد منهم مجرد طلب عدم التدخين...

ومين يقدر يطلب من أبو فتحي يطفي السيجارة، لأن أبو فتحي جاي يتعلم وهو محمل العالم جميلة أنه جاي يتعلم...

أما التعليم عند النساء فقد كانت له طقوس أخرى حسبما كانت تأتينا التقارير من الحجة أم حسن أدامها الله ومتعها بالصحة والعافية... فقد كانت الست نايفه تعطيهن فسحة للحديث وأحيانا كانت تتحول الحصة لدرس للطبخ أو أمومة وطفولة وكله تعليم ومفيد....

أما عندما تتأخر الوالدة في المدرسة شوية، نسألها شو القصة يا أم حسن؟؟!!! تقول قعدنا نتخرف (نتحدث) شويه بعد الحصة...

طبعاً هذا إسلوب من أساليب التشويق لمنع التسرب من المدرسة والحجات مش ناقصهن ضبط وربط وخصوصاً أنهن هاربات منا ومن شغل البيت ولهذا كانت أمي حريصة كل الحرص على عدم الغياب وكانت دائماً تذكر لنا أن كارثة فلسطين والأحداث التي سبقت من صِدامٍ مع الإنجليز والإضرابات التي كانت تعم عموم فلسطين بالإضافة لبعض العوامل الأخرى كانت السبب لتفشي الأمية ذلك الوقت....

ومن المناظر التي لايمكن أن أنساها ولها في نفسي اثراً كالنقش في الحجر عندما كنا نجتمع في البركية (غرفة مصنوعة من الأسبست) حول الطبلية والكل

منشغل بحل دروسه وكذلك الوالدة... وكانت تحتفظ بكتاب القراءة ودفترها وقلم الرصاص في كيس نايلون سميك أبيض اللون وشفاف وتحتفظ به بين الفرشات واللحف على حامل الأواعي، وحامل الأواعي هو تقليد فلسطيني حملناه معنا من الوطن ومازالت الكثير من الأسر الفلسطينية تحافظ على هذا التقليد خصوصا في المخيمات أو المدن والقرى، أما نحن من نعيش في الغرب...ياحسرة علينارغم أننا مازلنا نحافظ على كثير من العادات والتقاليد والتراث.

ذلك المنظروأمثاله من إجتماع الأسرة الفلسطينيه تحت سقف واحد هو أحد أسرار ديمومة الفلسطيني إينما ذهب وتجعلنا دائماً متعلقين بالأسرة والعائلة وجعلتنا أكثر شعوب الأرض اندماجاً واختلاطاً وتأقلماً، وفاعلين إجتماعياً وتأثيراً فيمن حولنا...

وهنا لابد أن أستشهد بحالةٍ عندما زارتنا الوالدة في مدينة جدة في بلاد الحجاز في أرض الحرمين في اخر الثمانينات وقبل هجرتي إلى كندا، وكان لنا في العمارة جيران أتراك وهنود، وكانت والدتي تجمع الجارة الهندية غيرالمسلمة التي لاتتكلم العربي ولا تجيد إلا الهندي وقليلاً من الإنجليزي مع جارتنا التركية المسلمة التي لاتجيد لا العربية ولا الإنجليزية ولا الهندية عنا في البيت مع إجادة والدتي لكل لغات العالم ألا وهي لغة الإشارة... فكنا نسألها كيف كنتوا تتفاهموا مع بعض؟ فكان يأتنا الجواب بنتفاهم...!!!!

كيف؟؟!!! الله أعلم وحتى هذه اللحظة لا أعلم، ولكن بلا شك كان هناك تفاهم بدليل أن الجلسات الصباحيه تكررت... يا للأسف ذلك الوقت لم تكن المسلسلات التركية قد شاعت وإلا كنا إستعنا بخدمات الوالدة في الترجمة...

ومن الخدمات التي سعدنا بها فترة محو الأمية، السينما فقد كان يحضر من

مكتب الوكالة من عمان بعض الأشخاص وهم يحملون إسطوانات كبيرة (السينما القديمة بنظام العرض بالبكرات الدائرية الكبيرة) ويتم نصبها في أحد الصفوف وتكون شاشة العرض أحد جدران الصف، فكانت شاشة كبيرة، وكانت بالنسبة لنا شيء أكثر من رائع (دَحَه) حيث كنا في أحسن الأحوال نتفرج على التلفزيون الأبيض والأسود مقاس عشرون بوصة....

يعني كنا نكيف.. كنا نكيف... وللإمانة ولدقة التوثيق لا أدري هل كان المقصود بتلك الأفلام التي غالباً كانت وثائقية، أهل المخيم بشكل عام أم دارسي محو الأمية؟؟؟!!!

وأحد الأفلام كان عن الثروة الحيوانية وكيف يتم الإستفادة منها والعناية بها.





المقاهي في المخيم

حين ترتبط بحب مكان وتجد أساريرك تبتهج وأنت تتحدث عن ذكرياتك فيه، تحاول قدر الإستطاعة أن تنقل صورة أمينة غير مشوهة ولا مغلوطة عنه، وفي نفس الوقت ترسم الصورة الصحيحة للذكرى التي يؤرخ لها...

ولعل العنوان في المقدمة يعطي إنطباعاً للقارئ الكريم بما أرتسم في مخيلته عن أن القهاوي مكان التجمع للسهر والسمر وقضاء أوقات الفراغ للشباب والرجال...

وهذا جزء من الواقع، ولكني أريد هنا أن أذهب أبعد من ذلك في إطار مختلف بعض الشيء دون إغفال الصورة الأولى...

فقد تأسس المخيم كما ذكرت في السابق في عام ٦٨ وقد تزامن إنشاءه مع حرب الكرامة وكان الفارق الزمني بسيط ولايكاد يذكر..

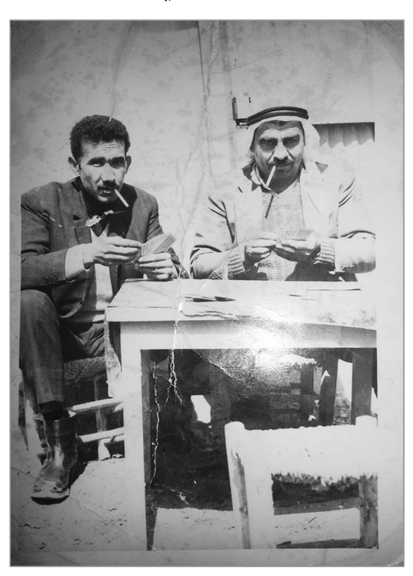
وبالإنتصار المظفر الذي سطره الفدائي الفلسطيني مع الجندي الأردني كسرحاحزهزيمة حزيران ٦٧ وأثبت للعدو الصهيوني قبل غيره أن أسطورة الجيش الإسرائيلي وهم وخديعة كبرى إن توفرت الإرداة الحرة للقتال...

وبعد أن بدأ المخيم يأخذ ملامحه في التشكل وبدأت بعض المرافق العامة في الظهور وبدأ معسكر الأشبال الذي كان مكان المقبرة الأن، يستقبل أبناء المخيم ويُعدهم أحسن الإعداد في معرفة السلاح والتدرب عليه، وبدأ في المخيم نفس وهاج يدب الأمل ويزرع الحماس في نفوس الأشبال والشباب ومن خلفهم ذويهم وأهل المخيم بشكل عام.

وبدأ إقامة المعسكرات حول المخيم وخصوصاً في دبين وعجلون والجبل الأقرع للفدائية من كل مكان وبهذا بدأ المخيم يجني ثمار موقعه وبدأ إسمه بالظهور..

وكون القهاوي تدخل ضمن قطاع الخدمات فلابد أن تأخذ نصيبها هي الأخرى في حديث الذكريات.

وكان من أول القهاوي التي ظهرت في المخيم قهوة العبسي وكان فيها عمر وأحمد (البطران) العبسي، وكان موقعها بجانب مواتير الكهرباء والموقع كله أصبح جزء من توسعة مسجد أبي بكر الصديق، وقهوة حسن مزهر وبقيت في نفس مكانها دون تغيروبقيت معروفة للجميع وحتى اللحظة بقهوة حسن، وبجانبها مباشرة من الجهة اليسرا كانت قهوة ابو سميرأبوشباب، وفي الجانب الآخربين شارع العبسي وزقة دار أبوعلي الفقعاوي قهوة إسماعيل جاد الله وقهوة أبو غازي الضبعة من الجهة اليمنى لقهوة حسن ، وكانت آخر قهوة في نفس الصف على الزاوية قهوة الحج محمود الطيماوي وكنا نسميه في الحارة (أبوعلي بطيما).



كما كانت قهوة أبو زايده مكان فرن أبو زايده وجمعية البدارسة وكان يشتغل بها مصطفى العش وبقيت في مكانها حتى عام ٧٧ على أغلب تقدير، وفي نفس شارع الكراج ومكان محددة فتحي عابد كانت هناك قهوة وقد تناوب على ملكيتها أبو رسمي السمسماوي وعلي أبو ربيّع (أبو كمال) وأمامها شجرة البلوط الكبيرة، ولم تعمر طويلاً إلى أن أقفلت ابوابها...

كانت القهاوي في تلك الفترة في أول السبعين هي نقطة إلتقاء الفدائية سواء من شباب المخيم أو من خارج المخيم الذين إلتحقوا بمعسكرات الثورة وتداولهم لآخر الأحداث، وقد كانت مكان توزيع المنشورات عن العمليات التي تنفذها كافة الفصائل وكذلك كانت مركز لتجنيد الشباب والأشبال للإلتحاق بالعمل الفدائي ومنذ ذلك الوقت وحتى حدوث شرارة الفتنة بين الجيش الأردني والفدائية كان الإجتماع في القهاوي للراحة وقضاء بعض الوقت في التسلية والحديث عن بعض العمليات التي كانت تنفذ إنطلاقاً من معسكرات عجلون والجبل الأقرع ودبين بإتجاه الشريعة والحدود الفلسطينية من منطقة الأغوار، فكان الإجتماع في القهاوي بين مختلف الفصائل وتبادل التفاصيل بشكل شبه علني ولم يكن للسرية حينها وجود.

ومن المناظر التي يذكرها الجيل الأول في المخيم منظر مناقل الشوي على أبواب القهاوي والفدائيين بلباسهم العكسري المموه وهم يتناولون المشاوي غالباً على الواقف، وبعدها كأسة الشاي من إحدى القهاوي ومن ثم يواصلون مسيرتهم نحو الأحراش للإلتحاق بالمعسكرات، كما كان على أبواب القهاوي بسطات لبيع الحلويات وكان الشباب يتبارزون في التحديات ومن يأكل أكثر وكان بعض الشباب لايمكن مجاراتهم في أكل الحلويات وسمعتهم لايشق لها غبار...

يومها كانت القهاوي تؤدي ذلك الدور وفي أحسن الأحوال كان الشباب يلعبون الشدة أو طاولة الزهر أو الضومنة...

ولأمانة التوثيق فقد حدثت بعض المناوشات والمنغصات والمشاكل في القهاوي وكانت نتيجتها سلبية ومؤلمةً وأعتذر عن ذكرها كي لا ننكأ الجراح... ولكنها بإعتقادي أنها مع شعب كشعبنا كله روؤس لابد أن تحدث، وبالذات اننا شعب شديد الشكيمة، ومعظمنا عقله في مناخيره وومكن الواحد فينا يتقاتل مع حاله لإي سبب...

وكانت القهاوي من نقاط التجمع الريئسة في المخيم بحيث أن من يريد أن يلتقي بصاحبه يلتقيه على القهوة ولم تكن وسائل التكنلوجيا الحديثة معروفة فكانت القهوة هي القاسم المشترك للقاء الشباب وتجمعهم.

وإتسعت دائرة المواجهات المشؤومة وإقتتل الأخوة وسال الدم الفلسطيني والأردني من غير وجه حق ولعن الله الفتنةِ ومن أوقد نارها، وبدأ الفدائيون يخرجون من المدن الرئيسة ويتجمعون في أحراش دبين وعجلون إلى أن إستعرت نار الفتنة ووصلت نارها إلى المخيم وكان لإستشهاد أبو علي إياد في أحراش عجلون أثراً سيئاً جداً على أهل المخيم وشبابه حيث إن كثير من الشباب ومن ضمنهم أخي نبيل (أبو الموت) كان يعرف أبو علي إياد معرفة شخصية...

وبعدها وبعد أن تم الإتفاق على وقف إطلاق النار شهد المخيم أيضاً خروج الدكتور جورج حبش من أحراش دبين إلى سوريا...

هذا السرد للتاريخ ضرورة عند الحديث عن نشأة القهاوي ودورها في المخيم حتى لايفهم الجيل الجديد أو من لم يقرأ التاريخ أن القهاوي هي تجمعاً للهمل...

وبعد خروج الثورة من الأردن وإنتهاء الأحداث بدأت مرحلة جديدة لشباب المخيم وأهله في تلك الفترة وقد كانت عصيبة عليهم.

حيث بدأ رجال العسعس (رجال المخابرات) في البحث عن شباب المخيم وكل من كان له دور في حمل السلاح يومها والذي كان نتاجاً وإفرازاً طبيعياً في وجود الحاضنة الشعبية للثورة من الشعبين.

وهنا أيضاً كان للقهوة دور ربما كثير من الشباب لايعرفه أو ربما نسيه أو ربما لم يدر بخلده، وهي أن القهوة أيضاً تجّمع للشباب لإثبات الوجود والبعد عن وجعة الرأس، بحيث لايمكن لأحد الإدعاء أنه كان في القهوة وهو لم يكن وهذه تقلل من السين والجيم....

بعدها بدأت القهوة تأخذ الوضع الطبيعي الموجود في أي تجمع، ولكنها في المخيم كان لها دوراً ورونقاً ومكانة مختلفة..

وكون القهاوي في منتصف المخيم وعلى الكراج نقطة الإنطلاق والوصول لمن أراد أن يذهب إلى عمان أو جرش أو أي مكان، وكون المواصلات في ذلك الوقت كانت صعبة من حيث الإنتظارفترة الصباح وصول سيارات المخيم أوالباص الأزرق (أبو وليد الغزاوي أو أبو شريف أحمد زيدان)، أو فترة الظهر لمن كان مضطراً للذهاب حتى يكتمل العدد.

فكانت القهاوي وسيلة تسلية وإنتظارأيضاً لمن أراد الذهاب إلى عمان، وفرصة لتناول فنجان قهوة من إعداد العم حسن مزهرأو العم أبو علي أو العم إسماعيل جادالله عليه رحمة الله، لأن طعم القهوة والشاي في القهوة غير..

ولأن كل الدوائر الحكومية في عمان فكان الشباب خصوصاً وبعض الرجال لابد له أن يُعرج على القهوة في طريق العودة لإعطاء الأنباء بالتفاصيل عن حجم المعاناة التي واجهها سواء في إستخراج حسن سير وسلوك من المخابرات للتقديم

للخروج والعودة للسفر خارج الأردن، إن شاء الله حتى على المريخ للدراسة أو العمل أو حتى إستخراج دفتر مخالفات أو مايسمى (بوثيقة السفر).

وشيئاً فشيئاً بدأت القهاوي تأخذ مجدها في المخيم حيث إن التلفزيون قد دخل القهاوي قبل معظم البيوت والكهرباء مازلت أهلية، فكانت مباريات محمد علي كلاي في الملاكمة تجمعاً فريداً في القهاوي حيث إنك لاتجد مكان والواقف أكثر من القاعد، والحجز في المقاعد الأمامية لابد أن تشرب معه شاي وغالباً شاي بالحليب وكان حليب (الكرنيشين) العلب وهذا يكلفك قرشين ونصف...

أما التجمع الآخر فكان عند مباريات كرة القدم وعند مشاهدة الرجل الآلي (ستيف أوستن) وكان موعده قبل المغرب وتنتهي الحلقة بعد المغرب وقبل العشاء بقليل وكانت حلقة إسبوعيةً.. وكان منظر الشباب وهو خارج من القهاوي ومنتشر على أبوابها وكأنه ينذر بالنفير العام.

هذه تقريباً معظم البرامج التي كنا نشاهدها، وأذكر يوماً أنها كانت مباريات المصارعة وذهبت إلى قهوة العش ولأننا لم نكن متعودين على السهر وتاخرت المباريات فوجدت حالي نائما في القهوة فكان يشاهد المبارة الشهيد البطل جمعة أبو عمار (جمعة ابو طعيمة) الذي إستشهد في الإجتياح الإسرائيلي للبنان عام ٨٢ وكان جمعة عليه رحمة الله صديق على العظم لأخي نبيل زي ما بقولوا في المصطلحات الشعبية، فقد حملني هو وجارنا العزيز الأخ عبدالرؤوف جراح الذي كان بمثابة أخي نبيل بعد سفره خارج الأردن للدراسة...

ويندر أن لايكون أحد الشباب قد مر بتجربة أو بموقف مضحك في القهوة وفي أحد الأيام وقد كانت المطربة سميرة توفيق تغني إحدى أغانيها وكانت تشتهر

باللون البدوي وتكثر من الغمز من عينّيها السود الواسعتين مما يجعل الرجال الكبار يسخسون وهم يشاهدونها وكل واحد من الرجال الكبار يعض على شفتيه ، فحدث أن إنفعل أحد الرجال وهجم على التلفزيون ليبوس سميرة توفيق وما بين نهوضه ووضع شفتيه على شاشة التلفزيون ظهرت دعاية كنادر (باتا) والرجل لايدري فما أن رفع شفتيه عن التلفزيون إلا وهو قد باس الكندرة ... فضجت القهوة بالقهقهة والضحك والتنكيت والتعليق ، والله لايحطكم محله للرجل ...

وكان الشيخ عطية من رواد القهاوي ومع أنه كان كفيفاً إلا أنه كان لّعيب طاولة زهر، وكان صوته جميلاً في قراءة القرأن وفي إذاعة نشرة الأخباروهو يمشي في شارع بيتهم التي كان يحفظها عن ظهر قلبٍ وهذه كانت من الصفات التي تميز الشيخ عطية وتقريباً معظم جيلنا يعرفها..

وأما ما كان يتسبب بالحيرة والتساؤل وعلى رأي الحجة أم حسن كيف كان عطية يتسلق السورويطلع على ظهر الدار، وكانت تقول والله ما هو فادرني إلآ كيف بطلع وما بخاف يقع وينحطم وتنكسر رقبته، وبقي على هذا المنوال إلى أن غادر المخيم عائداً إلى غزة...

وكانت القهاوي ملاذاً للشباب في أيام الشتاء الباردة، حيث كانت حجة وحاجة وحيث يطرب الشباب بشكل جماعي بالإستماع لسمفونية المطر على الواح الزينكو، وأما في الصيف فكان بعض الشباب والرجال يجلسون على طرفي الشارع في مقابل القهاوي يراقبون الرايح والقادم وكأنهم يجلسون على ضفاف نهر النيل...

تلك كانت حكاية القهاوي في مخيمنا العزيزوفي زماننا الجميل نسطرها بقالب مختلفاً عما إعتاده معظم الناس ونبقى نتذكرها إلى أن يكتب الله أمراً كان مفعولا...



المدارس في المخيم

الحديث عن المدارس في كل المجتمعات في العالم له صبغة ولون وعُرف وتقاليد تختلف عما سوف أتحدث عنه هنا، وحتى أبناء فلسطين الذين عاشوا في الشتات وفي الدول العربية وفي المدن على وجه الخصوص وشاركوا إخوتهم العرب مقاعد الدراسة حين يتحدثون عن المدرسة

يتحدثون في نفس السياق حيث إنهم ليسو الأغلبية ويخضعون لقوانين وأنظمة البلد وتبقى حصة فلسطين في التعليم قليلة ومن باب رفع العتب.

أما نحن أبناء النازحين واللآجئين والمشردين والمسخمين والملطمين والمكافحين والكادحين والمناضلين الذين ذاقوا الأمرين وتكفلت بهم وكالة الغوث، فللحديث عن المدارس بالنسبة لنا واقع مختلف في ظروف وطقوس غير عادية وغير طبيعية...

ولكي تكتمل الصورة بعد أن بدأت الناس تتكيف مع واقع الشتات مابعد النكسة والتهجير كان لابد من إنشاء المدارس لتستوعب الشريحة الكبيرة من أهل المخيم من الأطفال والشباب ماتحت سن الستة عشر...

هذه الشريحة التي كان لابد من إستيعابها لكي لاتبدأ كثيراً من المشاكل الناتجة عن وقت الفراغ وكثرة الأولاد وفي نفس الوقت إظهارالمؤسسات الدولية والمحلية وكل من له علاقة بمأساتنا بوجه جميل وأنهم يبذلون قصارى جهدهم لتقديم الخدمات...

جيل الخمسينات بدأ مرحلة التعليم الأولى في مخيمات الشتات في الداخل وبعد النكسة إلتحقوا بمدارس المهجر لإكمال ماتبقى من المرحلتين الإلزاميتين، أما نحن جيل الستينات فغالباً التحقنا بالمدارس من بداية المرحلة في مخيمات مابعد النكسة...

وهنا لابد من الحديث عن المدارس بكثير من التفصيل وفي سياقها الصحيح وما ذكرته سابقاً عن المدارس كان موجز وفي سياق مختلف ولداعي الضرورة تم التعريج على المدرسة، ولكن دون التفصيل الذي سوف أرخ له عند الحديث عن المدارس....

وكون المخيم إستمد إسمه من تجمع الخيم وحيث أن معظم الخدمات والمنشأت بدأت في الخيم كذلك بدأت المدارس، وبعدها تم بناء الصفوف من مادة الأسبست (الأسبستوس) وكان لهذه الصفوف ميزات فريدة من نوعها وكانها صنعت خصيصاً لنا أهل فلسطين المشردين والذين سجلنا سوابق كثيرة يبقى التاريخ شاهداً عليها...

ومن ميزاتها أنها لاتقي برد الشتاء ولا حر الصيف ولايوجد بها إنارة ومبطنة من الداخل ببطانة من الأبلكاج مما جعلها بيئة مناسبة لكي تسرح وتمرح بها الفئران، واللي مش عاجبه ينقب حواجبه...

وكانت الصفوف كل أربعة صفوف بجانب بعضها ويفصل بين كل أربعة

صفوف مسافة تملؤها أشجار الكينا، والمدرسة كانت على شكل مربع ويحيط بها سياج الحديد من كل الجوانب أو ما كنا نطلق عليه إسم (الشيك) ولكنه يختلف عن شيك البنك حيث إن شيك البنك ممكن يكون برصيد أو بدون رصيد ولكن شيك المدرسة كان مخّرم...

وقريباً من باب المدرسة وعلى مسافة بسيطة جداً كانت غرفة مدير المدرسة للمرحلة الإعدادية وبجانبها غرفة لمدير المدرسة للمرحلة الإبتدائية وبجانبها غرفة المكتبة ومن ثم غرفة المختبر وآخر غرفة كانت غرفة النشاطات المهنية.

وخلف غرف الإدارة كانت مسافة تفصل بين مدرسة البنات ومدرسة الأولاد وكانت مزروعةً بالأشجار حيث كنا نتفيأ ظلالها أيام الصيف وخلال الفورسة (الإستراحة بين الحصص)، وكانت هناك بركة ماء مبنية بشكل دائري جميل بإرتفاع نصف متر تقريبا وبداخلها نافورةً ومنظرها جميل وكانت العناية بها على ما أعتقد هي من مسؤولية آذن المدرسة.

وكان يتم تغير ماؤها بإستمرار حتى لا تتعرض للعفن أو ما كنا نطلق عليه مخضرنه (ماؤها تحول للون الأخضر ونمت الطحالب داخلها وعلى الجدران) ...

وكانت غرفة (الكنتين) المقصف على الحدود الدولية الفاصلة بين مدرسة الأولاد ومدرسة البنات وكان لها شباك يفتح على جهة الأولاد والآخر على جهة البنات، وكان (حماد أبو مسامح) من اوائل من تضمن (إستأجر الكنتين) وكان يساعده إخوته في تشغيله...

كان مدير مدرسة الإعدادية في السبعينات الأستاذ أحمد أبو فضة (أبو الرائد) وكان من سكان (مخيم سوف) وهنا ينطبق المثل «مابيجي حَينا إلا اللي زينا»

ودائماً أبناء المخيمات يصنعون الفرق.....

وهو من قرية عجور قضاء الخليل وهو مدرس لغة إنجليزية مشهود له ويشار له بالبنان، وكان شديد الشكيمة ولايتهاون أبداً، وكان مساعده أو نائبه الأستاذ محمود الحلبي – (من مدينة المجدل، قضاء غزة) – وهو مدرس لغة عربية وكان أكثر شدة من أبو فضة، وكلاهما متعهما الله بالصحة والعافية لهم أيادي بيضاء علينا جميعاً الجيل الذي دخل المدرسة على زمانهم، وكانت هيبتهم ليست محل نقاش من أحد، هما بالذات وعموم المدرسين، ولم يكن هناك شك لدى الأهل أن الأستاذ إذا ضرب أحد الطلاب إنما ضربه لمصلحته، وكان الأب ممكن يقسوا على إبنه لو نما لعلمه أن إبنه ضُرب بالمدرسة وكان لسان حال الأهل لولا أنك تستاهل الضرب ما كان ضربك المدرس...

كان هناك عُرف من الأهالي أن للمدرسين اللحم وللأهالي العظم، أو كما كان يُقال: كَسّر ونحن بنجبر...

فقد كان الحس الوطني والغيرة الممزوجةِ بالحرص للإرتقاء بأبناء المعذبين والمشردين النازحين واللآجئين هي السائدة وليست محل للمزايدة.

أما مدير الإبتدائية فكان الأستاذ عبد العظيم (أبوسليمان) عليه رحمة الله ولقد كان مدير مدرسة من أيام غزة وهو من بلدة دير البلح (ديراوي) وكان من المناضلين اليساريين القدامى وأصحاب المبادئ العتيدة ولقد دفع ثمن ذلك أنه أمضى كل عمره ممنوع من السفر وممنوع من الحصول على أي نوع من الوثائق الثبوتية، ولقد سُجن وعُذب من العدو الصهيوني وهذا ما سبب له الإعاقة السمعية مما كان يستدعيه وضع سماعةً طبيةً وكان من المبعدين للأردن...

وكان مساعده الأستاذ توفيق أبو الجديان (أ بوزياد)– (من قرية نِجد، قضاء غزة) وهو الآخر مناضل يساري كان ينتمي للحزب الشيوعي مما تسبب بإبعاده من الأردن إلى مخيم اليرموك في سوريا..

وهنا لنا وقفةً لابد منها حيث أن ظروف النكبة والنكسة والشتات لم تكن كافية عندالأنظمة العربية فكان لابد من إستكمالها بالإبعاد وتشتيت العائلات، وليس هذا لأن المبعدين كانوا من أصحاب السوابق، حاش وكلا، بل كانوا مناضلين وأصحاب قضية... وهنا وكعينةً من أبناء فلسطين فقد حاز الأستاذ توفيق على صفة نازح وصفة لاجئ وصفة مُبعد...

ياجماعة الخير الناس درجات وهذه الصفات ليست بالسهولة الحصول عليها...وقال شو بدهم شعبنا ينسى!!!!

وكفلسطيني إبن هذا الشعب إطمئنهم إننا لن ننسى، ولانستطيع أن ننسى، ومستحيل أن ننسى، وعُمر الأسى ما إنتسى ونحن أسانى كثيروكبير وطالنا جميعاً الكبير والصغير والمقمط في السرير، وكل جيل يأتي أشرس من الذي سبقه، وسنبقى نخّرج أجيالاً تنكش التاريخ وتبحث في الأعماق فلا نامت أعين الجبناء...

ونعود لإستكمال بقية التفاصيل، وكيف جيلنا بدأ دراسته في المخيم من البداية وحتى التخرج من مدرسة الوكالة بعد إنهاء المرحلة الأعدادية.

فلقد إلتحقنا بالروضة لتجهيزنا للمدرسة وفي الروضة علمونا أسس التعليم الأولى وأهمها الإنضباط ومن ضمن الأناشيد التي علمونا في الروضة:

مدرستي بتفتح بدري
آخذ غدائي وأجري
أجري من تحت الكبري
ياناس سيبوني...لا تعطلوني
الدنيا برد ...الدنيا برد
الست (كل واحد يذكر إسم معلمته) بتقطف ورد...

طبعاً نحن في المخيم مصطلح (كُبري) ليس لنا به علاقة وحتى ممكن ما كنا نعرف ماذا يعني، أما لو غيروا (الكبري) للمصطلح المعروف والصحيح في المخيم فهو (القناية) وبذلك يصل المعنى الصحيح وتصبح:

أجري من فوق القناية ....

ولكن القافيه بتنكسر ويمكن ما ينفع معها التجبير...

ودخلنا الأول الإبتدائي بفرح وإنبساط ونفسية الأطفال الذين عاشوا أشد لحظات القسوة والحرمان والتهجير والحرب ، وكل المصطلحات التي تعرفونها أو لاتعرفونها فهي بالكاد تصف حالة كنا سباقين فيها وشاهدنا بواكيرنشأتها لكي نبقى نسجل شهادة حية عن ما عشناه ونؤرخ له، ليس للإمتاع الذهني الباهت أو لترف الكتابة وإنما لرفد الأجيال السابقة واللآحقة بما يُبقي قضيتنا حية في وجدان الجميع ونستقي من عمق وقسوة التجربة شعلة أمل وإلهام تدفعنا بإتجاه واحد للعودة والتحرير لقدس الأقداس في فلسطيننا مهدنا ومهد الآباء والأجداد.

ومازلت أتذكرحتى اللحظة ولن أنسى ابداً أول يوم في المدرسة فقد إصطحبني أخي عبد الله للمدرسة وكذلك كل أقراني كان إخوتهم الكبار أو أبائهم معهم لكي يرشدوهم إلى مُدرسهم وفي أي شعبة ويعطونا دفعة نفسية تكسر حاجز الرهبة.

وكان أول مربي فاضل أشرف على تعليمنا هو الأستاذ أحمد الهودلي (من قرية حمامة، قضاء غزة) رحمه الله وجزاه كل خيرٍ عما بذله من جهد جبار في تعليمنا وتربيتنا ومازلت أعتبر مهنة التدريس أقدس وأنبل مهنة في الوجود وفي إعتقادي أصعب مراحل التعليم هي المرحلة الأولى...

كان الصف يحوي أكثر من أربعين طالباً وبعض المقاعد أو ماتسمى البنوك بها ثلاثة طلاب...

وكان الجلوس حسب الطول الأقصر فالأطول...أما لاحقاً فكانت البنوك الأخيرة لأصحاب الخبرة أمثال صاحبنا سالم...

وكان لكل صف عريف لضبط حركة الصف خلال الإستراحة بين الحصص وعند تأخر المدّرس، وكان من أكثر الطلاب وشايةً للمدرس وكان يسجل اسماء المشاغبين عاللوح للعقاب لذا لم يكن محل ثقة منا نحن معشر المشاغبين وبدون فخر كان دائماً إسمي موجود، شو أعمل؟! بعرفش أقعد ولازم الحركة وتحريك الطلاب والإستفادة وإستغلال كل دقيقة قبل وصول المدرس، وفي النهاية ديتها معروفة...

كان اليوم الدراسي غالباً عبارة عن خمس حصص ومدة كل واحدة منها خمس وثلاثون دقيقةً، وبعد كل حصة يتم قرع الجرس الذي كان بعهدة الأستاذ المناوب، وكنا نكيف لما الأستاذ يطلب من أحدنا قرع الجرس، ويمكن كنا نكيف أن الحصة إنتهت ولابد من شحن الطاقة بشوية لعب وحركة، والحركة فيها بركة، وبعد الحصة الثالثة كانت الفورسة ، وهذه كان لنا معها وقفات ووقفات وخصوصاً في غير أيام الشتاء...

أحيانا كنا نستغلها في إقامة مبارة كرة طائرة ويكون معنا بعض الأحيان أحد الأساتذة، وأحياناً نُقضيها لعب وخصوصاً (شلاليط) وهذه كانت من الممنوعات حتى لايتعرض أحد الطلاب للأذى، وكونه كل ممنوع مرغوب فما كان يجدي معنا المنع والتقريع...

وأحيانا كنا نستغلها في التدريب على العاب الجمباز وبالذات ماتسمى السقطة الهوائية، أو القفزات الثلاثية....

كانت الفورسة تمرعلينا وكانها لحظة لكثرة النشاطات وكانت هناك مجموعات مجموعات وكل مجموعة مشغولة في أمرمختلف وكانت تنشأ بعض المشاكل

ولانستطيع إكمالها فنتفق على إكمال المضاربة (الطوشة) بعد الدوام أو ماتسمى (الترويحة)...

أما في الشتاء فكنا نبقى في الصفوف نلعب ونقفز فوق البنوك والبعض الآخر كان يستهويه اللعب تحت المطر،طبعا كثيراً من الطلاب كان يحضر أكله معه وبالذات من يسكنون في أماكن بعيدة، كانت عبارة عن سندويتشات منوعة، منها مثلاً سندويتشات الخبز بالرز وهذه لولا أني رأيتها رأي العين لما كنت تخيلتها، وسندويتشات الحلاوة الطحينيةِ، وستدويتشات الشطة الحمراء وهذه لا أعتقد أن أحداً غير أبناء غزة مارس طقوسها وبالذات عندما تكون حارة جداً، حتى أننا في الحارة كنا نعمل مسابقات لأكل الشطة، وكان جاري وزميلي في الدراسة وصديقي (عبدالرحمن جراح) ينتزع البطولة عن جدارة وإستحقاق...

أما الأن فأعتقد أنني ممكن أكون جاهز للتفوق عليه حيث إني طورت مهارتي في أكل الفلفل وأصبحت من الخبراء في الفلفل وأنواعه ومدمن أكل فلفل من الطراز الأول...

أما ساندويتشات الفلافل من عند حماد فكان لها زبائنها ونشتريها أحيانا وحرصاً على التقاليد كنا بنحب التنويع....

كما كان للمدرسين أيضاً نصيب من ساندوتشات الفلافل، ولكنهم لم يكونوا يقفوا في الطابور مثلنا، بل كان حماد يجهز لكل مدرس ساندويتشه حسب طلبه مع براد الشاي الكبير ويضعهن جميعاً في غرفة المدرسين قبل الفورسة بدقائق ويعود مسرعاً للكانتين إنتظاراً خروج الطلاب...

وكان يشذ عن قاعدة المدرسين الأستاذ (طباشة) حيث كان من سكان مخيم سوف وكان يحضر من هناك راكباً دراجته الهوائية (البسكليت) وهي مسافة ليست

بسيطة، وكان يحضر أكله معه في شنطةً يحضرها معه حيث كان غداؤه دوماً السردين ولابد أحيانا من أن يطلب من أحد الطلاب الذين كانوا يسكنون بالقرب من المدرسة أن يحضر له رغيف خبز أو حبة ليمون وماشابه...

وللأستاذ طباشة مواقف كثيرة ومضحكة وبالذات إذا وقف بجانبك (إذا كانت حصته بعد الإستراحة فلا بد أن تشتم رائحة السردينة) وقال (إنده) يعني إنت....

ولأنه كان يلبس النظارات فلا بد أن تفتح بالمندل لتعرف من المقصود بإنده (أنت)... حينها إن سألت أنا يا أستاذ؟؟

لطشك خمساوي.... إعتقاداً منه أنك تستهبل وإن لم تجب أيضاً لطشك بالخمساوي إعتقاداً منه أنك أطرش أو عامل حالك مطنش...



ولازال الحديث عن مدارس الوكالة في مخيم غزة حيث كان في المخيم مدرستين واحدة للبنين وتشمل الإبتدائي والإعدادي وتسمى «مدرسة مخيم غزه للبنين» وكان الدوام فيها على فترتين صباحية ومسائية ويتم كل شهر التبديل لكثرة عدد الطلاب مع مراعاة طلاب الإبتدائي مع بنات الإعدادي والعكس منعاً للمشاكل.

والثانية للبنات وبنفس التفصيل ...

أما فيما يخص الأدوات المدرسية فقد كانت مدارس الوكالة توفر لنا كل شيء

من كتب ودفاتر وأقلام وعلب هندسية، وكان يوم إستلام الكتب والدفاتر غالباً ثاني أوثالث يوم دراسة، وكانت تدب في المخيم وعند أصحاب المحلات حركة مشهودة لزوم تجليد الكتب والدفاترووضع طابع عليه الأسم كاملاً...

أما بيوتنا فكانت هي الأخرى ساحة للنشاط وفرد الكتب والدفاتروكان الكبير يساعد الصغير والأمهات والأباء كان لهم نصيب من المساعدة...

كان التجليد للمحافظة عليها من عوامل التعرية وخصوصاً أن الكتب مسترجعة في آخرالسنة...

والتجليد درجات حيث كان جزء من الطلاب يستعملون أوراق أكياس الإسمنت بعد أن يتم تنظيفها وإستصلاح ما يمكن منه وذلك أن الظروف المادية لم تكن متساوية عند الجميع، أما من كان وضع أهله جيد أو معقول فقد كان يشتري أوراق التجليد التي كان لونها قريب من لون قمر الدين أو مايسمى «المشمشي».

وكنا نضع الكتب والدفاتر بعد التجليد تحت الفرشات زيادة في التمكين وكي تعمل الفرشات عمل المكاوي ويصبح شكل التجليد أرتب.

وحتى نبقى في نفس السياق فقد كان الأستاذ «محمود الحلبي» يمتاز بموهبة عجيبة في معرفة الدفتر إن كان تم قطع بعض الصفحات منه وكم عدد الصفحات ألتي تم (مزعها) قطعها، حينها أنت معرض لعقوبتين، الضرب وتغير الدفتر (إرهاق ميزانية الأهل) وكذلك حين يتسرب بعض الزيت من «سندويشة» الزيت والزعتر أو الشطة الحمراء على الدفتر أو الكتاب...

أما الشنط المدرسية فحدث ولاحرج حيث كانت أشكال وألوان، منها الشنط العادية والمعروفة للجميع ومنها ماهو مصنوع من خريطة المؤن وبعضها قماش تم خياطته على شكل شنطة...

وأود أن أذكر معلومة هنا لايعرفها معظم أهل المخيم حيث كان عنا في الحارة «أبو خالد أبو لوز» وكان أبو خالد متخصص في خياطة شنط المدارس والأعمال الجلدية وكان مشغله في بيته.

في المرحلة الإبتدائية وبالذات في الصفوف الدنيا كان المدرسين يكلفونا بالنسخ وذلك لتحسين الخط والتعلم على الكتابة، وأحيانا كان النسخ نوعاً من العقوبة...

ومن الجدير ذكره للتفريق بين التعليم الأول والتعليم الحالي أن المنهاج كان يشمل كل الكتاب أو كما يقولوا من الجلدة للجلدة ومع ذلك كانت نسبة النجاح عاليةً جداً وقد تخرج من مدارس الوكالة من الجنسين من حملوا أعلى الدرجات فمنهم الطبيب، ومنهم المهندس، ومنهم الصيدلي، ومنهم المدرس، ومنهم مدير مدرسة ،ومنهم من يحمل درجة الدكتوراة ودرجة الماجستيروكل أنواع العلوم.

وينتشر أبناء المخيم خاصة وأبناء فلسطين عامة في كل أصقاع الأرض ويرفعون إسم فلسطين عالياً ولنا الحق أن نفخرونتيه زهواً بهم...

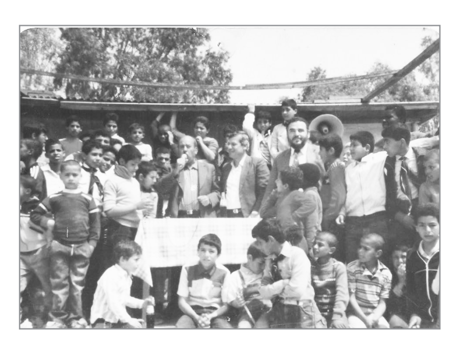
وسنبقى دوماً ندين بالشكر بعد شكررب العالمين لمعلمينا ومربينا الأفاضل ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله...فكيف لا نشكر من غرسوا وبذروا فينا حب العلم والتعليم وحتى لو كان بعض الأحيان لشدتهم ولقسوتهم بعض الآثار السلبية إلا أن الغالبية العظمى منا تدين لهم بالفضل...

ولاأنسى الأستاذ «توفيق أبوجبارة» عليه رحمة الله في الصف الأول الإعدادي حين سألنا عن معنى إعدادي وقال لنا أنتم الآن إنتقلتم من المرحلة الإبتدائية إلى مرحلة الإعداد للمستقبل والتعامل معكم يجب أن يكون من هذا المنطلق فأنتم الأن بدأتم مرحلة الرجولة، فكان لهذا الكلام أفضل وأبلغ الأثر في نفوسنا، ونفشنا

حالنا زي ديك الحبش وبدأنا نشعر أننا فعلاً في مرحلة الرجولة وكما قال أحد الصالحين: عانيت من كلمة ستين سنةً... فإنني أكد هنا أن مفعول الكلمة الطيبة مفعول السحر وتبقى معنا إلى آخرالعمر..

ولقد كان الأستاذة في المرحلة الإعدادية أشد على الطلاب لخطورة تلك المرحلة فقد كان الأستاذ «كمال عقل» وبتوجية من مدير المدرسة «أحمد أبو فضة» يعمل زيارات مفاجئه للمقاهي، «كبسات»وأحياناً كان بعض الوشاة من الطلاب يسجلون أسماء من يرتادون المقاهي أو يشربون السجائر

وياويله من يضبط متلبساً هناك، حيث كان يجلد ثاني يوم أمام جميع الطلاب في طابور الصباح.



وقد يكون من الصعوبة بمكان في هذا التويثق المرور والتعريج على كل الأسماء من المدرسين، إلا أن هناك أسماء تبقى عالقة في الذاكرة ولايمكن نسيانها فقد كان مدرسنا مدرس العلوم وأستاذ المختبر الأستاذ «ياسر الشيخ» ومايمتاز به من جمال إسلوب في التدريس وصبر وطولة بال يندر أن تجد لها مثيل.

وكذلك كان أستاذ اللغة الإنجليزية الاستاذ «فوزي جدو» رحمه الله صاحب أسلوب تدريسي فكاهي جميل ومن النادر أن يفلت أحد من تعليقاته وكان لتسلسل الأسماء وهو ييشر إليناعلينا بأن ينادي على أحد ويقول أبو صالح أبو مصلح وأبو

صويلح، أو أبو الجديان أبو الخرفان أو سعد مسعود سعيد وهكذا كلا لايقطع السجع في الأسماء والأهم أن كل واحد فينا كان يتابع حركة الإصبع بغض النظر عن الإسم، فكنا لانشعر كيف يمضي وقت الحصة ونحن في غاية الإنبساط والمرح في تعلم وفهم المعلومة...

أما الأستاذ «حسن هندم» مدرس اللغة العربية متعه الله بالصحة والعافية فقد كان له اليد الطولى في تأليف المسرحيات والإخراج وتدريب الطلاب على التمثيل، بالإضافة إلى تعليم الصلاة.

كانت المدارس ومازالت وستبقى أحد أهم العوامل التي يحكم منها على المجتمع والدولة فهي مؤشر حقيقي ودقيق على نوعية الطلاب ومستقبلهم وكيف ستكون فاعليتهم وتأثيرهم في المجتمع وأبلغ دليل مازال موجود حتى الأن هو وجود مدارس خاصة للنوابغ في روسيا وفي اليابان والصين على وجه الخصوص لكي يتم تدريبهم ليصبحوا نواة المستقبل في الصناعة والقيادة والريادة.

وسيبقى في ذاكرة غالبيتنا إن لم نكن كلنا ولسان حالنا دوماً في أي مكان نكون فيه كيف كانت ذكرياتنا في المدرسة وبعض المواقف المضحكة والمؤثرة سواء بين الطلاب أنفسهم أوبين الطلاب والمدرسين، وستبقى مادة دسمة لنا بين الحين والآخرتشعل حنيننا وتشدنا إلى الماضي الجميل.

وكانت للرحلات المدرسية زماننا بهجة ومتعة وفرصةً للترويح والإستمتاع والتعلم، فكانت الرحلة المعهودة إلى «البحرالميت» مروراً بالأغوار وضريح الجندي المجهول في منطقة الكرامة وذكرى معركتها، وضريح أمين الأمة أبوعبيدة عامر إبن الجراح وأعلم الأمة بالحلال والحرام معاذ إبن جبل رضوان الله عليهم.

كما كانت رحلة الأزرق حيث الواحات وقصرهشام إبن عبد الملك، أما

الرحلة التي كان يتم الإعداد لها بدقة وبوقت كافي ولابد من تجهيزات خاصةً بها فهي رحلة العقبة التي كانت تمتد لثلاثة أيام لبعد المكان وضرورة توفر مكان للنوم والذي كان دوما أحد المدارس.

وكان أحد المدرسين يتولى أمور الرحلة والإعداد لها وتسجيل أسماء الطلاب وجمع رسوم الرحلة والإتفاق مع شركة الحافلات لإعداد الحافلة وتجهيزها ليوم الرحلة.

وكان الأستاذ الموكل بتنظيم الرحلة يمر كل يوم على الصفوف يذّكر بموعد الرحلة وإن كان أحد من الطلاب الذين لم يسجلوا يريد أن يسجل قبل أن يكتمل العدد، وكان لبعض الأهالي موقفاً رافضاً رفضاً باتاً السماح لأبنائهم بالذهاب في الرحلات المدرسية لإعتبارات كثيرة ليس أخرها السبب المادي وإنما هو أحد الأسباب..

أما الرحلة بحد ذاتها فكانت من بدايتها وحتى نهايتها رائعة وممتعة وجميلة وكانت مستلزمات الرحلة ومن أهمها الطبلة وكرة القدم حاضرةً، وكنا ما أن نصعد في الحافلة وتبدأ اشارة الإنطلاق إلا ونتجمع في الكراسي الأخيرة ونبدأ في الغناء من كل الألوان ويبدأ عمل المقالب والضحك، وكان الأساتذة في ذلك اليوم يرخون الحبل على الغارب كما يقولون أو يعطونا هامش كبير من الحرية حيث إننا في رحلة وفي الرحلة لابد من بعض الحرية والإنبساط!.

وكنا ننقسم في الرحلة إلى قسمين وكل قسم يناصر أستاذ ضد الآخر في الغناء الملغوم والهمز واللمز وكل فريق في حماية أستاذة دون حساسيات، وكنا لاننسى السائق ونغني له ونشجعه وبالذات حينما كنا نقول « ياشفير دوس دوس الله يبعثلك عروس» و»ياشفير إطلع هالطلعه الله يخليلك هالصلعه» و«ياشفير إدعس بنزين عالميه وتسعه وتسعين»...

أما في رحلة البنات (لم يكن لهن رحلة على العقبة) فكن يضفن مقطع آخر للسائق يقول: «لاتطلع بمرايتك ياشفير ونحنا مثل خواتك يا ليلا»...

وفي طريق الذهاب كان التوقف في البتراء وكانت أول مرة نشاهد البتراء المدينة التي بناها العرب الأنباط والتي تم تصنيفها فيما بعد العجيبة الثامنة! وكانت الأيام الثلاثة تمر وكأنها لحظات، مابين السباحة في البحر وزيارة الميناء في رحلة منظمة، وقضاء أجمل الأوقات في السهر واللعب داخل المدرسة ومخالفة تعاليم المدرسين في ضرورة النوم مبكراً، وعمل المقالب في بعض ونبقى على هذا المنوال إلى آخر لحظة.

أما عند وصولنا المخيم والذي كان يصادف وقت العِشاء كنا نجد أهالينا وخصوصاً إخوتنا الكبار في إنتظارنا عند الكراج وكأن معظم أهل المخيم في إنتظار عودة الفاردة من العقبة...

مضت تلك الأيام التي عشنا جمالها وبساطتها وحلوها ومرها ورشفنا من رحيقها الأخآذ مخزوناً من الحنين والشوق والإرتباط بالمخيم الذي يُجذر إرتباطنا بفلسطين، ولم نكن نعلم ماذا يخبئ لنا الغد وأين سترسوا سفننا المآخرة عباب الغربة، ويوم بعد يوم تحرقنا نار الجوى، ونكبر وتكبر أحلامنا ويبقى هاجسنا وأملنا وحلمنا التحرير والعودة.



وتتوالى ذكرياتنا في المدرسة راسمة لوحة جذابة وأخآذة وكما قال المبدع «جبران خليل جبران»: إن المحبة متى إتسعت صعب التعبير

عنها بالكلام، والذاكرة إذا كثرت أحمالها صارت تفتش عن الأعماق الصامتة...

كيف لا وفي المدرسة تشكلت معالم طريق مستقبلنا وصداقتنا التي إستمرت حتى الأن أو التي توقفت لعوامل الغربة والبعد وإختلاف الأمزجة والأهواء والميول، ولكن ما أن نتذكر المدرسة حتى نعود بلمح البصر لها وكأنها هي مفجر الصواعق أو قادح الزناد الذي يعيدنا ويذيبنا في محيط ذكرياتنا الأولى... مذكرة لنا، حتى لو بَعُدنا أو إختلفنا أو تعددت مشاربنا فستبقى المدرسة تعيدنا إلى المربع الأول، لعل وعسى ننسى أين صرنا وكيف أصبحنا وربما كانت بداية لصفحة من التواصل الجديد الموصول بذاكرة وذكريات قديمة...!!!!

في المدرسة بدأ وعينا الأول وبدأنا نكتشف مواهبنا وإبداعنا عن طريق المدرسين وعن طريق الأهل وعن طريق أنفسنا من خلالهم وبتشجيعهم وفي إذكاء روح المنافسة والإبداع وفي رسم صورة لما سوف نكون.

كانت بطولة المدارس الرياضية على مستوى اللواء محطة مهمة، وهذا يستوقفنا في إحدى المحطات وهي إن مدرسينا لم يغفلوا هذا الجانب تحت أي ذريعة أو لأي سبب، فكان الإعداد الجيد بعد إختيار من بدأت عليهم علامات التميز...

وكون حلقات الذكريات هي توثيقية بالمقام الأول وتأريخ فلابد من ذكر بعض التفاصيل التي يعرفها الجيل الأول وجيلنا، ولكن الأجيال اللآحقة لاتعرف عنها إلا ما تسمعه ويتم الحديث عنه، فكان لابد من إنشاء الملاعب لذا كان على كاهل الطلاب جزء من المسؤلية حيث كان مطلوب من كل طالب أن يحضر معه حجراً يومياً لرصف ملعب كرة السلة والطائرة وكأن الحجر هو تذكرة دخول المدرسة...

فكانت هذه البداية لإنشاء وإقامة الملعب وفي نفس الوقت مكان تجمع الطلاب في طابور الصباح والمساء.

وسنبقى نتذكر «أبو فضة والحلبي وكمال عقل وموسى الموسى ومحمد مهنا» وفي كل مرة في سياق جديد وليس من باب التكراروإنما من باب العرفان فقد كان للرياضيين معاملة خاصة وتقدير.

هذا السلوك أرسل إشارة واضحة أن الرياضة والبطولة والفوز جزء لايتجزء من سلوك المدرسة والطلاب، فكان أن نافست المدرسة حينها منافسة شديدةً وكانت نداً قوياً لبقية المدارس وتحصلت على كذا كأس للبطولة وخصوصاً في كرة السلة وكرة الطائرة.

وكان الأستاذ محمود الحلبي بعصاة المؤشر الطويلة ينظم صفوف المشجعين حول المعلب ولكي تكتمل روعة المشهد كان المدرسين يخرجون الطلاب من الحصص لحضور المباريات، وكان بعض الأهالي وخصوصاً الأباء وبعضاً من الأخوة الكبار يحضرون للمدرسة للتشجيع وكأن المخيم كله يقف على قلب رجل واحد في المساندة.

ومر على مدرستنا كذا مدرس للرياضة، ولكن يبقى الأستاذ «شفيق» والأستاذ «خالد العموري» أبرزهم وأكثرهم تميزاً وأكثر كوؤس البطولات تم حصدها على زمانهم.

ولمع في سماء المخيم كثير من الأسماء في كرتي السلة والطائرة نذكر بعضاً منها للتوثيق وليس على سبيل الحصروبالمناسبة يصعب التفريق بين نشاط المدرسة ونشاط النادي الذي كنت تعرضت له في حلقات سابقة حيث أن البداية إنطلقت من

المدرسة، فكان حمدان أبو حميد من نجوم كرة الطائرة وكان أنور فرهود نجم في كرة السلة وكرة القدم، وكان فضل منصور وإبراهيم دلدوم(نجم ثلاثي حيث كان في كرة السلة وكرة الطائرة وكرة اليد) وطارق الوحيدي وصالح أبو مريفة وعوني فرج (عليه رحمة الله) ومن الجيل الذي يليه برز عبدالعزيزالعطيوي (الأسمر) في كرة السلة وكذلك سمير وشاح في كرة الطائرة وجهاد أبوستة وحسن فرج وكمال أبوربيع وكايد غيث وأحمد طالب سعد....

وكما كانت الرياضة لها نصيب كبير، كان أيضاً هناك مسابقة أوائل المطالعين لتشجيع الطلاب على المطالعة الخارجية، وكان للمسابقات الشعرية أيضاً نصيب وكنانتسابق في حفظ أكبر قدر من الأبيات الشعرية تحضيراً وإستعداداً للمبارزات الشعرية.

وكان أستاذنا وشيخنا وخطيب المسجد الشيخ «صلاح الدين عيسى» متعه الله بالصحة والعافية يتولى الإشراف على مسابقة تحفيظ القرأن الكريم والتي كانت «جزء عم وجزء تبارك»، وكانت حلقات التحفيظ تمتد مابين المدرسة والمسجد.

وبنظرةٍ فاحصة نجد أن الإهتمام كان يشمل كل النواحي التعليمة والرياضية والثقافية والدينية وبهذا كانت المدرسة تسجل كل بواكير الإبداع والتميزلإعداد جيل مؤمن بقضيته ورسالته ليصبح لبنة المستقبل الصلبة.

وللتدريب على العمل الجماعي والتنسيق بين الطلاب وإختيارمواضيع ثقافيةً ومعلوماتيةً كان يطلب منا عمل مجلة للحائط وكنا نشترك مابين أربعة إلى خمسة طلاب فيها ويكون إجتماعنا في أحد بيوتنا، فكنا نحاول رسم أشكال هندسية مختلفة وتلوينها بأشكال مختلفة والكتابة داخلها، وكل شكل هندسي نكتب داخله موضوع جديد...

وبعد أن جربنا عدة طرق للرسم فقد تفتقت أفكارنا بدل إستعمال «البيكار» الفرجار لرسم الدوائر وحتى لا يثقب الكرتوتة فقد بدأنا في إستعمال صحون الأكل عوضاً عنه وحيث أنها متوفرة فقد إختصرت الجهد والوقت...وكماقلت سابقاً فقد إستطاع شعبنا أن يصنع من المتوفر لشح الإمكانيات فناً.

فكانت المجلة تعلق على الجدار داخل الصف وتضيف للطلاب معلومات جديدة، بعد أن كان الأستاذ يطّلع على فحوى المجلة ويجيزها، وكان يُكتب إسم الطلاب المشاركين في الإعداد وإسم الأستاذ المشرف على أحد زوايا المجلة وبلون مختلف عن لون العنوان الذي كان بخط كبير جذباً للإنتباه.

أما الناحية الفنية فكان الأستاذ « محمد الحوراني» من روادها الأوائل وبقيت رسوماته على ألواح «الأسبستوس» على معظم غرف التدريس (الصفوف) وغرف الإدارة حتى تاريخ تخرجنا من مدارس الوكالة، وأعتقدأنها بقيت بعدنا لعدةِ سنواتٍ، وحيث كانت رسوماته زيتيةً فكان يجددها وأحياناً يغيرها بين الحين والآخرلتأثرها بالأحوال الجوية، وقد برز من الطلاب في فن الرسم كثير من الطلاب وأذكر منهم إيراهيم الخطيب ونايف الصوفي وخليل مسعود وعصام حماد.

وكذلك كانت هناك مشاريع فنية يشترك فيها أكثر من طالب، مثل نموذج مصغر «لبرج إيفيل» يتم شراء صورتة المعمولة بشكل مدروس وإلصاقها بالغراء على ألوآح خشبية رقيقة كي يسهل نشرها بمنشار النصلة الصغيرالتي كانت تتطلب جهد ودقة بعد تكسير عدة نصلات، وكان هذا المشروع يأخذ الجزء الأساس من العلامة حيث لا إمتحانات نظرية لمادة الفن، وأحياناً يتم رش المجسم بعد تجميعة بلون جذاب، وقد أحتوت الإدراة على بعض المجسمات الفنية التي بقيت شاهدة على إبداع الطلاب لسنوات وسنوات.

وحتى تكتمل صورة المدارس في ذاكرة الجميع لابد من ذكرجنوداً أوفياء خدموا في المدرسة وكانوا مخلصين، ويصعب الحديث عن المدرسة دون المرور عليهم، وهم أذنة المدرسة الذين كانوا لا يألون جهداً في خدمة المدرسة والطلاب والمدرسين حتى أصبحوا جزء لايتجزء من مدارس الوكالة، فمنهم من إنتقل إلى رحمة الله، ومنهم من تقاعد وقد بلغ مرحلة متقدمة من العمر، حيث كان أبو خضر عدوان وأبويوسف أبوالحصين وأبو صلاح أبو نقيرة عليهم رحمة الله وأبوسمير.... وكانت من مهامهم الكثيرةِ أخذ الحضور والغياب بعد اللف على كل الصفوف، أما من يثبت غيابه فكان حسابه عسيراً إن لم يات بعذر مقبول...

حينها أمام الطالب حل من إثنين أما الجلد والفلكة وإما إحضار ولي الأمر وكان الجلد للطلاب أهون بكثير من إحضار ولي الأمر، لأنه مجلود مجلود.

وحين كان أبو صلاح يُحضر الدفتر للمدرس في غير وقت الحضور والغياب نبدأ نتهامس ونؤشر لإبي صلاح من بعيد.. اجتماع، إجتماع ... وأبي صلاح واقف كضابط الحراسة يرمقنا بعيون لاتفهم منها شيء، وأحيانا يتجمل علينا بإشارة تدل على نعم...حينها تدب الفرحة بين الطلاب أننا سوف نحل بدري (نروح بدري) وخصوصا إذا كانت الحصة التي بعدها فيها تسميع محفوظات أو حل وظيفة أو إمتحان.

أما أبو سمير فقط كان يختلط بنا كثيراً وكان خفيف الظل وضاحك السن دوماً ونسأل الله أن يمن عليه بهدوء البال وراحته.

أما إن رأيت أبو خضر يحمل المنشار ويتجه نحو الأشجار فهو قد أخذ تكليفاً من أبوفضة بقطع عُرفاً أخضر ليعزف به على الطلاب الكسولين أو المشاغبين أو أحد «السوالم» لحن «بتهوفن» الخاص بالتأديب والتقريع.

وما أن يوشك الفدوس « الإجازة» على الإقتراب إلا وتدب في المدرسة بين الطلاب وبعض المدرسين وخصوصاً حسن هندم الإعداد للإحتفال بنهاية العام وتخريج فوج جديد وتوزيع الجوائز على المتفوقين، فقد كانت حفلة آخر السنة مناسبة تجمع أكثر من نشاط، وكانت توزع دعوات للمخاتير ومدير المخيم ومدير النادي وكذلك الأهالي للإحتفال.

وبعد كلمة مدير المدرسة وأحد الطلاب وكان لابد أن يكون من الطلاب الأوائل، يتم عرض أحد المسرحيات القصيرة والهادفة وبعدها تبدأ بعض النشاطات كلعبة الكراسي مثلاً أو لعبة البلالين والتي كان صديقي عبد العظيم طه يحتكر بطولتها إلى أن تخرج من المدرسة.

تَخرجنا من المدرسة وغادرنا المخيم إلا إن المخيم وكل تفاصيله لم يخرج منا وسيبقى معنا، وكما بدأت حلقة المدارس بنشيد أختمها بنشيد آخرتعلمناه في الروضة وبقي معنا وربما مازال البعض يحفظه وربما غاب عن البعض الآخر..

يامدارس ..يامدارس
يامكلنا ملبس خالص...
والملبس في الكباية...
والكباية صغيرة خالص...
أشكرك يامعلمتنا...
عنظافة مدرستنا...
مدرستنا العربية...
أحلى من كل المدارس...



الأجواء الجميلة في العلاقات الإجتماعية الأصيلة في المخيم

حين تكون الذكريات والأحداث الراسخة في الوجدان حول العلاقات الإجتماعية الضاربة في الجذور في مخيمنا الغالي مربوطة بحبل من الود والواجب والتفاعل البناء مع مستجدات الحياة اليومية في المخيم، يبقى للحدث ذكرى طيبة مشفوعة بالعرفان وشكر النعمة، ومدللة على أصالة هذه الشريحة من أبناء فلسطين في الشتات وفي كل مكان يجتمع فيه شعبنا الرائع....

وتبقى هذه العلاقات الإجتماعية هي بمثابة الحبل الوتين الذي يرفد صلاة التواصل والمحبة والرحمة وحُسن الجيرة وحرص الجارعلى جاره والنخوة والرجولة والمؤازرة والتكافل في الأفراح والأتراح....

هذه الصفات والميزات الكثيرة وغيرها موجودة في المخيم، وفي الوقت الذي طغت المَدنية الحديثة على كثير من المدن والتجمعات الكبيرة، حيث أصبح الجار لايعرف جاره ولايكترث لما يصيبه، وربما كان في بيتٍ فرحٍ وفي الآخر

حزن وكل يعيش في عالمه الخاص وقد طحنتهم الحياة بظروفها القاسية وسلبتهم أشياء نبيلة ومعنوية لاتشترى بالمال ولاتقدربثمن....

أنا هنا لا أتحدث عن مدينة «أفلاطون الفاضلة» والمثالية قد لاتكون في أي مجتمع، ولكن الشيء بالشيء يقاس والضد يُعرف بضده، كيف لا وقد زرت المخيم بعد إنقطاع طويل وأمضيت فيه بصحبة الأصدقاء والأحباب أمتع الأوقات ولمست فيه دفئاً وحنيناً وجزءً مني إفتقدته في الغربة وقد عاد لي بمجرد عودتي للمخيم، هذا الشعورربما أوفق في ترجمة بعضه وفي تصويره وربما أخفق، ولا أستطيع نقله بجماليته وفيما يعتريني من حس بنشوة وفرح وإنبساط، ولكن ثقتي وحسن ظني بمن يقرأون ويتابعون يدركون ما أعني وما أرمي إليه، حتى وإن خانتني الكلمات في أن تبقى قاصرة عن الوصف لإعطاء الموضوع حقه في الشرح والإفاضة.

مخيم غزة ترك في نفسي كماغيري أثراً وذكرىً وحباً وعلاقات صداقة راسخة رسوخ الجبال الرواسي، وتجذيراً في المشاعر والمعاني أعيش معها وبها وأحملها من المهد إلى اللحد.

كنا في المخيم في المناسبات أهلاً وعائلة واحدة ، فإذا كانت المناسبة حزينةً كان الجيران يجتمعون ويقدمون واجب العزاء والكل يتنافس ويتبدى في أن يحوزعلى أخذ عشاء المتوفي، والكل تلمس فيهم الصدق والحرص على تقديم الواجب ، وهذا الشعورالنبيل له أبلغ الأثرفي التخفيف عن أصحاب العزاء لما يلمسوه من مواساة وتخفيف وكأن المصاب هو مصاب الجميع، ومن العادات التي كانت وطواها النسيان ولم يعد لها أثراً أن الناس كانت تُحضر معها للعزاء قهوة سادة مابين أوقيه إلى كيلو وكل حسب ظرفه وبعض الناس وبالذات من تربطهم علاقة وطيدة وبينهم وبين أهل العزاء مناسبات كانوا يأخذوا معهم كيس

سكر أبو خط أحمر زنة ١٠٠ كيلو وهذه العادة كانت في الأفراح وفي الأحزان، وكان الجيران والمعارف يعتبرون أن واجب العزاء يمتد طيلة أيام العزاء الثلاثة ولكن هذه الأيام للأسف تبدلت كثير من المفاهيم وأصبح يقتصر الأمر على تأدية الواجب فحسب...

وبما أن الحديث عن الذكريات الجميلة فلا بأس من ذكر بعض المستجدات التي دخلت على تقاليدنا وهي ليست منها طالما أننا نتحدث في نفس السياق وبما يخدم الهدف الأسمى، كانت فيما مضى تقدم القهوة السادة في فنجاين القهوة والتي كانت تغسل بإستمرار في وعاء جهز خصيصاً لذلك، أما هذه الأيام فأصبح تقديم القهوة في أكواب من البلاستك الصغيرة والتي ترمى غالباً تحت الكراسي وتخلف اثراً سيء وخصوصاً أن البلاستك من المواد المضرة جداً ولاينصح بتقديم السوائل الحارة فيها وكذلك أثرها على البيئة كون نصف عمرها لتتحلل طويل جدا جدا...

أما عادة صب القهوة فهي واحدة في كل المناسبات وتبدأ من عند الأكبرسناً وتصب باليد اليسرى وتقدم باليمنى وكما يقولوا « القهوة خص والشاي قص».

ولايستغرب البعض أو يستهجن من ذكر بعض التفصيل في العادات حيث إن كثير من الناس هذه الأيام ضيعت الأصول والفروع.

أما الأنكى من ذلك والذي لم أشاهده، ولكني سمعت الناس تتحدث عنه هو تقديم الحلوى وخصوصا الكنافة في العزاء... هل هذا يدخل ضمن المثل الذي يقول «يرش على الموت سكر»؟؟؟!!!!

ولا أدري من أين دخلت هذه المفاهيم على عادتنا وتقاليدنا؟ ومن المظاهر المرفوضه المبالغة في العشاء في آخر يوم بحيث ممكن أن نصنفه تحت بند موت وخراب ديار...

المتعارف بين الناس أن أصحاب العزاء يعملون عشاء في اليوم الثالث عن روح الميت وكنوع من الشكرلمن حضر العزاء وخصوصاً أن الأقارب والنسايب القادمين من أماكن بعيدة يمكثوا أيام العزاء الثلاثة، ولكن دخول مفاهيم جديدة ورغبة في إظهار أن أهل الميت بخير أوجد هذه الظاهره وليتها تزول ونعود لما كنا.

وكان للحضوروالتواجد المستمر ميزات كثيرة فقد كان من يمتلكون المبادرة يحاولون بشتى الوسائل التخفيف عن أهل العزاء بالأحاديث الشيقة والمواقف الشخصية والحكايات والمواعظ والعبر، فكان هذا السلوك من الذكريات التي تبقى عالقة في الذاكرة، وأنا على يقين بان الكثير مازال يحفظ موقف فريد شاهده أو سمعه في أحد المآتم.

ومن المظاهر التي كانت موجودة، وكانت بين كبار السن وخصوصاً إن كانوا على صلةً مع المتوفى أن يتغير حالهم وتجدهم وقد واظبوا على المسجد لعدة أيام، وبعد ذلك ترجع حليمة لعادتها القديمة...

وكان أحياناً تحدث أكثر من حالة وفاة في الحارة الواحدة في وقت قريب، فتجد كبار السن عرقبوا من الخوف وبتسمعهم يقولوا بأن «عزرائيل» - مَلك الموت- في الحارة والله أعلم الدورالقادم على مَن؟؟!!...

أما الوضع عند النساء فكان يختلف بعض الشيء، وكانت الشاطره اللي بدها تصِّيح أكثروخصوصاً إن كان المتوفى صغير في السن أو مات في حادث، فتجد النساء كل وحده مروحه عالبيت وعيونها بقدحوا جمر من كثرة البكاء، وأذا سألت إحداهن وهي ليست من أقارب المتوفي تسمع منها والله تنهنهنا من الصياح، لأنه كل شيء قرضه ودين حتى دموع العين.

أما إن تجرأت وسألت أمك، أو عمتك، أو خالتك، أو جدتك، ليش بتصيحوا هو أنتم من أقارب المتوفى؟؟!!! إحتمال يأتيك الجواب مع صاروخ أرض جو ماركة شبشب بلاستك عالطاير. أنت شو بفهمك؟؟!!! مش بدنا نجامل الجماعة!!!! أنتم ما شفتوا يوم عزاء فلان (واحد مات من عائلتكم) كيف نتفن حالهن أمه وخواته من الصياح... هذا الجواب إن سمعته وحاولت تتمادى يتم طردك من الدار مع كم هائل من الدعاوي وإحتمال أمك أو ستك ينسوا العزاء ويبلشوا فيك، لذا من الأفضل تنخمج وتسكت (مصطلح فلسطيني بإمتيازمعناه تسد بوزك) .

وكان فيما مضى يتم العزاء في البيوت أو في الشق لأخوننا السبعاوية، أما الأن فأصبحت بيوت العزاء تقام في الصيوان خارج البيوت حيث يتم الإستئجار من متعهدي الحفلات والمناسبات، وهذه الطقوس تعتبر نسبياً جديدة على أهل المخيم، ولكنها في مجتمعات وتجمعات أخرى تُعتبر قديمة.

ومن المظاهر الجميلة التي لازال أهل المخيم يحافظون عليها هي شد الخاطر للجيران فيما لو كان هناك موعد فرح وحصلت وفاة في الحارة فيتم التأجيل بعض الوقت، وبعد ذلك يتم أخذ الإذن من أصحاب العزاء لإقامة الفرح لما في ذلك من أثر طيب في النفوس، حيث تبقى العلاقات الإجتماعية محكومة بالأصول في العادات والتقاليد والعُرف بين الناس.

وحتى لانبقى في أجواء الحزن ويعتقد البعض أن تكاتف الناس فقط في الأحزان وحتى لا تلتصق بنا صفة النكد والحزن، وكان يصدف أن يصدر عن أحد الحاضرين موقف أو عبارة غير مقصودة تنقل الناس في لمح البرق من الحزن للضحك دون أن ينال ذلك من الجوالعام، حيث إن للمناسبات عبارات تخص كل مناسبة فإن حصل وقال أحد الحاضرين حين تقدم له القهوة (دايمه) أو (عامر)

فالكل أو من يسمع العبارة يرمقه بنظرات شزر ويستهجن ماصدر عنه ، وحينها من الممكن أن يتحول مجلس العزاء إلى غيبة ونميمة، ودهية أهله غبرة، وهذه من المصطلحات الفلسطينية التي نؤرخ لها كي نبقيها حاضرةً ولايطويها النسيان.



ولازال حديث الذكريات عن العلاقات الإجتماعية والتي لها أكثر من جانب حيث إنني أحاول جهدي أن أنقض نظرية أن الأنسان يتذكر الأشياء التي يعيها فقط مع العلم أن كثيراً من الذكريات عشناها كما هي دون وعي وكانت ضمن سياق حياتنا الطبيعية حينها، والأجواء التي أصبحنا نعيشها هذه الأيام والبون الواسع وبُعدها عن ماتعودنا عليه وإستفحالها تحت حجج واهية ، هو ما دفعني لمحاولة تأريخ ما عشناه وقد فضلت في الحلقة السابقة أن أعرج على مناسبات الحزن حتى لا أختم حديثي بها وأحاول قدر أستطاعتي إضفاء نوع من البهجهة والسرور ممزوجة بعبق الماضي والأمل الذي يحدونا هذه الأيام لإستعادة جزء من الماضي الجميل أو على الأقل المحافظة على مانستطيع منه.

وهنا أركزعلى ضرورة وعي المناسبة واللحظة التي نعيشها لما له في النفس من وقع حين حدوثها وحين إستذكارها وتذكرها في المستقبل مما يضاعف من لحظة الإستمتاع الآنية والمستقبلية، وهنا سأعرج على المناسبات السعيدة وأجوائها في المخيم....

كانت مناسبة الفرح غالباً في المخيم ماتتم في الصيف للإستمتاع بأجوائه الجميلةِ أولاً وثانياً لإجتماع الأحبة من المغتربين الذين يعودون للمخيم لقضاء إجازة الصيف فيه وبين ذويهم، وأخذ قسطٍ من راحة الإغتراب وأكل مالذ وطاب في موسم التين والعنب والصبر والرمان والبطيخ وكذلك سهرات العائلات واللمة الدافئة في حوش الدار أو تحت عريشة الدوالي وربما من هنا أتت أغنية بين الدوالي التي غنتها «سميرة توفيق» وكذلك « سلوى وجميل العاص».....

وأرجو ألا يُفهم من كلامي هذا أن الناس في المخيم كانت تفرح فقط في الصيف وبقية السنة زعل ونكد ولطم وبكاء على الأطلال وكما يقول المثل «خذ وتعود على اللطيم « من كثرة اللطم، ولكنا نحب الفرح والإنبساط والفرفشة، مع أن بعض الناس مستكثرة علينا نشوف لنا يوم.

وقبل أن أسترسل في تفاصيل المناسبات السعيدة وحيث أن لمة الأقارب والأهل في الصيف هي مناسبة سعيدة بحد ذاتها، حيث كان المخيم يبتهج وتغمره أجواء رائعة بالحب والوئام في فترة الصيف حيث إن معظم أهل المخيم لهم غّياب في بلاد الإغتراب المختلفة، فكان الجميع يستبشرون بعودة الغّياب وخصوصاً أن الإنتعاش الإقتصادي كان يطال الجميع....

ولأن الماضي كان جميلاً بحق فقد كان الغيّاب يحسبون حساب الجميع من الهدايا وكما يقول المثل من الكبير إلى الصغير إلى المقمط في السرير،

وكنا نتباهى كل واحد فينا بما احضر له أبوه أو أخوه أو عمه من الغربة والله يجزيهم عنا خير الجزاء فقد كانوا يجبروا بخاطرنا ويملؤا قلوبنا بفرحة عودة الغياب والشعور بجمالية العزوة والعائلة.

ولايفوتني هنا وكوني أوثق لجمالية الحياة القديمة أن أذكر أن المغتربين كانوا

يعملون حساب أصدقائهم كنوع من الوفاء وبعضاً من الجيران وخصوصاً إن كان في الحارةِ مختارأو شيخ أو أستاذ أو يتيم.....

وكان الجيران وأهل البلد والأصحاب والأقارب يتقاطرون أفراداً وزرافات للسلام والإطمئنان على الغياب وفي نفس الوقت الإصرار على القيام بالواجب بعزومة الغائب على الغداء أو العشاء، وهذه العادة مازالت موجودة في المخيم حيث الأصالة راسخة.

وفي زيارتي الأخيرة للمخيم أعتقد أنني ممكن أدخل كتاب «جينس» للأرقام القياسية من حيث عدد العزائم في شهر حيث كان البرنامج مُزدحم عن آخره بمعدل عزومتين في اليوم والذي إعتذرت عنه أكثر من الذي قبلته، وشعرت أن المخيم هو الحضن الدافئ الذي يبقى يجمعنا بأهلنا وأصحابنا وجيراننا وأصدقاء الطفولة، وأننا مهما تغربنا وإبتعدنا نبقى نعيش فيه بكل جوارحنا وإن إبن المخيم ممكن أن يخرج منه، ولكن لايمكن للمخيم أن يخرج منا....

وكانت أحياناً طقوس الواجب تنقلب إلى نتائج عكسية، مع أن المقصود هو الواجب وكان جزء كبير من السهرة والجلسة يمضي في التشديد على قبول الدعوة للعزومة وأحياناً يا للأسف تنتهي بالزعل المبني على العشم.

وأود هنا أن أذكر قصة لأحد الأصدقاء بعد أن عاد من الغربة للمخيم وقد حضر للسلام عليه أحد أخواله ونسيبهم وبعد الأخذ والرد ونسيبهم يلح في العزومة وصديقي يحاول الإعتذارمرة لضيق الوقت ومرة لأنه مصاب بالسكري ولا يستطيع أكل أي شيء، والنسيب مُصر إصرار عجيب على العزومة وصديقي يستحلفه بالله أن لا يُضيّع السهرة ويُجهد بلاه والرجل رأسه ومئة سيف إلا يعزمه، وصديقي يرفض بشتى الوسائل مما إستدعي النسيب أن يحلف على صديقي ليجبره على العزومة

فكان أن إحتد صديقي وقام غاضباً وقال والله غير أروح اشتكيك للشرطة، وإنتهت السهرة بالزعل والعتب...

ولا زلت أنا وصديقي كلما تذكرنا الحادثة ندخل في نوبة ضحك مستمرةً وخصوصاً أن صديقي حتى اللحظة يعجز عن تفسير سر تهديده لنسيبه بالذهاب إلى الشرطة.

هذه القصة إستثناء والإستثناء لا حكم له، أما الغالبية المتعارف عليها فهي الكرم والجود والحرص على العرف بين الناس.

أما أفراح المخيم في الصيف فحدث ولا حرج، وتكاد تكون فترة الصيف كلها أفراح، حيث كانت الأفراح تمتد لثلاثة ليالي وغالباً الغداء والزفة يوم الجمعة، وكانت أضوء الزينة أحد أدوات الفرح وكان يتم نصبها وتمديد الأسلاك من بين أحد بيوت الجيران إلى بيت أهل العرس بعد العصر، وإحضار الكراسي وباقي المستلزمات قبل حلول المساء إستعداداً للتعليلة والسمر.

ولابد من رفع العقيرة بالغناء «وحيا الله بليالي الكيف والسهره بالعلية.... المخيم يُرحب بالضيف والمشاعل مضويه»...

أما يوم الغداء وحيث إن بيوت المخيم صغيرة والأعداد المعزومة لايتسع لها بيت واحد فكان الجيران يفتحون بيوتهم للضيوف وكان كل صاحب بيت كأنه هو صاحب العرس، وهنا تتجلى روعة التكافل والتكامل والوقفة التى لا تنسى بين الجيران، وكان أحياناً يتم الطبخ خارج البيت حيث القدور الكبيرة وكان الطبخ على النارفي أول السبعينات، وبعدها بوابير الكاز الكبيرة قبل الوصول إلى مواقد الغاز الكبيرة هذه الأيام..

وكانت صواني الغداء تُجهزفي نفس المكان وكان يشرف على « التقطيب»

الذي هو تجهيز سدورالمناسف أو المفتول أحد الخبراء سواء كان من أهل العرس أو أقربائهم أو من الجيران ليتأكد أن كل صينية منسف أو مفتول تم تجهيزها بشكل جيد «ويكرب الوجه» أي يُبيض الوجه بين الناس.

وكان يشرف على «التشريب» مسوؤل أخر وكان يساعده أحد الشباب وهو يتنقل بين الجموع ليزيد كمية الشوربة على الصواني ولايتركوا مجال للقيل والقال، مع أن هناك ناس كما يقول المثل لابعجبها العجب ولا الصيام في رجب.... فإن كان اللحم لحم عجل قالوا: لو كان غنم أفضل والعكس أو اللحم شادد شويه يعني مش مستوي أو ماشابه أو هل اللحم بلدي ولا مستورد.

أما هذه الأيام يا للأسف لا غداء ولا ما يحزنون إلا من رحم ربك وأصبحت الأفراح في الصالات وإستبدلوا الغداء بقطعة «إسفنج» قطعة كيك مع علبة عصير...

وأتمنى وآمل أن نحاول قدر المستطاع المحافظة على العادات والتقاليد الأصيلة، وعلى قدر ما يوجد ناس سوف تنتقد الغداء لكن منتقدين قطع الإسفنج والصالات أكثر.



وأستغرق مجدداً في تفاصيل العلاقات الإجتماعية وأنحو جانباً في تفصيلٍ به بعضاً من العرف فيما يتعلق بجانب ممزوج بالألم والمرارة والأمل الضروري لإستمرار الحياة والتعايش مع مفرزاتها كيفما كانت.

وكأيٍ مجتمعٍ كان صغيراً أم كبيراً تحدث بين الفينة والأخرى أحداث وذكريات مؤلمةً تنغص صفو القلوب وأواصر الروابط وحقوق الجيرة والعائلة والعشيرة، وذلك نتيجة بعض المشاكل وأهمها جريمة القتل أو الإعتداء بسلاح حاد على شخص حصلت معه مشادة أو مشاحنة أوسوء تفاهم.

وهنا لا أود الخوض في تفاصيل المشاكل الكبيرة حيث أنني لست من أهل الإختصاص لأبحث في العطوات والجاهات وكفلاء الدم أو كفلاء الوفاء أو (الدفع : وهو الشخص الذي يتكفل بدفع مايلزم عن المكفول) والدفء (المنع وهو : الشخص الذي يلتزم بحماية الشخص الذي كفله ويمنع الإعتداء عليه أو أن يلحقه ضرر حتى يتم علاج المشكلة وتنهتي العطوة) ، والجلوات (ترحيل أهل القاتل إلى منطقة أخرى ريثما يتم حل المشكلة وحقناً للدم ومنعاً للإستفزاز الذي يسببه بقاء أهل القاتل وفروعه) ومايحدث من ظلم يقع عاتقه على الأبرياء ، ولا الأخذ بالثأر الذي غالباً يطال أناساً من نفس العائلة دون وجه حق غير أنهم من العائلة.

وصفحةٌ نتمنى أن يطويها النسيان وأن يكون حديث الذكريات لتأصيل الأشياء الجميلة بما فيها من عراقة وأصالة وفهم للواقع والتسليم بقضاء الله وقدره، وفي نفس الوقت بما يمنع من التمادي في الإعتداء وأن لاتزر وازرة وزر أخرى، وأن يدفع الأبرياء ثمناً لفعل لم يكن لهم يد به.

كثير من المشاكل في المخيم هي من النوع العابر والذي سرعان ما يخبونارها وتعود المياه إلى مجاريها سواء بتدخل بسيط من الأهل أو الجيران أو الأصدقاء، وهذه لاينتج عنها أية أضرار جسيمة، وغالباً تنتهي بتبويس اللحى، وما لنا بركة إلا أنتم.

أما المشاكل التي كانت تستهويني وكنت أتمنى يومها لو أنني كنت كبيراً بعض الشيء لاشارك في حلها هي رد الحردانات (اللواتي يتركن بيت الزوجية

لداعي المشاكل مع الزوج أو أهله)، وقد حضرت في أحد الأيام صلحة رد حردانة على يد حسن أبو عرادة وأبو كمال نصار رحمهما الله رحمة واسعة، وقد أعجبني جداً منطق حسن أبو عرادة وسلاسة حديثه، ومعرفته الأصيلة بالعرف والعادات والتقاليد، وكذلك حكمة أبوكمال وهدوءه وبعد نظره ، فكان إن إجتمعت خبرتاهما وحنكتاهما وأنتهت المشكلة على خير.

وانا هنا أذكرهم على سبيل المثال لا الحصر حيث كانت هناك شخصيات أخرى يشار لها بالبنان ولايشق لها غباروأصحاب أيادي بيضاء في الإصلاح وردم الفجوات بين الناس وإعادة المياة إلى مجاريها.....

ومن يومها صار عندي هاجس أن أشتغل خطّابة ورد حردانات...

وقد كان لي محاولات نجحت في بعضٍ منها ولم تنجح الأخرى، وبعدذلك تمت الهجرة لكندا حيث إن هذه المواهب والخبرات ليس لها مجال هنا.

ومن المشاكل التي لم تكن تخلو منها أي حارة هي مشاكل الحنفيات وهي غالباً تخصص النساء والبنات، وأما نحن المساخيط فقد كنا نكتفي بالمشاهدة كوننا لم يجر علينا القلم، وكنا شهود عيان على تطاير الجرادل والصفائح وتمزيع الشعر والعض، وللأسف بعض الأحيان كانت طوشة الحنفية تتطورويشارك بها أفراد من العائلتين مع أن منشأها صغير وبسيط، ولكن وكما قالت العرب سابقاً « معظم النار من مستصغر الشرر».

وبما أن حديث الذكريات نحا هذا المنحى والذي يؤرخ لتفاصيل حياتنا في المخيم بما كانت عليه ،ولأن مشاكل الحنفيات لها هي الأخرى نصيب ، وهنا يحضرني موقف مختلط بين البراءة والشقاوة، فقد كان الأولاد يحاولون عمل مقالب بالجميع ولم يكونوا يفرقون بين رجل أوإمرأة أو صغيرأوكبيروكانت

الشوارع ترابية فكان أن عمل بعض أولاد الحارة ما نسمية فخ رجل أو مصيدة ، مصنوع من سلك ومثبت بالأرض بمسمارونصبه على طريق الحنفية لإيقاع البنات أو النساء وهن راجعات أوذاهبات للحنفية لملء الماء(عرقلتهن)، فكان أن مرت إحدى النساء وهي تحمل فوق رأسها سطل الماء وكانت حاملا وعلقت رجلها بالفخ ووقعت على الأرض في منظرٍغايةٍ في الألم ولولا لطف الله لحدثت كارثة لم يكن يدرك أبعادها أولاد الحارة....

ولم يجرؤ أحد على تبني العملية وقيدت ضد مجهول وكانت هذه الحادثة نهاية مقالب الشقاوة فيما يخص عمل من هذا النوع ...

ومن الجدير ذكره أن الحنفية كانت مصدراً لتجميع الأخباروإعادة بثها وترويجها، وبلمح البصر تصل أخبار الحردانات والضراير والسلفات وأي مشروع خطبة جديدة في الحارة، والحوامل والوالدات وكل التفاصيل الضرورية لإبقاء مشاريع النميمة قائمة على قدم وساق... وفي النهاية تنتهي النهاية المعهودة بتفة في العب (تتفل في عبها وهو تقليد تتبعه النساء بعد كل حش ونميمة) وما بحط في ذمتي، ونحن مالنا ومال الناس!!!!!

وكانت الحنفية والصحية (عيادة الوكالة) والمؤن هي الأماكن الأكثر تأثيراً في نشر الأخبار، ولكن الحق يقال فقد كانت الحنفية هي المصدر الأول والمهم والأكثر ثقة في نشر الأخبار!!!

أما مشاكل المدرسة ولاقيني بعد الرواح (الترويحة) فغالباً كانت من النوع شبه اليومي البسيط الذي سرعان ما ينتهي إذا وصل خبر لأحد المدرسين كي يعمل فصلا للقوات المتحاربة ولايتم الإستعانة بقوات التدخل السريع أو طلب قوات إضافية، وأما مشاكل الأولاد عند مدارس البنات والتطقيس على البنات فلم تكن

أكثر من مجرد شوفة حال وفي حال وصل الخبر للأهل سرعان مايتم حط حد للمسألة لأننا تربينا في المخيم على أننا أهل وجيران وأبناء بلد وبالتالي لا أحد يحيد عن الصواب، وما لا نقبله لأنفسنا لا نترضيه أو نقبله على غيرنا...

ومن المواقف التي حصلت معي ولازلت أذكره فقد حدثت مشكلة في الحارة بيني وبين جارنا نصرأبوشقورة عليه رحمة الله وبركاته وقد كان أكبر مني ولكني إستفزيته في الحارة وحدث الأشتباك بيني وبينه فوقعت على حجر وإنكسرت رجلي ووضعت رجلي في الجبص حوالي ثلاثة أسابيع، وتم حل المشكلة حسب العرف بحضورجاهة كريمة،وكان من العرف أن يحضر أهل صاحب المشكلة ما نسميه ونطلق عليه «طله» وكانت عبارة عن أكل دسم يساعد في سرعة إلتئام الكسر، وكون الأخ عبدالله ابوشقورة شقيق الأخ نصر الأكبر كان تاجر أغنام فقد كان يرسل يومياً حليب غنم طازجاً وكبده وبيضاً بلدياً....

وهذا الموقف النبيل من عائلة أبوشقورة جعل والدتي الحجة أم حسن رحمها الله تطلب من الأخ عبد الله أن يتوقف عن ذلك حيث إننا أهل وجيران، وماحدث قضاء وقدر والله منعم ومتفضل علينا وبين إصرار الأخ عبدالله وإصرار الوالدة إنتهى الموقف على خير.

فنحمد الله أننا حينما نتحدث حديث الذكريات الخالدة ونستذكر حتى الأشياء المؤلمة والمنغصة للعيشة البسيطة والهادئة نجدها لاتكاد تذكر بما نسمعه هذه الأيام عن طبيعة المشاكل والمستجدات التي عمت وطمت، فيزداد يقيننا وقناعتنا أننا عشنا في الزمن الجميل.



وأخيراً يبقى المخيم دائماً عنواناً للوطن
وتبقى ذكرياتنا فيه خالدة

كنت أمنّي نفسي أثناء حديثي عن ذكرياتنا في المخيم أن أستمر في الكتابة وأن أترك حلقات الذكريات مفتوحةً ومشرعةً على مصراعيها وأن اغوص عميقاً في التفاصيل وأن أدخل البيوت لانقل من داخلها ما كنا نعيشه لحظةً بلحظة، وأسترق السمع لأنقل أحلام الفتيان والفتيات وآهات المعذبين وأنينهم....

وتمنيت لو أستطيع تصوير مناكفات الأزواج والزوجات حول سير الحياة اليومية وطريقة التدبير.....

كنت أتمنى أن أطوف في كل الحارات وفي كل الشوارع كي أشارك نساء الحارات جلسات بعد العصر إلى قبيل المغرب أمام بيت من بيوت الحارة وهن يتحدثن في كل المواضيع والهموم، وهن ينقبن الملوخية أو يقمعن البامية أو ينظفن العدس من الحصى والشوائب، حيث تتبرع وتتطوع إحداهن لعمل إبريق شاي بالميرامية أو النعنع للجميع، لتضفي جواً من الوئام والصفاء والإستمتاع على تلك القلوب النقية الصافية...

كنت أتمنى أن أسأل إحدى الأمهات وهي تطرز ثوباً فلسطينياً زاهي الألوان عن شعورها وهي ترسم لوحة تراثية تعكس عمق وعراقة شعبنا وأصالته، وفي أي مناسبة ستلبس هذا الإبداع....

كنت أتمنى أن أنقل بإسلوب بسيط ومبسط لجيل هذا الزمان من الصبيان والصبايا عن إشتراكنا معاً في لعبة «الحجلة أو الشبرة أمره شمس نجوم» دون حرج أو تحسس وكأن صبيان الحارة وبناتها هم إخوة من أم وأب....

ولا زلت أذكر كل بنات صفي في الروضة واحدة واحدة دون حرج أو تعقيد فكما أننا عشنا في الزمن الجميل حيث لم يكن ذلك الزمن حكراً على الذكوردون الإناث...

وحتى هذه اللحظة، فإن جيلنا ومن هم أكبر منا (شباباً وشابات) كنا نعرف بعضنا البعض كأبناء حارة أو أخت صديقي أوبنت بلدنا وهذه خصوصية نعتز اننا عشناها وهي من صفات المجتمعات الصغيرة المترابطة والمتماسكة...

وكنت، وكنت، وكنت... ولو بقيت أسرد لما إنتهيت، ولكن لكل شيئ نهاية حتى ولو لم ينتهِ، ولكن ذلك سنة من سنن الحياة.

ويعتقد البعض أن الحديث عن الذكريات هو لجمال الحدث نفسه وهذالعمري نصف الحقيقه، حيث إن الحديث بقدر ما يبعث الأمل في النفس، إلا أنه ينكأ جرحاً عميقاً لايزال ينزف حتى اللحظة.

لماذا؟ وكيف؟ ومتى؟ ومتى وهل سيُكتب لجيلنا أن تكتحل عيناه بالعيش في وطنه ككل البشر؟ وأنه يكفينا ٦٧ سنه لنا وطنٌ يعيش فينا ونحن بعيدون عنه.

جيلنا الذي ولد في فلسطين ونزح بعدها رفقة الأهل إلى المنافي والجيل الذي

ولد بعدنا وتربى في ربوع المخيمات والشتات عايش ذكريات كثيره تبقي حبل الود مشدوداً بين الوطن الأم وبين الناس الذين عاشوا تلك الأيام كما هي، وكما كانت عليه، وأحاول قدر الإستطاعة تجنب وصف حلوها ومرّها، بل أركّز على ما كانت عليه.

وبكل صراحةٍ وأريحيةٍ مع النفسِ أولا ومع الأحباب ثانياً أسأل نفسي لماذا هذا التوثيق والكتابة والسرد لأيام عشناها قدراً لاإختياراً؟؟!!!

ولكن اللحظة التي دفعتني وإستفزتني وجعلتني دائم التفكير والبوح بما في نفسي وكل المقربين مني يعلمون مدى قرب المخيم من كل كياني وصبغتي التي إصطبغت والتصقت بالمخيم في كل التفاصيل، حتى خُيل لي أن المخيم وطن، وصرت أستهجن حينما أسمع أي إساءة له أو حتى مجرد عِوجاً في اللسان من أحد أبناءه بما ليس منه ليعطي إنطباعاً أنا لا أكذب، ولكن أتجمل ...

مما أثارني واستحثّني، إستفزتني حينما شاهدت مسلسل «التغريبة الفلسطينية» للمبدع الدكتور وليد سيف والمخرج الشاب الرائع حاتم علي وكل المشاركين، كان على روعة الأداء وحسن الاتقان...

تخيلوا شخصاً يعيش في أقصى الغرب ومرتبطاً إرتباطاً عجيباً بقضيته ويشاهد حدثاً كهذا ينقله إلى الأجواء الحقيقية التي عشناها، كيف سيكون شعوره ؟؟؟!!!

تابعت الحدث ليس كأي متابع ولم أتخيل نفسي أتابع مسلسلاً بقدر ما كنت أعيش معهم أدق التفاصيل لأننا عشناها كما هي وليس من علم كمن لم يعلم، ومن عاش تجربةً ليس كمن قرأ عنها، لا في ماضٍ من الزمان أو حاضرٍ أو ربما في المستقبل!

كنت أتمسمر أمام التلفاز أنتظر بفارغ الصبر الموعد! وما أن تبدأ الحلقة حتى يتفجر الدمع مدراراً ولا أجد حرجاً في البكاء حيث إنه بكاءٌ من نوع آخر..

بكاء ألم وحسرة... بكاء قهر وحرمان... بكاء إنكسار، بكاء غيض، بكاء حقد وغل على كل من كان سبباً فيما نحن فيه، بكاءُ يريح النفس ويشحنها في نفس الوقت بما يبقيها مرتبطة بالبوصلة الصحيحة التي دائماً تشير للقدس والتي تؤكد بإستمرار على أن أي بوصلة لاتكون القدس وجهتها هي بوصلة مشوهةٌ ومشبوهةٌ.

لم أكن أشاهد مسلسلاً وممثلين بل كنت أشاهد ماعشناه حقاً في المخيم وخصوصاً أن الدكتور وليد سيف أمضى سبع سنوات في كتابة التغريبة حسب ماقرأت من تفاصيل، وما كنت أتابعه كان يجعلني مشدوداً من أول لحظة وحتى آخر لحظة، وكنت أغرق في التفاصيل حتى النخاع، وأدعو لأهلنا بأن يجزيهم الله أحسن الجزاء وفي نفس الوقت أحمد الله أنني لم أكن ممن شهد النكبة وإلا ساكون بلا شك كبعض أهل فلسطين الذين ماتوا كمداً ولم تحتمل قلوبهم مرارة ذلك المشهد، وبعد أن كانوا أصحاب أملاك وأراضي ومعززين في بلدهم وأرضهم وبين أهلهم بين لحظة وضحاها أصبحوا مشردين لايملكون من الدنيا إلا ما إستطاعوا حمله معهم في رحلة الشتات وتغريبة شعب تكالبت وتآمرت عليه كلشياطين الإنسان والجن .

شاهدت التغريبة ما لا يقل عن ٤ مرات، وتراني في كل مرة أعيشها وكانها حصلت الأن، وصار المخيم يتعمق في داخلي يومياً أكثر فأكثر ولقد كتبت بشكل موجز وبمناسبات مختلفة عن المخيم، ولكن ليس بهذا التفصيل، وبما أن وسائل التواصل الإجتماعي أوجدت للناس متنفساً وقرّبت المسافات فيما بيننا وجمعتنا مع الأحبة والأصدقاء في كل بقاع الأرض.

وكان الفضل لله أولاً وأخيراً وللقائمين على صفحة «مخيم غزة» حيث فجرت صاعق الذكريات في نفسي ووجدتني أكتب عن تفاصيلنا وكأنني أنهل من محيط غائرالأسباروأكتب من أمام شاشة عرض تعرض أمامي أدق التفاصيل ولم أكن

أتخيل أنني أوثق في ذاكرتي كل تلك المشاهد.

كنا نعيش الأيام بما فيها، ولكني لم أتخيل أن العدسة ترصد كل شيء وجهاز التسجيل يلتقط كل شاردةٍ وواردةٍ كما هي حتى ظن البعض أنني أستعين بكتاب أقرأ منه وأنقل ما أقرأه أو أنني سجلتها في حينها وأعيد نشرها مرةً أخرى!

حتى أنا نفسي أحياناً أستغرب هل فعلاً أنا أتذكر كل ما كتبت؟؟!!

ولكن هذا يرجعنا للحقيقة التي تقول إن عقل الأنسان وذاكرته كلما إستعملها زادت حدةٍ وبقيت منتبهة وكلما أهملها إعتراها الوهن والضعف.

كيف لا وأنا أتذكر ما يبقيني حياً روحاً لا جسداً، إنساناً لاكتلةً مبعثرةً محطمةً تحمل في دواخلها بقايا إنسان.

تلك هي ذكرياتنا الخآلدة حيث ولدت في أحد مخيمات اللجوء في قطاع غزة وهو مخيم النصيرات وهو من المخيمات الوسطى ونزحنا إلى مخيم غزة قرب مدينة جرش في الأردن بعد حرب سنة ٦٧ وتحديداً في الشهرالثاني من سنة ٦٨ إلى أن غادرت المخيم بشكل نهائي سنة ٨٨.

ومنذ ذلك التاريخ أعتبر أن عمري قد توقف عند ذلك الزمن! فلم تعد ذاكرتي توثق لما بعدها رغبةً ورهبةً.

سلامُ عليك يابلدنا المباركة يافلسطين يامهد الأنبياء ومسرى الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... سلامٌ يامصنع الأبطال ومنبع الرجولة... سلامٌ يا كل الأشياء الجميلة، سلامٌ يا مخيم غزة يا بقعة مصغرةً لأرض الوطن حيث نشأت وترعرت.

يامخيم غزة يا بداية وبواكير الحب الذي تدفق داخلي بريئاً طاهراً نقياً.

وهنا أقول إقتباساً ونقلاً:

يالائمي فـــي حب المخيم معذرةً   مني إليــك ولو أنصفــت لم تلم

محضتني النصح لكن لستُ اسمعه   إن العشــاق عن العذالِ في صمم

سلامٌ يا من حملت أرواح الشهداء عبر أثيرك إلى أرض الوطن. يامن علمتنا أبجديات الثورة وسبل التضحيةِ والفداء.

سيبقى مخيمنا، مخيم غزةِ رمزاً وأيقونةً وتعويذةً ومُلهماً ومُعلماً، سيبقى أغنية الأمل الذي لاينقطع وقصائد الحب المتصل، وشجرة اللبلاب ألتي لاتذبل وشقائق النعمان ألتي تلتف حول الوطن وشجرة السنديان الضاربة في الأعماق والشامخة إلى عنان السماء بإستقامة دون إنحناء، وستبقى بما عشناه فيك وبما نحمله داخلنا إتجاهك وبمن تركناهم لنا فيك من أحبة سيقى كل ذلك أن يحين موعد التحرير والعودةِ بإذن الله ...

ستبقى أكبر من كل الكلمات وأروع من كل الوصف.

وأخيراً وتخليداً لذكرى شهيد فلسطين الدكتور عبد الوهاب كيالي الذي طالته يد الغدرفي كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٨١ الذي ألف كتاب» تاريخ فلسطين الحديث» وناشر وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الإستعمار البريطاني والصهيوني الذي قال: أوفياء يوماً..... أوفياء دوماً...

أهدي هذه الذكريات الخالدة لكل حرٍ فلسطيني عاش في المخيم يوماً أوعاش في الشتات أو قرأ أو سمع عن المخيم ولمن مازالوا في أحضان المخيم صامدين قابعين في المنافي وبلاد اللجوء أو داخل حدود الوطن حتى التحرير.


قل هو الله أحد

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة





الكاتب في سطور

الاسم : جمال الشريف

مواليد عام ١٩٦٧ في مخيم النصيرات في قطاع غزة ٠

نزح مع أهله الى الاردن عام ١٩٦٨ بعد حرب ١٩٦٧ واستقرّ في مخيم غزة القريب من مدينة جرش الأثرية .

أنهى الدراسة الإلزامية في مدارس وكالة الغوث في المخيم والمرحلة الثانوية في مدينة جرش .

أنهى دراسة الصيدلة في الأردن وسافر للعمل في بلاد الحرمين للعمل في شركات الأدوية

ثم هاجر إلى كنداعام ٢٠٠٠ ولا زال ويحمل الجنسية الكندية ويعمل في الأعمال الخاصة متزوج من ابنة عمه وله من الأولاد والبنات أربعة ولدين وابنتين يكتب في الصحف العربية في مدينة لندن وينشر مقالاته عبر صفحة الفيسبوك وناشط بين ابناء الجالية العربية والفلسطينية في كندا .

